أحاديث الأربعين النووية
دراسة بلاغية
في ضوء علمي المعاني والبيان

رسالة تقدم بها

محمد عاصم نجم سيد حَمُّو النعيمي

إلى

مجلس كلية التربية في جامعة الموصل

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في اللغة العربية

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتورة هناء محمود شهاب

1427 هـ . 2006 م

Hadiths Al- Arabaeen Al Nawawiya

ARhetorical Analytical Study in the Semantics and Interpretation

A Thesis Submitted

By

Muhammad Asim Najim Hammo

To
The Council of the College of Education
University of Mosul

a Partial fulfillment of the Requirement for the Degree of Master in Arabic

Supervised By

Assist – Prof . Dr . Hana'a Mahmoud Shihab

2006 A.D 1427 A.H

إقرار المشرف

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة بـ " **أحاديث الأربعين النووية دراسة بلاغية في ضوء علمي المعاني والبيان** " جرت تحت إشرافي في جامعة الموصل ، وهي من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية .

التوقيع :
المشرف : أ . م . د . هناء محمود شهاب
التاريخ : / / 2006 م

إقرار رئيس لجنة الدراسات العليا

بناء على التوصية التي قدمها المشرف ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع
رئيس اللجنة : أ . د . عمر محمد الطالب:
التاريخ : / / 2006 م

إقرار رئيس قسم اللغة العربية

بناء على التوصية التي قدمتها المشرفة ، ورئيس لجنة الدراسات العليا ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

.

التوقيع :
رئيس القسم : أ . م . د . مُنتصر الغضنفري
التاريخ : / / 2006 م

إقرار المقوّم العلمي

أشهد أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة بـ **(أحاديث الأربعين النووية دراسة بلاغية في ضوء علمي المعاني والبيان)** قد قمتُ بمراجعتها وأصبحت مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بالسلامة العلمية

التوقيع:
المقوم العلمي: أ . م . د . إبراهيم محمد الحمداني
التأريخ: / / 2006م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة ، بأننا اطلعنا على هذه االرسالة الموسومة بـ " **أحاديث الأربعين النووية دراسة بلاغية في ضوء علمي المعاني والبيان** " ، وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ 28 / 12 / 2006 م وأنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اختصاص اللغة العربية .

الأستاذ المساعد	الأستاذ المساعد	الاستاذ المساعد
الدكتور أحمد فتحي رمضان	الدكتور أياد عبد الودود عثمان	الدكتور عمّار جاسم محمد
رئيس لجنة المناقشة	عضو لجنة المناقشة	عضو لجنة المناقشة

الأستاذ المساعد

الدكتورة هناء محمود شهاب

عضو لجنة المناقشة (المشرف)

قرار مجلس الكلية

اجتمع مجلس كلية التربية بجلسته المنعقدة بتاريخ / / 2006 م

وقرر منحه شهادة الماجستير في اختصاص اللغة العربية .

الأستاذ	الأستاذ
الدكتور مزاحم قاسم الملاح	الدكتور عبد الواحد ذنون طه
مقرر مجلس الكلية	عميد كلية التربية
/ / 2007	/ / 2007

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة : الآية : 11

الإهداء

لِلَّذي بَذَرَ وانتظر ثمرة أكبر أولاده * ، فقطفتها المنية ، فعوَّضهُ الله بأَصغرهم ليجنها لهُ :

أَبي العزيز

لِلَّتي إن ابتسمت بوجهي ، أنستني جهد ومظان بحثي
أُمي الحنون

﴿ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ *

إلى النور الذي أنار طريقي وجَنَّبني العثراتِ والله أسأل أن يُديمهُ على الباحثين من بعدي :

مشرفتي العزيزة

* أخي حسام الدين عاصم ، طالب ماجستير في جامعة الموصل . كلية التربية . قسم التاريخ ، لم يبقَ على مناقشة رسالته ، سوى أيام معدودة فابتلاهُ الله بمرض، ساقهُ إلى الموت ، رحمة الله عليه .

* سورة الإسراء الآية/24

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	4 . 1
التمهيد : نبذة موجزة عن حياة النووي وكتابهُ أحاديث الأربعين النووية	13 . 5
الفصل الأول : أَساليب علم المعاني الواردة في أحاديث الكتاب	121 . 14
المبحث الأول : الأسلوب ((القالب النحوي للأسلوب)): الخبر والإنشاء.	54 . 16
أولاً: الأسلوب الخبري	25 – 16
أ- أضرب الخبر	22 – 17
ب- أغراض الخبر	25 – 22
ثانياً: الأسلوب الأنشائي	54 – 26
أ- الأمر	37 – 28
ب- النهي	41 – 38
ج- الاستفهام	48 – 42
د- النداء	54 – 49
المبحث الثاني : أحوال الجملة ((صور التنوع في بناء الجملة))	91 . 55
أولاً : التقديم والتأخير	66 . 56
أ- التقديم على العامل.	61 . 56
1 . تقديم الخبر على المبتدأ	59 . 57
2 . تقديم خبران على اسمها	59
3 . تقديم المفعول على الفاعل	60 . 59
4 . تقديم الجار والمجرور على المفعول	61
ب- تقديم الألفاظ بعضها على بعض	66 . 61
1 . الترتيب	63 . 61
2 . التقديم بسبق الزمان والايجاد وسماهُ بعضهم التقديم بالشرف	64
3 . التقديم بالمناسبة ، أَي مناسبة لفظ هو من التقدم والتأخر	66 . 65

الموضوع	الصفحة
ثانياً : الايجاز والأطناب :	91 . 67
القسم الأول : الايجاز :	80 . 67
أ . إيجاز القِصَر	68 – 67
ب . ايجاز الحذف :	80 . 68
1 . حذف الحرف	69 . 68
2 . حذف الكلمة :	78 – 69
. حذف الفعل	70
. حذف الفاعل	71
. حذف المفعول	73 . 72
. حذف المضاف	75 – 73
. حذف المبتدأ	76 – 75
. حذف الخبر	77 – 76
. حذف الموصوف	78 – 77
3 . حذف الجملة	80 – 78
القسم الثاني : الأطناب :	91 – 81
1 . الايضاح بعد الاجمال	83 – 81
2 . عطف الخاص على العام	85 – 84
3 . التكرار	88 – 85
4 . التتميم	90 – 89
5 . التذييل	91 – 90
المبحث الثالث : الحروف والأدوات	121 – 92
أولاً: التعريف والتنكير	101 . 93
القسم الأول: التعريف	98 . 93
1 . التعريف بالعلمية	94 – 93
2 . التعريف بإسم الإشارة	95 . 94
3 . التعريف بالإضافة	96 . 95

الموضوع	الصفحة
4 . التعريف بـ " أل "	98 . 96
القسم الثاني: التنكير :	101 . 99
1 . التنكير للتكثير	99
2 . التنكير للتعظيم	100
3 . التنكير للتحقير	101 . 100
ثانياً : القصر :	112 . 102
طرق القصر :	
أ . طريقة القصر بـ " إنما "	104 . 103
ب . طريقة القصر بالنفي والاستثناء :	109 . 105
1 . " ما وإلا "	106 . 105
2 . " لا وإلاّ "	108 . 106
3 . " لم وإلاّ "	109 . 108
ج . طريقة القصر بالإستفهام والاستثناء : " هل وإلا "	110 . 109
د . طريقة القصر بحرف العطف : " لكن "	112 . 111
ثالثاً : الفصل والوصل :	121 . 113
القسم الأول: مواضع الفصل :	118 . 113
1 . كمال الاتصال	116 . 113
2 . شبه كمال الاتصال	117 . 116
3 . التوسط بين الكمالين	118 . 117
القسم الثاني: مواضع الوصل:	121 . 118
1 . اتفاق الجملتين خبراً	119
2 . اتفاق جملتين أو أكثر انشاء	120 . 119
الفصل الثاني : أَساليب علم البيان الواردة في أحاديث الكتاب	168 . 122
المبحث الأَول : التشبيه	136 . 124
1 . التشبيه المفرد	127 . 126

الموضوع	الصفحة
2 . تشبيه الجمع	129 . 127
3 . التشبيه البليغ	131 . 129
4 . التشبيه التمثيلي	136 . 131
المبحث الثاني : المجاز	158 . 137
أ . المجاز العقلي :	143 . 138
. اسناد محو السيئة للحسنة	140 . 139
. اسناد دخول الجنة إلى العمل الصالح	142 . 141
. اسناد الاعتاق والايباق من النار إلى النفس	142 . 141
ب . المجاز اللغوي :	158 . 143
القسم الأول . المجاز المرسل :	149 . 143
1 . العلاقة الجزئية	145 . 144
2 . العلاقة الكلية	146 . 145
3 . العلاقة الملزومية	149 . 147
القسم الثاني : الاستعارة :	158 . 149
1 . الاستعارة التصريحية	151 . 149
2 . الاستعارة المكنية	156 . 151
3 . الاستعارة التمثيلية	158 . 156
المبحث الثالث : الكناية :	168 . 159
أولاً : الكناية باعتبار المعنى المكنى عنه :	164 . 160
1 . الكناية عن صفة	163 . 160
2 . الكناية عن موصوف	164 . 163
ثانياً : الكناية باعتبار الوسائط :	168 . 164
1 . التلويح	165 . 164
2 . الايماء والاشارة	167 . 166
3 . التعريض	168 . 167
جدول احصائي يبين لنا أساليب علمي المعاني والبيان الواردة في أَحاديث الكتاب	196 . 169

الموضوع	الصفحة
خاتمة البحث ونتائجه	200 . 197
أولاً : الملاحظات العامة	198
ثانياً : الملاحظات الخاصة	200 – 198
قائمة المصادر والمراجع	218 . 201
ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية	**A . B**

المقدمـة

بسْم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

الحمدُ لله الذي ، قَدَّرَ لنا الأعدادَ والأوقات ، إعتباراً لِلأَنَامِ ، فَخَلَقَ إبنَ آدَمَ ، مِنْ نُطْفَةٍ ، بِأَرْبَعينَ يَوْماً ، لِيكونَ مُضْغَةً ، بأَرْبَعينَ أُخْرَى ، حَتَّى يُصْبِحَ عَلَقَةً بِمِثْلِهَا . وواعَدَ مُوسى (عليه السلام) لِمِيْقَاتِ الكلامِ، أربعينَ يَوْماً، وبعثَ رسوله الكريم محمد (ﷺ) إلى العباد . بَعْدَ بُلوغِهِ أربعينَ سنة . ليبثُّ البشرى إليهم ، بنشر الإسلام ، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه الطيِّبين الطاهرين ، وبعد :

فلقد كَثُرَ التأليف في جمع أربعين حديثاً ، منقولة عن رسول الله (ﷺ) ، إلاّ أن أحاديث الأربعين النووية ، قد انفردت بميزات عن تلك الأحاديث ، لاشتمالها على جلِّ ما يحتاجهُ المسلم من أمور دينه ، حتى وصفها العلماء ، بأنَّ مَدار الإسلام عليها ، فتوالى شرّاح الحديث لها ، إلاّ أن المتمعن في تلك الشروحات ، سيجد أن أصحابها، قد انشغلوا في استنباط الأحكام الفقهية منها ، وقد رأيت أن عدداً من طلبة العلم الذين يدرسون أحاديث الكتاب في الجوامع والمساجد ، بحاجة إلى وضع شرح ، يبين فيه ، الجوانب اللغوية والبلاغية المستنبطة من تلك الأحاديث . وهذا أحد الأسباب ، الذي دفعني إلى خوض دراسة بلاغية تنفرد عن تلك الشروحات والسبب الآخر:هو اصراري على خدمة أحاديث الرسول (ﷺ) وتعلقي بها، فَمَّنَ الله عَلَيَّ بتيسير دراسة هذا الكتاب الجليل ؛ لأَتَخَصَّصَ في البلاغة النبوية .

وقد وقع اختيارنا ، على خطة ، قسّمت الموضوع إلى تمهيد وفصلين ، ثم دراسة إحصائية ، تقفوهن خاتمة .

إذ تناولت في التمهيد ، نبذة موجزة ، توضح حياة النووي وكتابَهُ الّذي جمع فيه روائع الأحاديث النبوية .

أما فيما يخص الفصل الأول ، فقد درستُ فيه أحاديث الكتاب ، على مباحث علم المعاني والمتضمنة أربعة مباحث ، الأول منها ، تناولتُ فيه : (الخبر) ، أما الثاني ، فقد تناولت فيه : (الإنشاء) ، وجاء المبحث الثالث مُعنوناً بـ (أحوال الجملة) ليضم التقديم والتأخير والقصر والتعريف والتنكير والفصل والوصل ، بينما تضمن المبحث الرابع : (الإيجاز والإطناب) .

أما الفصل الثاني : فقد درست فيه تلك الأحاديث ، على مباحث علم البيان وهي : التشبيه والمجاز بضربيه : العقلي واللغوي الذي تضمن قسمين ، الأول : المجاز المرسل ، والثاني : الاستعارة ، لأَختم الفصل ، بمبحث الكناية.وأردفتُ الفصلين بجدول إحصائي ، يبين أساليب علم المعاني وعلم البيان الواردة في أحاديث الكتاب ، ثمَّ بخاتمة ، تُسجل ، أهم النتائج التي تم التوصل إليها .

ولا بُدَّ من الإشارة إلى ملاحظات ثلاث :

الأولى : تفاوت الفصلين حجماً، نظراً لكثرة أساليب علم المعاني على أساليب علم البيان ، الواردة في أحاديث الكتاب .

الثانية : لمّا كان الحديث النبوي ، يتضمن أكثر من شاهد بلاغي ،اقتضت الضرورة ، أن يكرر بعض أحاديث الكتاب ، بما يتلاءم مع الأسلوب البلاغي .

الثالثة : لمّا كانت هناك ، دراسات متخصِّصة لبعض المصطلحات البلاغية في الحديث الشريف ، عمدنا إلى اختيار شواهد من أحاديث الكتاب ، لم تشر إليها تلك الدراسات ، لتكتمل فائدة البحث .

وقد تنوع منهج الدراسة في البحث ، إذ استوقفني المنهج التاريخي في استعراض حياة النووي وكتابه المدروس وأشهر مَنْ جَمَعَ اربعين حديثاً من قبله ،ليبرز بعد ذلك ، المنهج التحليلي القائم على تحليل شواهد الحديث ودراستها دراسة بلاغية . وقد اعتمدتُ مبدأ الانتقاء من شواهد الحديث ،نظراً لكثرتها، بينما أُحيلت الشواهد الأُخرى ، في جدول إحصائي يُبيِّنها . وهذا ما بذلتُ فيه قصارى جُهدي،بالإعتماد على الله أولاً ومن ثَمَّ على أمات المصادر البلاغية القديمة ككتاب مفتاح العلوم، للسكاكي (ت 626 هـ) ، والإيضاح ، للقزويني (ت 739هـ) ، وشروح التلخيص،ودلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، فضلاً عن الشروح التي تناولت الحديث النبوي ، كشرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، (ت 743 هـ) ، وفتح البارئ ، لابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، ودليل الفالحين ، لابن علان (ت 1057 هـ) . وقد استعان البحث أيضاً بمعاجم اللغة،كمعجم مقاييس اللغة،لابن فارس (ت 395هـ) ، ولسان العرب ، لابن منظور (ت 711 هـ) .

وثمة مراجع حديثة تَمَّ الرجوع إليها ، للاستفادة منها، في تحليل الحديث الشريف ، لا سيّما الكتب التي حاولت الربط بين نظريات علم النفس وبلاغة المتكلم،ككتاب الأُسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، لمجيد عبد الحميد ، والحديث النبوي وعلم النفس ، لمحمد عثمان .

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ أهم الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث ، هي الظروف الأمنية المعدومة المحيطة بنا من جانبٍ ، وقلّة الكتب البلاغية التي تتناول الحديث النبوي،مقارنة بالكتب البلاغية التي تناولت القرآن الكريم ، من جانب آخر .

ولا أُخفيكم سرّاً ، إن قُلت لكم إني كنت مُشَتتاً في بداية مسيرة البحث ، لا أعلم كيف أبدأ وبماذا أبدأ، وبفضل من الله الذي جعل لي مَنْ يَلُمّ شتات أمري والمتمثل بأستاذتي الفاضلة ،الدكتورة : هناء محمود شهاب،التي أشرفت على بحثي ، وأنا لمدين لها، لما أبدته من ملاحظات عديدة ونصائح مفيدة وما تحملته من صبرٍ جميلٍ ، فجزاها الله عني ، خير الجزاء . كما أتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير والامتنان إلى لجنة الدراسات العليا ورئيس قسم اللغة العربية وأساتذتِهِ الأفاضل . وأُزجي كلماتي ، بفخر واعتزاز لرجلٍ لم تُثنيه عقبات الطريق ومشاق السفر لدفع مسيرة العلم، أعني الدكتور أياد عبد الودود . وأذكر أيضاً الدكتور أحمد فتحي رمضان ، الذي أرشدني وحضني على دراسة الموضوع ، فبارك الله بهما وأبعد عنهما الشرَّ والمكروه.ويبقى امتناني وعرفاني بالجميل إلى الدكتور عمّار جاسم الذي دلّني على الموضوع ، فأسأل المولى العَليُّ القديرُ ، أن يثيبه على ذلك حُسن الثواب ويجعله في ميزان حسناتِهِ .

وفي مسك الختام ، ألتمس بهذا البحث الذّي أضعه بين أيدي المناقشين الأمينة الضراعة إليه . تبارك وتعالى . بالدعاء أن يرحم أخي حسام الدين عاصم ، الذي انتظر لحظة جلوسه على كرسي المناقشة، ولكن القدر لم يسعفه بذلك.

وآخر الكلام ، فإن هذا الجهد المتواضع ، أضعه بين أيديكم بنية خالصة لوجه الله تعالى ، واني قد ألتزمتُ الحرص والتأني في معالجة نصوص الحديث،فإن أصبت ، فبتوفيق مِنَ الله . تعالى . ، وإن صدر مِنّي خطأ أو نسيان ، فمن نفسي ، إذ ليس الكمال إلا لله وحده،فأرجو أن تتسع صدور الأساتذة المناقشين ، لتصحيح الأخطاء وتقويم الأعوجاج .

وآخر دعوانا ، أن الحمد لله رَبِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الباحث : محمد عاصم نجم النعيمي

التمهيد

نبذة موجزة عن حياة النووي وكتابه أحاديث الأربعين النووية

التمهيد

نبذة موجزة عن حياة النووي وكتابه أحاديث الأربعين النووية

أولاً . حياة النووي * :

النووي ، هو الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، محي الدين ، يحيى بن شرف بن مُري [1] بن حسن بن حُسين بن محمد بن جمعة بن حزام [2] ، وكان ينادى في عصره بأَبي زكريا ، وهي كُنية لَهُ ؛ لأنه لم يتزوج حتى عَدَّهُ بعضهم من العلماء العزاب الذين لم يتزوجوا ؛ خوفاً من الانشغال عن العلم [3] .

واشتهر بالنووي أو النَّوَاوِيَّ ، وبحذف الألف أشهر . كما ورد في خطه . والنووي ، نسبةً إلى نوا (من قرى حوران ، بسورية) وهو منزل أيوب (عليه السلام) وبها قبر سام بن نوح [4] .

وقد ولد النووي في الأوسط من محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة من الهجرة النبوية ، وقدم دمشق بعد تسعة عشر من عمره ، لِيَسْكُن المدرسة الرواحيَّة ويأخذ قوته منها ، حتى وصف بشدة الورع وعدم التطلع إلى الدنيا إن أقبلت أو أدبرت [5] .

ولما باشر مشيخة دار الحديث الأشرفية بمدينة دمشق ، لم يتناول من مالها درهماً واحداً ، وقيل أنه حفظ " **التنبيه** " في نحو أربعة أشهر ونصف وحفظ ربع " **المهذب** " في

---

* سأوجز القول عن حياة النووي ، لأن الباحثين أدناه قد تناولا حياته ، تفصيلاً . وسأقتصر على بعض الجوانب المهمة التي لابُدَّ منها مع العناية بذكر جوانب لم يتطرق إليها الباحثان ، وللاستزادة عن حياته ينظر ترجمته في :
- (**الإمام النووي ومنهجه في شرح صحيح مسلم**) ،وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث سعدون العيساوي ، إلى كلية الشريعة . جامعة بغداد ، 1989 م ، ص 5 . 82 .
- (**جهود النووي اللغوية في شرح صحيح مسلم**) ، وهي رسالة ماجستير أيضاً ، تقدمت بها الباحثة زهراء خالد ، إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، 1998 م ، ص 7 . 21 .

(1) لقد ذكر الباحثان السابقان ، أن لفظة : " مرى " بكسر الميم وفتح الراء ، وهي ليست كذلك ؛ لأنني وجدتها بضم الميم وكسر الراء ، نقلاً عن مخطوطته المستنسخة في كتاب : المنهاج السَّوي في ترجمة الإمام النووي ، ضمن كتاب : روضة الطالبين للإمام أبي زكريا الدمشقي . ينظر : 1 / 49 .

(2) ينظر : كتاب الأعلام ، خير الدين الزركلي : 9 / 184 .

(3) ينظر : العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج ، عبد الفتاح ابو غدة ، ص 92 .

(4) ينظر : كتاب الأعلام : 9 / 185 ؛ تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي : 10 / 379 .

(5) ينظر : ذيل مرآة الزمان ، قطب الدين اليونيني : 3 / 288 ؛ فوات الوفيات ، محمد شاكر الكتبي : 4 / 64 ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي الحنبلي : 5 / 355 .

باقي السنة ، ثم حج هو ووالده ، وكانت وقفة الجمعة ، فأقاما بالمدينة المنورة ، نحو شهر ونصف ، فحفظ القرآن ، ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً ، فكان يقرأ في كل يوم إثني عشر درساً على المشايخ ، حتى قيل أنه صحح وشرح على شيخه كمال الدين إسحاق بن أحمد المغربي [1] .

وقد نفع الله المسلمين بتصانيفه العديدة على الرغم من قِصَر عمره ، ومع ذلك ألّف عدداً من الكتب ،حتى اشتهرت وجلبت إلى الأمصار، منها : **شرح صحيح مسلم** ، و**الروضة** ، و**المنهاج** ، و**الرياض** ، و**الأذكار**، و**التبيان** ، و**تحرير التنبيه وتصحيحه** ، و**تهذيب الأسماء** ، و**اللغات** ، و**طبقات الفقهاء وأحاديث الأربعين النووية**[2].

وقيل أن الشيخ ، كان يسأل الله أن يتوفاهُ بأرض فلسطين ، فاستجاب لَهُ ، فتوفى ليلة الأربعاء ، في الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ستمائة وست وسبعون ، إذ أصيب بحمى أخذته فلم تفارقه إلى وفاته [3] . ورثاه عدد من العلماء والأدباء ، ومنهم الشيخ محمد بن الطهير الحنفي [4] في قصيدة طويلة أذكر بعضاً منها :

عَزَّ العزاءُ وَعَمَّ الحادثُ الجَّلَلُ ... وَخَابَ بالموْتِ في تَعْميرِكَ الأَهل
وإسْتَوحَشْتَ بَعْدَمَا كُنْتَ الأَنِيس لَها ... وَسَالَها فَقدُكَ الأسْحَارُ والأَصل
قَدْ كُنْتَ للدينِ نوراً يُستضاء به ... مَدَداً مِنْكَ في الأقوالِ والعمل
وَكُنتَ تَتْلُوَ كِتابَ اللهِ مُعتبراً ... لا يَعْتريكَ على تكرَارِهِ مِلَل
وَكُنتَ زَيّناً لأَهل العلمِ مُفْتَخِراً ... عَلى جَديدٍ كَسَاهُم ثَوْبكَ الشمل [5]

(1) ينظر : فوات الوفيات : 4 / 264 . 265 .

(2) ينظر : م . ن : 4 / 264 .

(3) ينظر : ذيل مرآة الزمان : 3 / 289 .

(4) هو محمد بن عبد القادر قاضي القضاة المتوفى سنة (683 هـ) ، نقلاً عن هامش ذيل مرآة الزمان : 3 / 289 .

(5) لمن أراد أن يطلع على القصيدة كاملة . ينظر : م . ن 3 / 289 . 291 .

ثانياً . كتاب أحاديث الأربعين النووية :

1 . التعريف بالكتاب ودواعي تأليفه :

لقد امتازت جميع مؤلفات النووي ، بالضبط والتدقيق والتحقيق والإنصاف في عرض الأفكار والانتصار لرأي من الآراء [1] . فلقد كان ينظر في حاجة الناس فيما يؤلف من كتب وفيما شرح من مطولات وفيما يوضح من أفكار، فكأنه ينظر بنور الله ، فيصيب المقصود وينال القبول من العلماء قبل العامة ،حتى عُدَّت كتبه أمهات للكتب في مختلف جوانب العلم ، ينهل العلماء والطلاب منها فكانت مرجعاً لهم على مدار العصور [2] . ومن أعمال النووي هو جمعه لأثنين وأربعين حديثاً ، منها ستة وعشرون حديثاً [3] أملاها عليه أستاذه الإمام الحافظ أبو عمر بن الصلاح * وأطلق عليها أسم الأحاديث الكلية ؛ لأنها من جوامع كلمه (ﷺ) ، ثم أخذ هذه الأحاديث ؛ ليزيد عليها ستة عشر حديثاً ، لتكتمل إلى اثنين وأربعين حديثاً ، وسمى كتابه بالأربعين [4] .

ويقال أن الكتاب ، سُمِّيَ بالأَربعين ، وقد اشتمل على إثنين وأربعين ، إما لأن العدد لا مفهوم لَهُ ، كما نَصَّ على ذلك الأصوليون ، أو أن ذكر القليل ، لا ينفي الكثير، كما قيل به في رواية صلاة الجماعة ، تعدل صلاة الواحد ، بخمسٍ وعشرين مع رواية سبع وعشرين ، أو أنه كان عزمه الاقتصار على الأربعين ، فعند فراغها عَنَّ لَهُ زيادة الحديثين الآخرين [5] .

وقد أشار صاحب كتاب **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ،عن كثرة العلماء الذين صنّفوا في هذا الباب . أعني جمع أربعين حديثاً . فقال : " وقد صنّف العلماء في هذا الباب ، مالا يحصى من المصنفات واختلفت مقاصدهم في تأليفها وجمعها وترتيبها ، فمنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام ، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات ،

(1) ينظر : البيان في شرح الأربعين النووية ، خالد البيطار ، ص 15 .

(2) ينظر : م . ن ، ص 15 .

(3) وهي ليست تسعة وعشرين ، كما يشير إلى ذلك حاجي خليفة . ينظر : كشف الظنون : 1 / 59 .

* هو تقي الدين ، أبو عمرو عثمان (ت 643 هـ) ، ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الشافعي ، صاحب علوم الحديث . ينظر : تذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبي : 4 / 143 .

(4) ينظر : جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، ص 13 .

(5) حاشية حسن بن علي على كتاب الفتح المبين ، ص 34 .

ومنهم من اختار حديث المواعظ والرقائق ، ومنهم من قصد إخراج ما صح سنده وسلم من الطعن ، ومنهم مَنْ قصد ما علا اسناده ، ومنهم مَنْ أحب تخريج ما طال متنه وظهر لسامعه حين يسمعه حسنة ، إلى غير ذلك ، وسمى كل واحد منهم كتابه بكتاب الأربعين " [1] . إلاّ أن النووي ، قد تفرد بجمع أربعين حديثاً ، أهم من ذلك كُلّه ، فالمتمعن في أحاديث الكتاب يجد أن النووي ، قد وفق تماماً عند جمعه لتلك الأحاديث ،حتى عَدَّها العلماء من قواعد الشريعة الإسلامية والأصول المهمة في الدين . وقد أشار إلى ذلك بقوله : " ومن العلماء مَنْ جمع أربعين في أصول الدين وبعضهم في الفروع وبعضهم في الجهاد ،وبعضهم في الزهد وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في الخطب ، وكلها مقاصد صالحة ، وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك . وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه ، وهو نصف الإسلام أو ثلثه ونحو ذلك[2] .

هذا وان النووي ، قد أشار إلى دواعي تأليف الكتاب ، بقوله : " وقد استخرت تعالى في جمع أربعين حديثاً ، اقتداءً بالأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام " [3] ، وهو يقصد بذلك أصحاب الأربعين حديثاً ، متأثرين بحديث رسول الله (ﷺ) الذي يرويه لنا أبو هريرة ﷺعن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنْ حَفَظَ عَلى أُمتي أربَعينَ حديثاً من أَمْرِ دينها بَعَثَهُ الله يومَ القيامة في زُمْرَةِ الفُقَهاء والعُلَماء**))[4]. واتفق الحفّاظ على أنه حديث ضعيف ومع هذا فإن العلماء قد أجازوا العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال [5] ، هذا وإن النووي لم يعتمد على هذا الحديث ، وقد أشار بذلك ، بقوله : " فليس اعتمادي على هذا الحديث ، بل على قوله (ﷺ) في الأحاديث الصحيحة : ((**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**))[6] . وقوله (ﷺ) : ((**نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فَأَدَّاها كما سمعها**)) [7] . واعتقد . والله أعلم بالصواب . أن من أهم دواعي تأليف الكتاب ، هو كثرة العلماء الذين سبقوه في تأليفهم للأربعينات في الحديث النبوي فأراد النووي أن يتميز عنهم بجمع أربعين حديثاً ، عليها مدار الإسلام ويكفيه المسلم ، إنْ عَمِلَ بها ، دخل الجنة .

---

(1) حاجي خليفة ، ص 52 .

(2) شرح متن الأربعين النووية ، يحيى بن شرف النووي ، ص 8 .

(3) م . ن ، ص 8 .

(4) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان: باب ما روي عن أبي هُريرة ﷺ: 2/ح(1725)

(5) ينظر : شرح متن الأربعين النووية ، ص 8 .

(6) أخرجه الإمام أحمد في أول مسند المدنيين: (حديث أبي شريح الخزاعي، ح (15942)

(7) أخرجه الترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في الحث عن تبليغ السماع، ح(2658) وقال: حديث حسن صحيح.

وقد أشار النووي إلى العلماء الذين سبقوه في تأليف الأربعينات ، بقوله : " فأول مَنْ علمته صنّف فيه ، عبد الله بن المبارك [1]، ثم محمد بن أسلم الطوسي ، المسمى بالعالم الرَّباني [2] ، ثم الحسن بن سفيان النسوي [3] ، وأبو بكر الآجري [4] ، وأبو بكر ، محمد ابن ابراهيم الأصبهاني [5] ، والدار قطني [6] ، والحاكم [7] ، وأبو نعيم [8] ، وأبو عبد الرحمن السلمي [9] ، وأبو سعد الماليني [10] ، وأبو عثمان الصابوني[11] ، وعبد الله ابن محمد الأنصاري[12] ، وأبو عمر البيهقي[13] ، وخلائق لا يحصرون ، من المتقدمين والمتأخرين " [14] .

---

(1) هو عبد الرحمن ، الحنظلي ، المروزي ، التركي الأَب ، ولد سنة (118 هـ) ولم يُعرف تاريخ وفاته له كتاب الأربعين . ينظر : تذكرة الحفاظ : 1 /274 . 279 ؛ كشف الظنون : 1 / 57 .

(2) أطلق عليه الرباني ؛ للدلالة على كمال الصفة ، وهو شديد التمسك بدين الله ، وقيل أنه منسوب إلى رباني الذي يربي الناس بالتعليم وإصلاحهم ، وهو صاحب المسند والأربعين حديثاً . ينظر : شذرات الذهب : 2 / 100 . 101 .

(3) هو شيخ خراسان ، أبو العباس ، الشيباني (ت 303هـ) ؛ صاحب المسند الكبير والأربعين. ينظر : تذكرة الحفاظ : 2 / 703 .

(4) هو محمد بن عبد الحسين بن عبد الله البغدادي (ت 360 هـ) ، مصنف كتاب الشريعة في السنة والأربعين . ينظر : م . ن : 1 / 936 .

(5) الحافظ محمد بن ابرهيم (ت 381 هـ) ، له كتاب الأربعين . ينظر : شذرات الذهب : 3 / 101 .

(6) هو أبو الحسن ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي المولود سنة (306 هـ) ، صاحب السنن وكتاب الأربعين : (وهو أربعون حديثاً مختارة من مسند يزيد بن عبد الله بن أبي بردة) . ينظر : تذكرة الحفاظ : 3 / 995 ؛ الأربعون الصغرى ، أبو بكر البيهقي ، ص 17 .

(7) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي (ت 405 هـ) ، صاحب كتاب الأربعين . ينظر : تذكرة الحفاظ : 3 / 1045 ؛ كشف الظنون : 1 / 55 .

(8) هو أحمد بن عبد الله ، أحمد بن اسحاق المهراني ، المولود سنة (336 هـ) وَلَـهُ كتاب (أربعون حديثاً على مذهب المتحققين من المتصوفة) . ينظر : تذكرة الحفاظ : 3 / 1092 ؛ الأربعون الصغرى ، ص 17 .

(9) هو محمد بن الحسين ، النيسابوري (ت 412 هـ) ، له كتاب الأربعون في أخلاق الصوفية ، وهو مطبوع في الهند . ينظر : تذكرة الحفاظ : 3 / 1046 ؛ الأربعون الصغرى ، ص 17 .

(10) هو أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت 412 هـ) ، كان يعرف بطاؤوس الفقراء ، له كتاب (الأربعون في شيوخ الصوفية) . ينظر : تذكرة الحفاظ : 1070/3 ؛ الأربعون الصغرى ، ص 17.

(11) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد (ت 449 هـ) ، ولقّبه أهل السنة في بلاد خراسان بشيخ الإسلام ، لـهُ من المصنفات ، كتاب الأربعين ، وسمتها أهل البدعة : (الأربعون في السنة) . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي : 4 / 277 . 279 .

(12) هو أبو اسماعيل ، عبد الله بن محمد الأنصاري ، (ت 481 هـ) ، له كتاب (الأربعون في دلائل التوحيد) . ينظر : تذكرة الحفاظ : 3 / 1184 . 1190 ؛ الأربعون الصغرى ، ص 18 .

(13) هو أحمد بن الحسين النيسابوري (ت 458 هـ) ، كان أحد أئمة المسلمين ، له كتاب (الأربعون في الأخلاق) ، وهو مشتمل على مائة حديث مرتب على أربعين باباً . ينظر : كشف الظنون : 1 / 35 ؛ طبقات الشافعية الكبرى : 4 / 11 .

(14) شرح متن الأربعين النووية ، ص 5 . 6 .

هذا وإن شهرة الأربعين النووية ، قد جعل أئمة الجوامع والمساجد أن يلقنوا أبناء المسلمين هذه الأحاديث العظيمة ، حتى قيل أن للأربعين النووية ، مكانة عظيمة عند أهل الشام ؛ لصغر حجمه واختصار مواضيعه وعموم نفعه وإخلاص مُؤلفه ، فأول ما يبدأ به العالم المحدث ، هو تلقين تلك القواعد السامية ، ولو كان إلى سبيل الإجمال[1] .

ثانياً . منهج الكتاب وأشهر شروحاته :

لقد التزم النووي في هذا الكتاب ، أن تكون أحاديثه صحيحة ، ومعظمها وردت في صحيحي البخاري ومسلم،ولما كان حذف الأسانيد من الحديث،يسهل حفظه ، تعمد النووي أن يذكر هذه الأحاديث محذوفة الأسانيد ، ويعلل السبب في ذلك بقوله : " وذلك ليسهل حفظها ويعمَّ الانتفاع بها " [2] . لا سيما وأن وضع عنوان لكل حديث ، قد ساعد القارئ على استنباط الحكم المراد من الحديث وفهمه ، قبل قراءته .

ومن المعلوم ، أن النووي كان مخلصاً في جميع مؤلفاته ، لوجه الله تعالى ، ومن المعلوم أيضاً أن حديث : ((**إنما الأعمال بالنيات ...**)) هو خير ما يعبر عن اخلاص المؤلف في عمله ، حتى عُدَّ من الأحاديث التي يكون مدار الدين عليه [3] ، صدّر النووي كتابه بذلك الحديث ، لأنه يدخل في جميع أبواب الفقه .

ثم أراد النووي ، أن يبين لنا أركان الإيمان وهو (علم أصول الدين) وأركان الإسلام وهو (علم الفقه) ، وأركان الإحسان وهو (علم التصوف) ، اتبع الحديث الأول ، بحديث جبريل (عليه السلام) مع الرسول (ﷺ) والذي وصفه النووي بأنه : أصل من أصول الإسلام ؛ لأنه " يتضمن أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة ، وأركان الإخلاص لله وحده لا شريك له والساعة وأشراطها " [4] .

وينقلنا بعد ذلك إلى حديث يبين لنا أطوار خلق الإنسان وأن الأعمال بخواتيمها ، ثم يذكر بعد ذلك أحاديث تنهي عن البدع وتحث على ترك الشبهات وتعميم النصيحة للدين، حتى يستوقفنا بأحاديث يبين لنا فيها سبب مقاتلة الناس ، وأن الله قد كلّفهم بما

(1) ينظر : كتاب الأربعين النووية ، حسن السماحي سويدان ، ص 3 .
(2) شرح متن الأربعين النووية ، ص 8 .
(3) ينظر : جامع العلوم والحكم ، ص 16 .
(4) شرح متن الأربعين النووية ، ص 27 .

يستطيعون ووجوب أن يتمسكوا بالسنّة ، ثم ذكر بعد ذلك ، أحاديث تحث على الأخلاق وضرورة أن يتمسك الإنسان بالورع وعدم التدخل فيما لا يعنيه والمحبة بين أخوته ، ليستوقفنا مرة أخرى بحديث يبين لنا سبب هدر دم المسلم ،ثم يعود ليكمل لنا أحاديث تحمل آداباً أخلاقية ونصائح تحث على قول الخير أو السكوت عنه إذا كان يتنافى مع ذلك وضرورة إكرام الجار والضيف والنهي عن الغضب والإحسان حتى مع الحيوان وكيفية التعامل عند ذبحه ، ثُمَّ ينقلنا إلى أحاديث تحمل آداباً اسلامية ، تحت على تقوى الله وعمل الحسنة وكيفية التعامل مع الله . تبارك وتعالى . صاحب الأقدار خيراً وشراً ، وبضرورة الحياء ، ليحسن ذلك التعامل ؛ كونه الأصل في التخلق بالآداب الإسلامية ، ثم يفتح لنا باباً للدخول منه إلى الجنة عن طريق الإيمان بالله والاستقامة،يعززه حديث ، يبين لنا سهولة الدخول فيه عن طريق الصلاة والصوم وإحلال الحلال وإحرام الحرام . ونظراً لعظم فضل الذكر والصلاة والصوم والصبر ، اتبع الحديث السابق بحديث أطلق عليه : الإسراع في الخيرات ، ثُمَّ ينقلنا إلى حديث قدسي يبين لنا فيه صفات الله . تبارك وتعالى . ، ليسترجعنا بعد هذا الحديث إلى ما يعزز الحديث الذي سبقه ، بفضل الذكر؛ ليشخص لنا جزاء ذلك بالصدقة .

ولمّا أحَسَّ النووي . والله أعلم . عند ترتيبه للأحاديث ، أن الصدقة ، لا تتوقف على فضل الذكر فقط ، نقلنا إلى حديث يبين لنا أن كُلَّ عملٍ فيه نصح للناس ، صدقة ، موضحاً بعد ذلك ، علامات البر والإثم ، التي بينها لنا رسولنا الكريم (ﷺ) ، ذاكراً بعد ذلك حديث ،أطلق عليه أسم : " وصية " يوصينا بها الرسول (ﷺ) بلزوم سنته ، محذراً من تقلب الأحوال .

ثم ذكر بعد ذلك أحاديثاً توضح لنا الطريق إلى الجنة وحقوق الله . تبارك وتعالى . على عباده والتأدب بآداب اجتماعية تحث على الزهد عند الله وعند الناس وضرورة التجنب عن الضرر أو المقابلة بالضرر وكيفية التعامل مع الدعوى القضائية بوضع البيّنة على المدعي واليمين على مَنْ أنكر ، وكيفية التعامل مع المنكر ووضع الشروط التي يتآخى بها المسلم مع أخيه المسلم وجزاءُ من عمل ذلك ، حتى ينقلنا إلى حديثين قدسيين ، يبينان لنا كرم الله على عباده وما يغضبه أو يرضاهُ . ذاكراً بعد ذلك أحاديث توضح لنا حكم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . ومنزلة الإنسان المقيم في الدنيا وضرورة أن يكون

هواهُ تَبَعاً لما جاء به الرسول (ﷺ) ، مختتماً تلك الأحاديث بحديث قدسي يبين لنا سعة مغفرة الله على ذنوب عباده .

وهكذا كانت غاية النووي . رحمه الله . أن يضع منهجاً يضمن فيه كُل ما يحتاج إليه المسلم في دنياهُ ؛ ليتزود به في آخرته ، وقد أشار إلى ذلك بمقدمته : " وينبغي لكل راغب في الآخرة ، أن يعرف هذه الأحاديث ؛ لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات ، وذلك ظاهر لمن تدبره ... " [1] .

ونظراً لأهمية تلك الأحاديث ، نلاحظ أَنَّ النووي ، أراد أن يعمم نفعها ، بوضع شرحٍ لها فأسماهُ : (**شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**) . ولم يكتفِ العلماء بذلك الشرح ، حتى توالت الشروحات مفصلة لتلك الأحاديث ؛ لإستنباط الأحكام الفقهية منها ، فشرح ابن رجب الحنبلي تلك الأحاديث ، مُضيفاً إليها ثمانية أحاديث ، لتكمل خمسين حديثاً ، وأسمى كتابه بـ (**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**) ، وليس في شرح أربعين حديثاً ، كما يشير إلى ذلك حاجي خليفة [2]، ذاكراً بعد ذلك عدّة شروحات لهذا الكتاب * ونظراً لكثرتها ؛ سأقتصر على بعضٍ منها :

. شرح نجم الدين سليمان الطوخي (ت 710 هـ) .
. شرح تاج الدين عمر بن علي الفاكهي (ت 731 هـ) .
. شرح جمال الدين يوسف التبريزي (ت 804 هـ) .
. شرح الإمام أبي العباس أحمد الأشبيلي (ت 899 هـ) .
ـ شرح أبي حفص الشافعي ، فرغ عنه في ربيع الآخر سنة (855 هـ) ، وسمّاه فيض المعين .
. شرح برهان الدين ابراهيم الخجندي (ت 851 هـ) .

(1) شرح متن الأربعين النووية ، ص 8 .
(2) ينظر : كشف الظنون ، ص 59 .
* لمن يريد التعمق في معرفة تلك الشروح ، ينظر : كشف الظنون ، ص 59 . 60 .

المبحث الرابع

الإيجاز والإطناب

المبحث الرابع
الإيجاز والإطناب

من دقائق لغة الحديث النبوي وبديع نظمه وجمال أسلوبه ، هو التعبير عن المعاني الكثيرة بقليل من اللفظ وهو ما يعرف بالإيجاز ، وهذا عائد بالطبع إلى البيئة العربية الأصيلة التي نشأ فيها (ﷺ) ، المعروفة بالفصاحة والبلاغة ، فضلاً عن الموهبة الربانية التي أعطاها له ـ تبارك وتعالى ـ ؛ لغرض توصيل الرسالة الإسلامية إلى الناس بأوجز لفظ يقتضيه المقام ، خصوصاً وأن الرسول (ﷺ) ، كان يكرهُ أن يجاوز الكلام مقدار القصد به [1] .

أولاً ـ الإيجاز :

الإيجاز لغةً واصطلاحاً :

الإيجاز لغةً : التقصير [2] ، أما اصطلاحاً : " فهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلَّ عن الصنعة ونزه عن التكلف " [3] ، وقد قسّمه البلاغيون إلى قسمين، هما : إيجاز القِصَرِ وإيجاز الحذف [4] .

أ ـ إيجاز القِصَر :

هو اندراج المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل ومن غير حذف [5] ، وقد ورد في (4) مواضع أحد تلك المواضع ورد في حديث يرويه سعد بن مالك (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) : ((**لا ضَرَرَ ولا ضِرار**)) [6] .

---

(1) ينظر : البيان والتبيين : 1 / 273 ، 2 / 18 .
(2) لسان العرب : 3 / 531 .
(3) البيان والتبيين : 2 / 17 .
(4) ينظر : المثل السائر : 2 / 114 ؛ الطراز : 2 / 119 .
(5) ينظر : الطراز : 2 / 126 .
(6) ح (32) ، ص 200 .

فهذا الحديث بإيجازه الشديد ، قد اندرج تحته الكثير من المعاني السامية ، " فأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه " [1] .

فمقابلة المساءَة بالمساءَة ؛ مما نهى عنه الإسلام ؛ لأنه يعمم الفوضى بين أفراد المجتمع ، وهذا مالا يرضي الله ورسوله (ﷺ) ؛ لذا ورد اجتناب الضرر بأسلوب النكرة ، ليعمم اجتناب كُلَّ مُسَبِّباته .

وقد تكلم البلاغيون على الحديث ، فوضعه العلوي في إيجاز القِصَر ، وقال : " لا ينبغي لأحد أن يضرَّ غيره ، ولا ينبغي لك أن تضرُّ أحد ، ولا ينبغي له أن يضرك ... " [2] ، ولما كانت مُسَبِبات الضرر ، كثيرة ولا يمكن حصرها ولو ذُكرت لاحتاج صفحات عدة ؛ لبيانها ، اختار لنا الرسول (ﷺ) ، بذكائه وفطنته خير ما يعبر عن تلك المسببات ، وبلفظ لا يتجاوز كلمتين ؛ توفيراً لوقت المخاطب أو المتلقي ومنعاً من إجهاده ، حتى يسهل حفظها وتذكرها دوماً منعاً من المواقف التي تؤدي إلى الضرر أو الضرار .

ب . إيجاز الحذف :

هو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة أقل منها ، وذلك بحذف شيء من تراكيبها ، مع عدم الاخلال بمعانيها [3] .

ولقد ورد هذا النوع من الإيجاز في (33) موضعاً توزعت على الشكل الآتي :

1 . حذف الحرف : (4) مواضع .

لقد ورد في أحاديث الكتاب،ما يدل على حذف الحرف،كحذف حرف العطف وحرف النداء،أما فيما يخصُّ حذف حرف العطف ، فقد تناولناهُ في مبحث الفصل * ، أما حذف حرف النداء ، فقد تحذف تلك الأداة ، تخفيفاً وإيجازاً أو ملاطفةً ومُؤانسةً بالمخاطب ، وذلك عندما يقتضي الموقف ذلك ، وكان المنادى قريباً [4] .

---

(1) البيان والتبيين : 1 / 87 .

(2) الطراز : 2 / 128 ؛ وينظر أيضاً : من بلاغة النظم العربي : 2 / 222 .

(3) ينظر : الإيضاح ، ص 105 ؛ الطراز : 2 / 119 .

* ينظر : ص 88 . 94 .

(4) ينظر : أساليب الطلب في الحديث الشريف ، هناء محمود شهاب ، أطروحة دكتوراه ، ص 150 .

وقد ورد حذف حرف النداء في حديث يرويه لنا ، أبو هريرة (ﷺ) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((**لا تَحاسَدُوا وَلا تَدابَرُوا ، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلى بِيعْ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْواناً ...**)) [1] .

نلاحظ أن الحديث قد مهّد لنا شروط التآخي ما بين العباد ، ثم ينقلنا الحديث من أسلوب النهي إلى الأمر الدال على الوجوب بقوله : " كونوا عباد الله أخواناً " ، فقال النووي : أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الأخوة ومعاشرة المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ، مع صفاء القلوب [2] .

ولما كان الخطاب لاستمالة قلوب السامعين له (ﷺ) وتوجيههم إلى الطريق الصحيح ؛ اقتضى حذف حرف النداء : " يا " في قوله : " كونوا عباد الله إخواناً " والتقدير : كونوا يا عباد الله ، أو كونوا عباد الله يا أخوانا . مع التنويه بأن الاعتراض هنا للتنبيه والتأكيد فهو أبلغ [3] .

أما علاقة قوله : كونوا إخوانا بالمنادى المحذوف الأداة " عباد الله " ؛ أن الأخوة هنا تشمل كل عباد الله على مستويين :

الأول : الأعم ، وهو كل البشر الذين هم في الحقيقة عباد الله [4] ، لذا نكر قوله : " عباد الله " ؛ للدلالة على العموم وشمول الحكم على جميع العباد .

الثاني : الأَقل عموماً ، وهم الذين يعبدون الله على أية مِلَّة [5] .

2 . حذف الكلمة :

قيل أن الإيجاز بحذف المفردات أوسع مجالاً من حذف الحرف أو حذف الجملة أو الجمل ، لأن المفردات أخفُّ في الاستعمال [6] ، ولعل هذا هو السبب في

---

(1) ح (35) ، ص 201 .
(2) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 5 / 2511 .
(3) ينظر : حاشية حسن بن علي على كتاب الفتح المبين ، ص 293 .
(4) ينظر : م . ن ، ص 293 .
(5) ينظر : م . ن ، ص 294 .
(6) ينظر : الطراز : 2 / 101 .

كثرتها في أحاديث الكتاب ؛لذا سنركز اهتمامنا بهذا النوع من الحذف . الذي قسمهُ البلاغيون إلى حذف : الفعل والفاعل والمفعول والمضاف والمبتدأ والخبر والموصوف والجملة . [1] وذلك أمام طائفة من أحاديث الكتاب .

. **حذف الفعل** : (6) مواضع .

الأصل أن يُذكر فعل الفاعل ، ولكنه قد يُضمر إذا دلَّ عليه قرينة ، فقال ابن يعيش : " اعلم أن الفاعل ، قد يُذكر وفعله الرافع له ، محذوف لأمر يدلُّ عليه " [2].

وقد ورد حذف الفعل في حديث قدسي عن رسول الله (ﷺ) عن ربِّه . تعالى . قال : **((يَا عِبادِي لَوْ أَنَّ أوَّلكم وآخركُمْ ، وأنسكم وجنكم ، كانوا عَلى أتقى قَلْبِ رَجُل واحد منكم ، ما زادَ ذلكَ فِي مُلْكي شَيْئاً))** [3] .

فهنا نجد أن هناك حذفاً في الحديث ، وهذا الحذف راجع إلى الفعل ، إذ تقدير الحديث : لو حدث أنَّ أوَّلكم وآخركم ، فالقاعدة عند النحاة تقول : تُشَبَّه : " لو " بأن الشرطية في الاختصاص بالفعل ، فلا يليها إلاّ فعل مضمر أو معمول يُفَسِّرَهُ ظاهر ما بعده [4] . فتدخل عليه،ان واسمها وخبرها، وتكون الجملة: فاعلاً لفعل محذوف تقديره : " لو ثبت " [5] . وهناك نكتة بلاغية ، فضلاً عن تلك القاعدة النحوية ، فلما كان خطاب الحديث مُركزاً على ابراز حدث تعاقب التقوى والفجور وتصعيد الحَدَثِ ؛ لدرجة شمول الثقلين إنساً وجناً وقيل حتى الملائكة * ، استدعى المقام إلى حذف الفعل ؛ لإبراز ذلك الحدث ؛ إذ أن " إبراز الحدث مع إسقاط متعلقه : [الفعل] يكون مدعاة لِلَفْتِ انتباه المتلقي إليه وتركيزه فيه، إذ هو المهم في نظر المتكلم ، وهو الذي يريد توكيده في نفس

(1) ينظر : الطراز : 2 / 101 . 118 .
(2) الإيضاح في شرح المفصل 1 / 80 .
(3) ح (24) ، ص 191 .
(4) ينظر : الجنى الداني ، ص 290 .
(5) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 387 .

* قيل أن الخطاب عام وشامل لذوي العلم من الملائكة والثقلين ، فيكون ذكر الملائكة مطوياً مدرجاً في قوله : " جنكم " ؛ لشمول الاجتنان لهم ، أولا يكون كذلك ؛ لأنَّ الإضافة في " جنكم " تقتضي المغايرة ، فلا يكون تفصيلاً بل إخراجاً للثقلين اللّذين يصح اتصاف كل منهما بالتقوى والفجور . ينظر : شرح الطيبي : 5 / 100 ؛ دليل الفالحين : 1 / 329 .

المتلقي ... " [1] ، فوقعت الجملة : " أن أنسكم وجنكم " في تأويل مصدر فاعل لفعل محذوف تقديره : حدث أو ثبت ، حسب القاعدة النحوية السابقة .

. **حذف الفاعل** : (1) موضع .

قد تكون غاية حذف الفاعل تعظيماً له [2] ، أو لغرض بلاغي كالاختصار عندما يكون هناك دليل على حذفه [3] ، فيكون معلوماً لا حاجة لذكره . وقد ورد ذلك الحذف في حديث يرويه لنا ابن عمر (رضي الله عنهما) ، أن رسول الله (ﷺ) قال : ((**أُمِرْتُ أنْ أُقاتل الناس حتى يشهَدُوا أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأنَّ مُحَمَدّاً رسول الله ، ويُقيموا الصلاةَ ، ويُؤتُوا الزكاةَ ، فإذا فَعَلوا ذلك ، عَصِموا مِنّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّ الإسْلام ، وحِسابهُم عَلى الله**)) [4] .

من المعلوم أنه لا آمِرَ يأمر رسولنا الكريم (ﷺ) ، إلاّ خالقه ، فلا رتبة تعلوهُ سِواهُ . تبارك وتعالى . ، لذا حذف الفاعل ،وقد اختلف في سبب الحذف ،فقيل تعظيماً لله وقيل اختصاراً [5] ؛ لكونه معلوماً في الكلام فلا حاجة إذن لذكره وهو الأقرب إلى الصواب ، فضلاً عن أن حذف الفاعل من الحديث ،قد استدعى إبراز الحدث إلى القارئ وشدَّ انتباهه إلى الخبر المراد توصيله إليه ، وذكر الطيبي تعليقاً على حذف الفاعل من الحديث فقال : ومعلوم أنه إذا قال رسول الله (ﷺ) أُمرت ، وغيرها من الأفعال الدالة على الأمر : فهم منه ، إن الله تعالى أمره ، وإذا قاله الصحابي فهم أن الرسول (ﷺ) قد أمرهُ ، فإن مَنْ اشتهر بطاعة رئيس إذا قال ذلك فهم [6] .

وإنما خصصت الصلاة والزكاة بعد الشهادة بالذكر والمقاتلة عليها ؛ لأنهما أمَّاً للعبادات البدنية والمالية والمعيار على غيرهما والعنوان له [7] .

---

(1) الأُسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 135 .

(2) ينظر : المقتضب ، المبرد : 2 / 79 .

(3) ينظر : الشامل ، معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، محمد سعيد ، بلال جنيدي ، ص 441 .

(4) ح (8) ، ص 183 .

(5) ينظر : إرشاد السارئ : 1 / 157 ؛ عمدة القارئ : 4 / 188 ؛ فيض القدير : 2 / 238 ؛ دليل الفالحين : 3 / 576 .

(6) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 128 ؛ وينظر أيضاً : فتح البارئ : 1 / 128 .

(7) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 128 ؛ ارشاد السارئ : 1 / 157 ؛ عمدة القارئ : 4 / 188 .

ـ **حذف المفعول** : (2) موضع .

قيل أن المفعول لما كان فضلة وتستقل الجملة بدونه فينعقد الكلام من الفعل والفاعل ، جاز حذفه وسقوطه [1] ، وعند ذلك يقدر المفعول في الكلام لفظاً ؛ لكنه مراد معنىً وتقديراً فيسمى (الحذف اختصاراً) ؛ لإفادة التعميم ، ولابدَّ مِنْ دليل يشير إلى حذفه [2] ، وقد ورد حذف المفعول في حديث عن رسول الله (ﷺ) عن ربَّه في الحديث القدسي : ((**... ولَئِنْ سألني لأُعطِيَنَّهُ ولَئِنْ استعاذني لأُعيذنه**)) [3] .

لقد جاءت هاتان العبارتان ختاماً للحديث القدسي ، جزاءً لقولٍ سبق الحديث بقوله : ((**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه**)). فعادة الحبيب مع محبوبه أن يسأله كُلَّ ما يُحِبَّهُ وكلَّ ما يريده منه إذا نالَ رضاهُ وإتَّبعَ أوامِرَهُ ؛ لذا استوجب حذف المفعول في كلتا العبارتين ؛ لاستيعاب كلَّ حاجات العبد من ربه ، ودون تحديدها أو تحديد المستعاذ منه ، نظراً لكثرتها ، ولعل القارئ يوافقني بالقول : انه لو ذكر المفعول في كلتا العبارتين فقيل ولئِنْ سألني إطعاماً أو رزقاً أو قيل لئِن استعاذني عذابَ القبر أو النارَ ،أو الشيطان وما إلى ذلك ؛ لما أفاد الحديث ،ما يفيدهُ عموم حذف المفعول به؛ فلو ذكر المفعول في العبارتين ؛ لأقتصر الحديث على تلك الحاجة فقط ، دون الحاجات الأخرى ، فبإمكان المتلقي أن يضع أيَّ حاجة يحتاجها من رَبِّه تحت المفعول المحذوف ، إذ أن الحذف " غاية يقصدها المبدع ... ومهمة المتلقي تأويل المحذوف وتعويض النقص ؛ لأكمال بنية النقص ، وهذا التأويل يعتمد على : وجود قرينة تحيل على المحذوف ، أو على التراكم المعرفي لدى المتلقي " [4] . فحذف المفعول من الكلام يأتي من أجل التوسع في دلالة النص إيحائياً ؛ ليترك الباب مفتوحاً أمام المتلقي حرية التعبير عن ذلك [5] ، وهناك غرض بلاغي آخر ، يمكن استنباطه من الحديث وهو الإيجاز ، فلو ذكر المفعول في كِلتا الجملتين ؛ لاحتاج صفحات عِدة لاستيعاب حاجات العبد ، وهذا ما لم يشر إليه شراح

(1) ينظر : شرح المنفصل : 1 / 362 ؛ همع الهوامع شرح جمع الجوامع : 3 / 12 .
(2) ينظر : همع الهوامع : 3 / 12 ؛ الشامل ، معجم في علوم اللغة العربية مصطلحاتها ، ص 447 ؛ معاني النحو : 2 / 584 .
(3) ح (38) ، ص 203 .
(4) المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ، ابراهيم محمد ، رسالة ماجستير ، ص 85 .
(5) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 133 .

الحديث ، وإنما اكتفوا بالقول أن حذف المفعول الثاني من الحديث ؛ لدلالة قوله : " سألني " عليه [1] .

ولا تفوتنا الإشارة بأن الخبر المستفاد من العبارتين قد أنزل المخاطب منزلة المنكر لـه ؛ لـذا أُكِّـدَ الخبـر بمؤكـدين : الأَول ، وَرَدَ بـلام الموطئـة للقسـم ، إذ قيـل أن لام " لئن " موطئة لقسم محذوف ، والتقدير : والله لَئِنْ ... " [2] فأفادت التأكيد . ونظراً لاجتماع الشرط والقسم في الحديث ، اقتضى حذف جواب الشرط ؛ لتقدم القسم دليلاً عليه [3] . الثاني : هو نون التوكيد الثقيلة : " لأُعطِيَنَّهُ ، لأُعيذنَّهُ " فنون التوكيد الثقيلة إذا دخلت على مضارع مستقبل ؛ أفادت التوكيد[4] .

. حذف المضاف : (4) مواضع .

" حذف المضاف ضربٌ من الاتساع " [5] ، وهو سائغ حذفه في الكلام ، إذا لم يُشكل ؛ وإنما سوّغ حذفه ، الثقة بعلم المخاطب به ، إذ أن الغرض من اللفظ ، هو الدلالة على المعنى ، فإذا حصل المعنى بقرينة حالٍ ، أو لفظ آخر ، استُغني عن اللفظ الموضوع بإزائه اختصاراً [6] . وقد ورد ذلك الحذف في حديث عن رسول الله (ﷺ) عن ربه في الحديث القدسي : ((**... وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدي بشيءٍ أحَبَّ إليَّ مِمّا افترضتُهُ عليه ، ولا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حَتّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ ، ويده التي يبطشُ بها ورجلَهُ التي يمشِيَ بِها** ...)) [7] .

---

(1) ينظر : دليل الفالحين : 2 / 267 .
(2) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 384 .
(3) ينظر : م . ن : 2 / 382 .
(4) ينظر : الجنى الداني ، ص 175 . 176 .
(5) شرح المفصل : 2 / 192 .
(6) ينظر : م . ن : 2 / 192 .
(7) ح (38) ، ص 203 .

لقد أُستشُكِلَ كيف يكون الباري ـ ﷻ ـ سمع العبد وبصره ... ؟ وقد ذكر شراح الحديث وجوهاً للإجابة على السؤال [1] :

الأول : قيل أنه قد ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى : كنت سمعه وبصره في إيثاره امري ، فهو يحب طاعتي ويؤثِر خدمتي ، كما يُحب هذه الجوارح .

الثاني : أن المعنى أن تكون جوارحه مشغولة بي ، فلا يصغي بسمعه إلاّ بما يُرضيني، ولا يرى ببصره إلاّ ما أمرته به .

الثالث : المعنى ، اجعل له مقاصده ، كأنه ينالها بسمعه وبصره .. الخ .

الرابع : كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على أعدائه .

الخامس : وهو موضوعنا ، انه فيما يظهر على حذف مضاف ،رفعاً لشأنه ، أي " كنت حافظاً سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلاّ ما يحلُّ سماعه ،وحافظاً بصره ، فلا ينظر إلاّ ما يحلُّ إبصاره وحافظاً يده فلا يبطش بها فيما لا يحل،وحافظاً رجلهُ فلا يمشي بها إلاّ فيما يحل المشي إليه إما إيجاباً أو ندباً أو إباحة [2] .

فحذف المضاف في الحديث ، قد مَنَحَ النص شمولية أوسع فأعطاه قدرةً إيحائية أكبر، ففتح المجال أمام المتلقي في الاتساع والتأمل في تخيل كل المعاني المحتملة [3]كما لاحظنا ذلك ، فضلاً عن أن حذف المضاف في الحديث ، كأنه قد أنزل نفسه ـ تبارك وتعالى ـ ، من عبده منزلة الآلات والجوارح التي بها يدرك ويستعين [4] ولو ذكر المضاف لما أفاد تلك الفائدة التي أغنت الحديث ، ليصبح كناية عن نصر الله لعبده المتقرب إليه وإعانته له ، وتوليه جميع أموره في الدنيا [5] .

أما حذف المضاف إليه ، فلا وجود له في أحاديث الكتاب ، ولعل السبب في ذلك ، هو " قلّة استعماله " [6] ؛ و" لأن المضاف يكتسي منه تعريفاً وتخصيصاً فحذفه يخلُّ

---

(1) فتح البارئ : 11 / 418 .
(2) ينظر : فيض القدير : 2 / 305 ؛ دليل الفالحين 1 / 305 .
(3) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 134 .
(4) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 305 .
(5) ينظر : م . ن : 1 / 305 ؛ 2 / 267 .
(6) البلاغة والتطبيق ، ص 189 .

بالكلام ؛لإذهاب فائدته بخلاف المضاف نفسه ، فإنه لا يخل حذفه من جهة أن المضاف إليه يذهب بفائدته ويقوم مقامه " [1] .

. **حذف المبتدأ** : (9) مواضع .

" المبتدأ مع أنه ركن أساسي في الجملة ، إلاّ أنه قد يحذف إن دلّت عليه قرينة ، ولم يتأثر المعنى بحذفه ... " [2]؛احترازاً عن العبث ، بترك مالا ضرورة لذكره [3] ، وبسبب قوة القرائن على حذفه ، صار حذفه كالتلفظ به ، وفإذا فهم المعنى بدون اللفظ ، جاز أن لا يُؤتى به ويكون مراداً حكماً وتقديراً [4] ، " مما يكسب الكلام قوةً وجمالاً " [5] . وسنختار حديثين قد ورد فيهما حذف المبتدأ :

الأول : برواية الحارث بن عاصم الأشعري (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : ((**... كلُّ الناسِ يَغْدو ، فبائعٌ نفسَهُ فمعتِقُها ، أو مُوبقُها**)) [6] .

نلاحظ ، أن في الحديث حذف ، وهذا الحذف عائِدٌ إلى المبتدأ ، تاركاً الخبر في سياق الحديث : " بائعٌ " ، وقد أكد الطيبي ذلك ، بقوله : أن قوله (ﷺ) " فبائع " خبرٌ لمبتدأ محذوف ، تقديرهُ ، فهو بائعٌ نفسه [7] ، ولعل السبب البلاغي الكامن وراء حذفه ، هو دلالة سياق الحديث عليه ، بقرينة أن المبتدأ يكثر حَذفهُ بعد فاءَ الجزاء ، كما في الحديث ، ومعلوم أن المحذوف ، إن دَلَّ عليه قرينة تشير إلى حذفه ، كان ذكرهُ في الكلام ، أشبه ما يكون زائِداً عليه ؛ فإحترازاً عن العبث وذكر مالا فائدة منه ، كونه معلوم من السياق ، تَمَّ حذفه ، وبحذفه قد جعل الاهتمام متوجهاً إلى غرض الحديث المرجو إيصاله إلى السامع ، وذلك أن الإنسان إما مُنَجِّياً لنفسه من عذاب النار أو مهلكها في النار ، والنتيجة متوقفة على اعماله ، صالحة أو طالحة .

أما الحديث **الثاني** : فهو برواية عبد الله بن مسعود (ﷺ) ، وقد ورد حذف المبتدأ فيه في الأربعين الأخيرة من خلق ابن آدم في بطن أمه ، بعد نفخ الروح فيه، بقوله

---

(1) م . ن ، ص 189 .

(2) الإيجاز في العربية ، آمال الزين ، بحث منشور في شبكة الأنترنيت على موقع موجات
W W W . mojat , Com :

(3) ينظر : الشامل ، معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 444 .

(4) ينظر : شرح المفصل 1 / 239 . 262 .

(5) الشامل ، معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 444 .

(6) ح (23) ، ص 190 .

(7) ينظر : شرح الطيبي : 2 / 5 .

(ﷺ) : ((**... وَيُؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وأجلِهِ ، وعملِهِ ، وشقيٌّ أو سعيد ...**)) [1] .

لقد تكلم عبد القاهر الجرجاني على حذف المبتدأ عندما حلل بيتاً شعرياً ، مناسباً للحديث الذي نحن في صدده . أعني حذف المبتدأ في الحديث . والبيت الشعري كان لبكر بن النطاح منشداً :

غَضَبِي وَلا وَاللهِ يَا أَهْلَهَا لا أَطْعِمَ البَارِدَ أو تَرْضَى

إذ يقول معلقاً على البيت : " التقدير هي غضبي أو غضبي هي لا محالة ، إلاّ انك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار المحذوف ،وكيف تأنس إلى إضماره، وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رميت التكلم به " [2] . وكذلك الحال في الحديث النبوي الشريف ، فلو ذكر المبتدأ ، فقيل : وهو شقي أو هو سعيد ، لما أفادهُ ما يفيده حذف المبتدأ من توافق فواصله وجمال إيقاعه وكيف أن النفس سلطت الضوء على حدث كتابة شقاوة الإنسان أو سعادته،وجلبت انتباهها . بحذف المبتدأ . على ذلك الحدث ، خصوصاً وأنه معلومٌ لدى السامع ، فلا حاجة لذكره ، وقد أشار الطيبي إلى ذلك ، فقال : عدل عن ذلك ، حكاية لصورة ما يكتبه ، لأنه يكتب شقي أو سعيد،فالكلام مسبوق إليهما [3] . وهو يقصد بذلك قوله : " ويُؤمر بأربع كلمات " . أي أمر الله . تعالى . على الجنين قبل الولادة بتلك الكلمات والتي من ضمنها ، كونه شقي أو سعيد .

. **حذف الخبر** : (1) موضع .

كما أن لحذف المبتدأ غرضاً وهو الاحتراز عن العبث في الكلام ، ووجوب أن يكون هناك قرينة على حذفه ، كذلك الحال بالنسبة لِحَذف الخبر [4] ، ومنه ما ورد عن رسول الله (ﷺ) ، مخاطباً مُعاذ ابن جبل (رضي الله عنه) ، قال : ((**أَلا أَدُلُّكَ عَلى أبْوَابِ الخَيْرِ ؟ الصُّومُ جُنَّةٌ ، والصَّدقةُ تُطْفِئُ الخَطيئة ، كَما يُطفي الماءُ النارَ ، وصَلاةُ الرجلِ**

(1) ح (4) ، ص 181 .

(2) دلائل الإعجاز ، ص 177 .

(3) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 239 .

(4) ينظر : شرح المفصل 1 / 239 ؛ الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 445 .

فِـي جَـوْفِ اللَّيـلِ ، ثُـمَّ تَـلا : ﴿ تَتَجَـافَى جُنُـوبُهُمْ عَـنْ الْمَضَـاجِعِ ﴾ حَتَّـى بَلَـغَ : ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ " [1] .

فمن الملاحظ أن قوله : صَلاة الرجل في جوف الليل ، كلام منقطع ويحتاج إلى خبر، ولكن المتمعن في الحديث ، يجد أن الخبر قد حذف ؛ لدلالة السياق السابق عليه ، ـ جملة : تطفئ الخطيئة . الواقعة خبراً للمبتدأ : " صدقة " ، فقال الطيبي : " وصلاة الرجل " مبتدأ ، خبره محذوف ،أي : صلاة الرجل في جوف الليل كذلك تطفئ الخطيئة ويجوز أن نقول كذلك من أبواب الخير ، والأول أظهر ؛ لاستشهاده (عليه الصلاة والسلام) بالآية الكريمة ، فهي متضمنة للصلاة والإنفاق . ويقول أيضاً : ويعضدهُ تقيد القرينتين السابقتين أي الصوم والصدقة ، بفائدتين زائدتين ؛ وهي : الجنة وإطفاء الخطيئة ؛ لأن الظاهر أن ينال أبواب الخير : الصوم والصدقة لا غير ، ولما قيدنا ذلك بالقرينتين ،ينبغي أن يقيد قوله " وصلاة الرجل في جوف الليل " بخبر محذوف تقديرهُ : شعار الصالحين [2] . فأجرى خلاف الظاهر ، إذ أن الظاهر أن يقال شعار صلاحه فعدل إلى العموم ؛ للمبالغة [3] ، وحينئذٍ سيفيد فائدة مطلوبة زائدة على القرينتين . وهذا هو سر بلاغة حذف الخبر عندما يفتح لنا مجال التأمل وتأويل الخبر المناسب للمبتدأ ، فلو ذكر الخبر ، لما أفادنا ما يفيدهُ عموم حذفه .

. حذف الموصوف : (1) موضع .

القياس عند النحاة : أن الموصوف يأبى حذفه ؛ لأن الصفة والموصوف كالشيء الواحد من حيث البيان والإيضاح [4] ، إلاّ أنه قد يحذف إذا ظهر أمرهُ ، وقويت الدلالة عليه ، إما بحالٍ أو لفظ [5] ، وقد ورد ذلك في حديث يرويه لنا عبد الله بن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ) ، بقوله : ((**بُنِـيَ الإسلام علـى**

(1) ح (29) ، ص 197 .
(2) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 176 .
(3) ينظر : التبيان في البيان ، الطيبي ، ص 439 .
(4) ينظر : شرح المفصل : 2 / 253 .
(5) ينظر : م . ن : 2 / 253 .

خَمْسٍ : شهادَةِ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأنَّ مَحَمَداً رسولَ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجِّ البيتَ وصومَ رمضانَ)) [1] .

لقد اختلف في تقدير الموصوف المحذوف ، فقيل أن المراد القواعد ، ويكون التقدير على قواعد خمس [2] ، إذ استبعد شرّاح الحديث أن يكون تقدير الموصوف بـ " أركان " ؛ والسبب في ذلك ، أن قوله : " خمس " ، قد خلت من التاء ، ولو أُريد الأركان ؛ لإلتحقت به [3] .

أما الطيبي ، فقد ذهب إلى أن قوله : " خمس " لا تخلو من أن تكون قواعد البيت ، أي أساسه ، أو أن تكون أعمدة الخباء جمع عمود ، وليس الأول ؛ لكون القواعد على أربع فيتعين الثاني [4] .

وقيل أن " تقدير " خمس " وصفاً ، أقرب من تقديره مضافاً ؛ لجواز حذف الموصوف إذا عُلِمَ بخلاف المضاف إليه " [5] ، وكما بيّنا ذلك . وهكذا أثار حذف الموصوف من الحديث مجال التأمل وتأويل ما يناسب ذلك الحذف ، ليتماشى مع تطورات اللغة على مَرِّ العصور،وكي يكون ذلك الحذف أشد تعلقاً في ذهن المخاطب،ذكر بعد الصفة : " خمس "ما يُفسر الموصوف المحذوف ، " ... فأصبحت الصفة كالعلم الذي يدل عليه وإن اختلفت تقديراً " [6] .

أمّا حذف الصفة ، فقيل لا يحسن حذفها ؛ " لأن الغرض من الصفة إمّا التخصيص ، وإما الثناء والمدح ، وكلاهما من مقامات الإطناب والإسهاب ، والحذف من باب الإيجاز والاختصار ... " [7] ، وهذا ما لم نجده في أحاديث الكتاب .

3 . حذف الجملة : (3) مواضع .

يقول سيبويه (ت 180 هـ) : " ان العرب تترك في مثل هذا الخبر ـ [وهو يقصد بذلك جواب الجملة] . في كلامهم ؛ لعلم المخبر لأي شيءٍ وضع هذا

(1) ح (3) ، ص 180 .
(2) ينظر : فيض القدير : 3 / 271 .
(3) ينظر : فيض القدير : 3 / 271 .
(4) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 105 .
(5) فيض القدير : 3 / 271 .
(6) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، ص 94 .
(7) شرح المفصل : 2 / 253 .

الكلام " [1] . وهو يقصد بذلك علم المخاطب بالمحذوف ودلالة السياق عليه ، لغرض الاختصار[2]. " فقد تحذف الجملة من الكلام ... ، كالجواب عن سؤال : هل أنت سعيد ؟ تقول نعم ... " [3] .

وقد وجدنا ذلك الحذف في أحاديث الكتاب ، على الرغم من تحديد بعض الباحثين ذلك الحذف بكتاب الله . تبارك وتعالى . فقيل : " ... ولا نكاد نراهُ إلاّ في كتاب الله تعالى " [4] . وهم يعللون السبب في ذلك بأن الجملة لما كانت ذات فائدة مستقلة ، فإن حذفها سيحدث خللاً في المعنى ونقصاً في الغرض المقصود ، لذلك حُذِّدَ في كتاب الله تعالى [5] .

ومثل هذا القول يجعلنا نتساءل : أليست أحاديث نبينا (ﷺ) . والتي عجز البشر عن الاتيان بأسلوب فصاحتها وبلاغتها ، وباحتوائها على أمور غيبية أخبرنا بها (صلوات الله وسلامه عليه) . بقادرة على اتيان الجملة ، وقد حذف صدرها أو عجزها ؟ .

وهذا السؤال ، يجعلنا نختار أحاديثاً من الكتاب ؛ لتؤكد لنا ورود ذلك الحذف في أحاديثه (ﷺ) .

ولِنبدأ أولاً بما يدلل على حذف جواب الشرط وقد ورد ذلك في سؤال جبريل (عليه السلام) لرسول الله (ﷺ) عن الإحسان ، فأجابه بالقول :((**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَراهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ**)) [6] .

فقد يتوهم القارئ : أن قوله " فإنه يراك " جواب شرطٍ لفعل الشرط : " إن لم تكن تراهُ " ، وهذا بالتأكيد ، ليس هو المراد ؛ لأن فعل الشرط ، ينبغي أن يكون سبباً لوقوع الجزاء ، كما نقول : إن جئتني أكرمتك ، فإنَّ المجيء هو السبب للإكرام [7] وعدم المجيء سبب

(1) الكتاب : 1 / 283 .
(2) ينظر : تأويل مشكل القرآن ، ص 284 .
(3) الحذف والإضمار في العربية ، آمال الزين ، بحث منشور في شبكة الأنترنيت على موقع موجات : W W W . mogat , Com
(4) البلاغة والتطبيق ، ص 195 .
(5) ينظر : البلاغة والتطبيق ، ص 195 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 360 .
(6) ح (2) ، ص 178 .
(7) ينظر : شرح المفصل : 2 / 235 .

لعدم الإكرام ، وفعل الشرط في الحديث : " إن لم تكن تراه " لم يكن سبباً لوقوع جواب الشرط " فإنه يراك " ؛ لأن الرؤية . أي رؤية العبد لربِّه ، ليست محققة بسبب رؤية الله . تعالى . ، فإن الله تعالى يراهُ، سواء أكان هناك رؤية من العبد لربه أم لا ، ومعلوم أن القاعدة عند النحاة : " إذا كان الجواب ، لا يصلح أن يكون شرطاً وجب اقترانه بالفاء ، وذلك كالجملة الأسمية ... " [1] كما في الحديث الذي نحن في صدده ، لذا يكون تقدير الحديث بحذف جوابه المقدر ، كما قال ابن حجر العسقلاني : " فإن لم تكن تراهُ فاستمر على احسان العبادة فإنه يراك [2] . وقدّر الطيبي الحديث " ... فاعلم قولي ؛ فإنه يراك " [3] .

وهكذا يكون " حذف اعجاز الكلام ، مع المحافظة عى سلامة النص من الخلل ، والإبقاء على وحدته وتماسكه ووضوحه ، من شأنه أن يفتح مجال الاتساع أمام المتلقي في تخييل الدلالة الإيحائية وتصوير المعاني المحتملة ، والذي يؤدي بالتأكيد إلى تحقيق الغرض الذي يرمي إليه ... " [4] الرسول (ﷺ) في توكيد المعنى وترسيخه في نفس المتلقي ، ومثل هذه الحقائق قد سبق الإشارة إليها من قبل البلاغيين وأكَّدوها ، عندما ذهبوا إلى أن الإتساع بالإعجاز أولى منه بالصدور [5] .

ومثل هذا نجده أيضاً في حديث يرويه لنا جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنهما):أن رجلاً سأل رسول الله (ﷺ) ، فقال : ((**أَرَأَيْتَ إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوباتِ ، وَصمْتُ رَمَضانْ ، وأَحَلْتُ الحَلالَ ، وَحرّمْتُ الحَرّامَ ، وَلَمْ أزِد عَلى ذَلِكَ شَيْئاً ، أَدخُلَ الجَنةَ ؟ . قالَ : نَعَمْ**)) [6] .

إذ ورد حذف الجملة هنا إختصاراً في قوله (ﷺ) : " نعم " والمحذوف هنا هو جملة فعلية ، تقديرها : " تدخل الجنة " ، فالحذف ، كان لأجل توصيل الإجابة وبأسرع ما يمكن ؛ لأن السائل جاء متلهفاً لدخول الجنة ، وحتى لا يتعسر عليه ذلك أو يستثقل عليه

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 375 .
(2) فتح البارئ 1 : 159 .
(3) شرح الطيبي : 1 / 95 .
(4) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 131 .
(5) ينظر : المثل السائر : 2 / 313 . 314 ؛ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 131 .
(6) ح (22) ، ص 190 .

طول الإجابة،جاء الرد بلفظ واحد ؛ ليترك ما يكمل البشارة النبوية بحذف الجملة ، متعلقة في ذِهنِهِ ، وبإمكان العبد أن يعمل بأعمال الحديث فقط وينال البشارة النبوية بدخوله الجنة .

أمّا فيما يخص حذف الجمل ، فلا وجود لَهُ في أحاديث الكتاب .

ثانياً . الإطناب :

الإطناب لغةً واصطلاحاً : الإطناب : مصدر أطنب ، إذا بالغ في كلامه وطال ذيولهُ لإفادة المعاني [1] . أما **إصطلاحاً** : " فهو زيادة اللفظ على المعنى لِفائدة جديدة " [2] .

فالإطناب يتخذ طرقاً ومسارات عديدة ؛ لأجل الوصول إلى عرض المعنى بصور مختلفة ، فكل طريقة ، إنما يتوارى خلفها مقصدية ذهنية تضيف إلى المعنى الأول بُعداً جديداً وترسخُ من فاعلية المعنى الأَول بالدلالة الأولى [3] . لذا وقف العلماء وقفة المتأمل في تلك الطرق ؛ لاستنباطها من نظم الكلام ، باحثين عن أسباب زيادة اللفظ على المعنى وما تؤدِّيه من أغراض بيانية . والناظر في أحاديث الكتاب ، يجد أن الإطناب قد ورد في (12) موضعاً توزعت بين الطرق الآتية :

1 . الإيضاح بعد الإجمال : (1) موضع .

يمكن القول بأن هذه الطريقة ، تُعَدُّ من أبرز طرق الإطناب ، وذلك لما تحمله من بنية نحوية، تُبرز المعنى بطريقتين مختلفتين ، تتمثل الأولى ، بإبراز المعنى بصورة مجملة ، تدفع السامع متشوقاً إلى الطريقة الثانية ، التي تبرز لَهُ المعنى مفصلاً وموضحاً لذلك المعنى المجمل؛لإبرازه بصياغة أفضل وأقرب إلى المراد ، وبذلك يتحقق سرعة إيصال المعلومات وانطباعها في ذهن المتلقي،لأنها ذكرت (مَرَّتين) ، وهذا بالتأكيد أفضل مما لو ذكر المعنى ، دفعةً واحدة ، وهذا هو أسلوبه (ﷺ) في توصيل المعاني إلى السامعين ،ونظراً لما تحمله هذه الطريقة ، من بلاغة ،

(1) ينظر : أساس البلاغة : 2 / 81 ؛ لسان العرب : 2 / 617 .
(2) المثل السائر : 2 / 129 ؛ الطراز : 2 / 230 .
(3) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم . أنماطه ودلالاته ، وفاء فيصل ، أطروحة دكتوراه ، ص 100 .

تبرز لنا روعة أسلوب الرسول (ﷺ) ، وتفننه في توجيه المعنى ، سنختار حديثاً يرويه أبو عباس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ): ((**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَيئِاتِ ، ثمَّ بَيَّنَ ذلك ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلَها، كَتَبَها اللهُ عندَهُ حسنةً كاملةً، وَإِنْ هَمَّ بِها فَعَمِلَها،كَتَبَها اللهُ عندهُ عَشْرَ حَسَناتٍ،إلى سَبْعِمِأئَةِ ضعفٍ،إلى أضعاف كثيرة.وإِنْ هَمَّ بسَيئِةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها ، كَتَبَها اللهُ عِندهُ حَسَنَةً كاملةً ، وإنْ هَمَّ بِها فَعَمِلَها ، كَتَبَها اللهُ سَيِئَةً واحدة**)) [1] .

هذا الحديث ، يتضمن أخباراً ، تحدث في عالم الغيب وهي حقائق ربانية ينقلها لنا الرسول (ﷺ) ، فهي بالتأكيد تُقدم إلى المخاطب . وهي تحتاج لمؤكدات تُأكدها . كونه لا علم لَهُ فيها ، فكانت بداية الحديث بأداة التوكيد : إنَّ " ؛ لتنزيل المخاطب منزلة الشاك أو المتردد في قبول الخبر .

ولما أراد الرسول (ﷺ) اثبات أن حدث كتابة الحسنات والسيئات ، قد فرغ منه ، بلا تبديل أو تعديل ، اتبع أداة التوكيد : " إنَّ " بأفعال تدلُّ على المضي : " كتب " . " بَيَّنَ " ؛ لتأكيد وقوع الخبر المراد توصيله إلى السامعين . لا سيما وأن اقترانه باسم الاشارة : " ذلك " قد أكد لنا،بيان أحكام كتابة الحسنات والسَّيِّئات للملائكة ، " ... حتى عرفوهُ واستغنوا به عن الاستفسار كُلَّ وقت كيف يكتبونه " [2] .

ولا شك أن القارئ ، بحاجة إلى تفصيل ما أُجمِلَ في مقدمة الحديث ، متشوقاً لما تبديه من قول ينطوي تحتها ، ولتضعه في موقف المتسائل عن تلك الأحكام وبيانها . وهذه خِصِّيْصَة تدل على بلاغة الرسول (ﷺ) وتفنُّنِهِ في صياغة مقدمة حديثه ، وقد أكَّد القزويني : أن المعنى إذا ألقاه المتكلم على سبيل الإجمال ،تشوق السامع إلى معرفته تفصيلاً وإيضاحاً ، فيصغِيَ إلى ما يرد بعدهُ ، وإذا ما ألقاهُ إليه تفصيلاً ، تمكن فيه فضل تمكن، فكان شعوره به أتمُّ [3] . لا سيما وأن سيطرة أسلوب الشرط والجزاء في حكم فاعل الحسنة أو السيئة ، على الحديث ، قد وضع النفس أمام الشرط ، مُتخَيِّرةً لتنال عن طريقه الجزاء الإلهي ، مُعززاً ذلك ، تعاقب حرف العطف : " الفاء " في الجمل بين الحين

(1) ح (37) ، ص 202 .
(2) دليل الفالحين : 1 / 68 .
(3) ينظر : الإيضاح ، ص 111 . 112 .

والآخر ؛ ليُؤَدي مهمته في ربط الجمل التي لا تصلح أن تكون جواباً للشرط ، مِمَّا أضفى على الحديث سرعة في إيقاع حدثه صعوداً أو نزولاً وبالعكس ، فضلاً عن " استخدام الترغيب والترهيب ، في حديثه ، وكما استخدمه القرآن الكريم ، لإثارة الدافع إلى طاعة الرسول(ﷺ)وضرورة العمل بالعبادات والتكاليف المفروضة، وتجنب المعاصي ، والابتعاد عن كلِّ ما نهى عنه الله ورسوله " [1] ،فهو يخبرنا لإفادة معرفتنا،أن الهمَّ بالحسنة حسنة كاملة وإن لم يعملها الإنسان؛"لأن الهم بالحسنة سبب إلى عملها ، وسبب الخير خير " [2] . وهذا بالتأكيد دافع قوي ، يدفع بنا إلى عمل الحسنة ، وما يزيد ذلك الدافعُ قُوةً ، هو البشارة الإلهية ، في تَضَاعف عمل الحسنة إلى عشر أمثالها وإلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة ، وقيل أن الاستفادة من ذكر الحسنة هنا والمضاعفة في عملها ، هو اختصاص المضاعفة بمن عمل دون من نوى ، فهما في الأصل سواء وإن اختص العامل بالتضعيف [3] . وقيل أيضاً " أن العمل الذي يضاعف إلى سبعمائة ، خاص بالنفقة في سبيل الله ... " [4] ، أمّا قوله : " إلى أضعاف كثيرةً " ، فلقد استفيد منه أن " كثيرة " هنا : " وإن كانت نكرة ؛ إلاّ أنها أشمل من المعرفة ، فتقتضي لهذا ، أن يحسب توجيه الكثرة على ما يمكن " [5] ؛ لقوله . تعالى . : ﴿ **وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [6] ، وهنا يَتَآزَرُ الإطناب مع التأكيد ، والذي ورد بقوله : " عنده " إشارة إلى الشرف ومزيد من الاعتناء ، وقوله : " كاملة " إشارة إلى تعظيم الحسنة وتأكيد أمرها،ودفع توهم نقصها [7]؛ لكونها نشأت عن الاهم المجرد ، فكأنه قيل بل هي كاملة ، لا نقص فيها ، " وعكس ذلك في السيئة ، فلم يصفها بكاملة ، بل أكَّدها بقوله : " واحدة " ، إشارة إلى تخفيفها ، مبالغة في الفضل والإحسان " ؛ وفي الحديث إخبارٌ وبإسلوب الإيماء *، بأن " المَلِكَ يطلع على ما في قلب الآدمي، إمّا بإطلاع الله إياه ، أو بأن يخلق له عِلْماً يدرك به ذلك، وقيل بل يجد الملك للسيئة رائحة خبيئة ، وللحسنة رائحة طيبة ... " [8] ، ولمزيدٍ من تحقير عمل

(1) الحديث النبوي وعلم النفس ، ص 172 .
(2) دليل الفالحين : 1 / 69 .
(3) ينظر : م . ن : 1 / 69 .
(4) فتح البارئ : 11 / 394 .
(5) دليل الفالحين : 1 / 68 .
(6) سورة البقرة ، الآية (261) .
(7) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 5 / 131 ؛ فتح البارئ : 11 / 394 .
* هو نوع من أنواع الكناية، الذي قلت وسائطهُ ، مع وضوح الملزوم . ينظر: مفتاح العلوم ، ص 543 ؛ فنون بلاغية ، ص 377 .

الإنسان للسيئة ؛ لم يقل " عنده "، كما في عمل الإنسان للحسنة؛ لذا كان من المؤكد ، انحسار الإطناب ، بل وحتى انعدامه ، عندما ذكر السيِّئَةَ ؛ وهذا يوحي بضرورة تجنبها والابتعاد عنها ، كما ابتعد عن الإطناب في ذكرها .

2 . عطف الخاص على العام : (5) مواضع .

غرضٌ يرميه المتكلم ، بتنويع ذكر الخاص بعد العام ، اهتماماً به وتنبيهاً على فضله ، وقد ورد ذلك الفن الإطنابي في حديث يرويه لنا معاذ (ﷺ) ، عندما سأل الرسول (ﷺ) عن عملٍ يُدخله الجنة ، فأجابه بقوله : ((**لقد سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وإنَّه لَيَسيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليه : تَعبدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وتُقيمُ الصلاة، وتُؤتي الزكاةَ ، وتَصومُ رمضان ، وتحجُّ البيتَ**)) [1] .

من الوسائل التي إعتاد عليها رسول الله(ﷺ) هو التمهيد للإجابة بمقدمة قصيرة تعجل بالحكم ، وتنبه السائل ، على فخامة المسؤل عنه ؛ لذا أَكَّدَها تأكيداً بليغاً وعظّمها غاية التعظيم ، وكذا كلما قصد أن يجيب على سؤال ، جعل له تمهيداً وتوطئة؛ ليمكنه في الذهن ويوطنه فيه [2] ؛ إذ أخرج قوله : " لقد سألتني عن عظيم " مخرج الخبر الإنكاري لما رأى (ﷺ) في معاذ شائبة الإنكار من التهاون في السؤال [3] ، فتوالت التأكيدات في قوله : " وانه ليسير على من يسره الله عليه " ، بينما أخرج قوله : " تعبد الله لا تشرك به شيئاً " مخرج الخبر الابتدائي لأن معاذاً كان خالي الذهن غير عالم بالخبر المقدم لهُ [4] ، ومما يزيد الحديث بلاغةً ، هو حُسْن استخدام الظاهر والمضمر فيه ، فقوله : لا تشرك به ، إما عائد إلى الله . تعالى . أو على ما دَلَّ عليه قوله " تعبد الله " ، لكن الثاني أولى ؛ بينما أقام الظاهر مقام المضمر في قوله : " تعبد الله "

---

(8) فتح البارئ : 11 / 394 ؛ فيض القدير : 2 / 313 .

(1) ح (29) ، ص 197 .

(2) ينظر : التبيان في البيان ، ص 441 .

(3) ينظر : م . ن ، ص 436 .

(4) ينظر : م . ن ، ص 436 .

إشعاراً باستحقاقه لها أو بتعظيم الأمر [1] . وقرن قوله : " لا تُشرك به شيئاً " ، بقوله : " تعبد الله " ودون العطف بالواو ؛ " ... لأن الكفار كانوا يأتون بصورة عبادة الله ـ تعالى . في بعض الأشياء ويعبدون أيضاً الأوثان وغيرها ، ويزعمون أنهم شركاء فنفى ذلك " [2] . وهنا يظهر دور الإطناب ، وذلك بتواشج عطف الجمل تخصيصاً بذكر أهم موجبات العبادة وأفضل ما ينوي به التقرب إلى الله . تبارك وتعالى . في عبادته، بَعْدَمَا عَمَّمَ بالعبادة ، فقال النووي : يُحتمل أن المراد بالعبادة هو معرفة الله ، فيكون عطف الصلاة والزكاة والصوم والحج ؛لادخالهم في الإسلام، ويحتمل أن يراد بالعبادة ، الطاعة مطلقاً . وهو الأصح . فيكون عطف الصلاة والأمور الأخرى على العبادة من عطف الخاص بعد العام [3] ؛ لكونهم أظهر شعائر الإسلام [4] ، وتنبيهاً على فضلهم وعظمتهم ورفعاً لمنزلتهم عند الله ﷻ . أوردهم بصيغة الفعل المضارع ، ليشير إلى ضرورة تجدُّد واستمرار العبد في تأديتهم دون انقطاع .

ومنه أيضاً ، نطالع حديثاً يرويه لنا العِرباض (ﷺ) ، عن رسول الله (ﷺ) ((**... أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، والسَّمعِ والطَّاعةِ ...))** [5] . فتقوى الله ، هو شعور في الضمير ، وحالة في الوجدان ، ينبثق منها اتجاهات وأعمال عديدة تتوحد بها المشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة ، وتصل الإنسان بالله في سره وجهره [6] ، مما تجعل الإنسان ،ممتثلاً بأوامره ، مُجتنباً نواهيه، ومن ثَمَّ أراد الرسول (ﷺ) تخصيص أهم موجبات التقوى وذلك بعطف " السمع والطاعة " على التقوى ، كما يعطف الخاص بعد العام لمزيد من الاهتمام [7] ،ومن هنا قال ابن جني : عطف الخاص بعد العام ، يأتي لميزة يتمتع بها ذلك الخاص ؛ لأنه يدخل في جملة العام [8] .

---

(1) ينظر : م . ن ، ص 437 .

(2) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 7 / 157 .

(3) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 7 / 157 ؛ شرح الكرماني : 1 / 195 ؛ إرشاد الساري : 1 / 204 .

(4) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 217 .

(5) ح (28) ، ص 196 .

(6) في ظلال القرآن ، سيد قطب : 1 / 41 .

(7) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 414 .

(8) ينظر : المحتسب : 2 / 53 .

* هذا الحديث قد سبق تحليله في صفحة : 43 و 72 .

3 ـ عطف العام على الخاص : (1) موضع .

قد يذكر المتكلم لفظاً ، لإفادة العموم والشمول ، عاطفاً على لفظٍ يفيد الخصوص ، ومنه ما ورد عن أبي رُقيَّةَ الدَّاريَّ (رضي الله عنه) ، أن النبي (ﷺ) قال * : **((الدّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنا : لِمَنْ ؟ قال : لله ، ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأَئِمَّةِ المسلمينَ وعامَّتِهِم))** [1] .

فالمتمعن في الحديث ، يجد أن طريقة ذكر العام بعد الخاص ، قد ورد ذكرها مرتين ، الأولى : في قوله " ولأئمة المسلمين " ، والثانية في قوله : " وعامتهم " ، فلو رجعنا إلى كتب اللغة، لوجدنا أن المراد بـ " الأئمة " : جمع إمام وهو: " كلُّ من اقتدى به ، وقدّم في الأمور ، والنبي (ﷺ) : إمام الأئمة ، والخليفة إمام الرَّعية ، والقرآن إمام المسلمين " [2] . فكان من الممكن أن يقتصر على قوله : " أئمة المسلمين " ؛ لأنه لفظ يشمل القرآن والرسول (ﷺ) ولكنهُ خصَّ الأمّة بالذكر ، وهذا من بلاغة هذه الطريقة ؛ لأنها تذكر اللفظ مرتين ، مَرَّة ظاهراً مستقلاً بلفظ خاصٍ له وَمَرَّة : مُضمراً مندرجاً تحت لفظ يفيد العموم ، ولعلنا نَتَساءل : لما أورد اللام في قوله : " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين " ، بينما امتنع عن ذكرها في قوله : " وعامتهم "؟ فالإجابة على ذلك : أنه لو ذكر اللام؛ لشعر أن هناك انفصالاً ما بين قوله " أئمة المسلمين " وقوله " عامتهم " ونحن نعلم أن " أئمة المسلمين " هم من جملة عامة المسلمين ، فذكر قوله : " عامتهم " ؛لِتعم النصيحة على جميع المسلمين ، بعد تخصيص الأئمة بالذكر تشريفاً لهم ورفعاً لمنزلتهم وتعظيمهم عند الله ورسوله .

4 ـ التكرار : (4) مواضع .

التكرار من أقوى طرق الإقناع عند علماء النفس [3] ، وخير الوسائل التي تركز الرأي والعقيدة الإسلامية في النفس البشرية ، فالتكرار : هو أن يأتي المتكلم

(1) ح (7) ، ص 183 .
(2) معجم مقاييس اللغة : 1 / 28 .
(3) ينظر : الحديث النبوي وعلم النفس / ص 176 .

بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أم مختلفاً أو يأتي بمعنى ثم يعيده [1] .

ومنه ، حديث يرويه لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) ، قال : **((مَنْ كانَ يُؤْمِنْ باللهِ واليومِ الآخر ، فليقُلْ خَيْراً أوْ لِيَصْمُتْ ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخر ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))** [2] .

من سنن الرسول (ﷺ) أن يبدأ أحاديثه ، بمقدمة تستثير السامع لكلامه ، وبخطاب مباشر يوجه لهُ ، إبتدأ بأداة الشرط " مَنْ " ؛ ليسيطر على الحديث أسلوب الشرط والجزاء في العمل ، وتصعيد الحدث ، لدرجة شمول جملة فعل الشرط لأهم ما يقتضي الإيمان به ، فقال ابن حجر العسقلاني : " وخصه بالله واليوم الآخر ، إشارة إلى المبدأ أو المعاد ، أي مَنْ آمن بالله الذي خلقه وآمن بأنه سَيُجازيه بعمله ... " [3] ، مِمّا يوقظ النفس ويحرك الهمة إلى المبادرة إلى امتثال وتأدية الغرض الذي يريده (ﷺ) في حديثه وأول هذا الغرض هو القول خيراً أو السكوت عنه ، فقال النووي : معناهُ إذا أراد أن يتكلم بخير محقِّقٍ يثاب عليه، واجباً أو ندباً ، فليتكلم به، وإن لم يظهر لَهُ أنه خيرٌ فليمسك عن الكلام ، سواء أظهر أنه حرام أو مكروه أو مُباح [4] ؛ولعل السبب في مجيء الأفعال المضارعة وسيطرتها على الحديث ؛ لتأكيد ضرورة استمرار وتجدد إيمانه بالله واليوم الآخر، بتجدد حدوث الأمور المخصصة في الحديث ، لا سيما وإنها قد اقترنت بلام الأمر ، للدلالة على الوجوب في التعامل مع تلك الأمور . وأراد الرسول (ﷺ) تقرير مَبْدَأ إكرام الضيف ، فكان من الممكن ، الاقتصار على جملة فعل الشرط مَرَّة واحدة والاكتفاء بها ، تعبيراً عن جُمَلِ الشرط الثلاث ، ولكن تكرارها جعل كل جملة من جمل الشرط " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر "، مستقلة بنفسها، فإستحضار المعنى المستنبط من جملة فعل الشرط وتكرارها أكثر من مرة ، قد عظم شأن ، " الجار " ، وكذا في تكراره مرة ثالثة بشأن " الضيف " ، مما يخلق موقفاً شعورياً وانفعالياً [5] تجاه صاحب الجار

---

(1) ينظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية ، ص 111 ؛ المثل السائر : 2 / 156 . 157 .

(2) ح (15) ، ص 186 .

(3) فتح الباريء : 10 / 548 .

(4) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 1 / 189 .

(5) ينظر : التكرار في الشعر الجاهلي . دراسة أسلوبية . ، موسى ربابعة ، (مجلة مُؤتة للبحوث والدراسات ، مج 5 ، ع 1 ، 1990) : 160 .

ومكرم الضيف ، وخصوصاً وأنهما قد اقترنا بمدى إيمانه بالله واليوم الآخر ، وبذلك يمكن تحقيق أكبر قدر من الاستجابة بتلك الأداة اللغوية التي أفادت تقرير المعنى في النفس وإنطباعه في الذهن .

وهكذا كان التكرار ، مُلبياً لحديثٍ قيل عنه ، انه من جوامع الكلم ، لأن الأمور الثلاثة المخصصة في الحديث ، هي الأصول ، فالأول منهما إشارة إلى القولية ، في ضرورة التخلي عن الرذائل إما قولاً بالخير أو سكوتاً عن الشر، والثاني والثالث منهما، إشارة إلى الفعلية ، وذلك في ضرورة التحلي بالفضائل والشفقة على خلق الله ، أما فعلاً لما ينفع أو تركاً لما يضر الجار ويؤذيه [1] .

وقد يخرج التكرار ، إلى أغراض بلاغية ، كالتلذذ في ذكر المكرر ، ومنه ما ورد عن عمر (رضي الله عنه) ،قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ((**إنَّما الأعْمالُ بالنِيَات ، وإنَّما لِكُلِّ إمرِئٍ مَا نَوى ، فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله ، وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصِيبُها أو إمرأَةٍ يَنْكِحُها فهجرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إليه**)) [2] .

فالتكرار النبوي ، له دلالته الفنية التي لا يسبر غورها ، إلاّ صاحب الفهم الثاقب والذوق السليم في استنباط جماليات النص المكرر ، ولعل القارئ يتبادر في ذهنه : لماذا كَرَّرَ قوله : " فهجرته إلى الله ورسوله " بينما لم يكرر عندما ذكر الهجرة إلى الدنيا أو المرأة ؟، ولنبدأ الإجابة أولاً بعلماء النفس وما استنتجوه بدراساتهم النفسية وما توصلوا إليه ، مِنْ أن التكرار خيرُ وسيلة يُثَبَّت بها المعلومات والمهارات ، ويساعد على جودة التذكر ، سواء أكان التكرار بالألفاظ أم بالأعمال [3] .

وهذا القول هو قريب من قول علماء البلاغة ، أن التكرار هو خير وسيلة لتثبيت المعنى وانطباعه في النفس ، فالرسول (ﷺ) ، عندما أراد أن يرفع شأن المهاجر إلى الله ورسوله ، أعاد اللفظ مرة أخرى ؛ ليثبت جزاء من قصد ذلك في نفسه استلذاذاً بذكره وتعاطفاً معه "، " ولم يقل ... فهجرته إليهما، وإن كان أخصر، بل أتى بالظاهر ، فقال

(1) ينظر : شرح الكرماني : 1 / 156 .
(2) ح (1) ، ص 178 .
(3) ينظر : الحديث النبوي وعلم النفس ، ص 186 .

فهجرته إلى الله ورسوله " وأجيب : بأن ذلك من آدابه(ﷺ) ، وفي تعظيم اسم الله ﷻ ، أن لا يجمع مع ضمير غيره ... " [1] . ويمكننا استنباط غرض آخر يفرزه لنا التكرار " ... فالجملة اللاحقة مؤكدة للسابقة ، فيكون ذكر الحُكم بالأولى وتأكيده بالثانية ؛ تنبيهاً على سرِّ الاخلاص وتحذيراً من الرياء المانع من الخلاص ، وقد علم أن الطاعات في أصل صحتها وتضاعفها مرتبطة بالنيات ، وبها ترجع إلى خالق البريات " [2] ، لذا عَدَّ شراح الحديث [3] هذه العبارة ، كناية عن شرف الهجرة وكونها بمكانة مرموقة عنده . تعالى . أو كونها مقبولة مرضية ، فلا اتحاد بين الشرط والجزاء ؛ لأنهما وإن اتحدا لفظاً لكنهما مختلفا معنىً .

بينما لم يكرر اللفظ بعينه عندما ذكر الهجرة للدنيا أو المرأة ، حَثّاً على الإعراض عنهما وعدم الاحتفاء بشأنهما ، وتنبيهاً على أن العدول عن ذكرهما ابلغ في الزجر عن قصدهما [4] . وثمة إشارة في حكمة التغاير في التعبير هنا بـ " اللام وإلى " والذي استفيد منه ، أن مَنْ كانت هجرته لأجل تحصيل ذلك كان هو نهاية هجرته لا يحصل له غيره ، حتى عُدَّت هذه العبارة ،كناية عن تحقير الهجرة وعدم قبولها .

أمّا عن سبب تخصيص المرأة مع العلم أنها داخلة في مسمى الدنيا ؛ فأجيب : من وجوه [5] :

الأول : أنه لا يلزم دخولها في هذه الصيغة ؛ لأن لفظة " دنيا نكرة ، وهي لا تعم في الإثبات ، فلا تقتضي دخول المرأة فيها .

الثاني : أنه للتنبيه على زيادة التحذير، لأنها أعظم أسباب فتنة الدنيا ، فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام . وهذا القول يحتاج إلى وقفة للنقاش ، إذ أن عطف الخاص بعد العام يختص بحرف العطف : الواو ، ولا يختص بالحرف الوارد في الحديث : " أو " ؛ لذلك ذهب بعضهم إلى أن الأجود ، جعل " أو " للتقسيم دون العطف لجعلها

(1) عمدة القارئ : 1 / 59 .
(2) ارشاد الساري : 1 / 77 .
(3) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 44 .
(4) ينظر : فيض القدير : 1 / 43 .
(5) ينظر : عمدة القارئ : 1 / 60 .

قسماً مقابلاً للدنيا ، إيذاناً بشدة الافتنان بها [1] ، وبهذا القول يخرج قول القائل أن العبارة من عطف الخاص على العام .

5 . التتميم : (1) موضع .

من طرق الإطناب ، التتميم ، " وهو أن يؤتى في كلام ، لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة " [2] لتقرير المعنى في النفس البشرية [3] . وقد ورد التتميم في حديث يرويه لنا وابصة بن معبد (رضي الله عنه) ، قال : أتيتُ رسول الله (ﷺ) ، فقال : ((**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قال : إسْتَفْتِ قلبكَ ، البِرُّ ما إطْمَأَنَّتْ إليه النفسُ ، واطمَأنَّ إليه القلبُ ، والإثمُ ما حَاكَ في النَّفسِ وَتَرَدَّدَ في الصَّدرِ، وإنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وأفتوكَ**)) [4] .

من الملاحظ أن هذا الحديث . كما هو مبين . يُمجد لنا الحكم القلبي عند الإنسان وجعله الآمر والناهي بمؤازرة النفس في اتخاذ الأمور والتدابير التي تطرأ على المسلم، وبتحديد علامات توجِّهَهُ إلى برِّها أو إثْمِها ، وتصعيد المعنى ، لدرجة دحض الفتوى ، وانكارها إذا كان القلب لا يميل لها والنفس لا تطمأن لها ، فكثرة الفتوى ، قد تعسر على السائل ما يُريد الوصول إليه وخصوصاً في زمن تكثر فيه الفتاوى ، مما يؤدي إلى تضارب في وجهات النظر لسؤاله ، مما يحدث قلقاً نفساً ، نتيجة لتصارع تلك الوجهات مع ما يميل إليه القلب أو تَطْمَئِنُّ له النفس ، وهنا يظهر دور التتميم في حسم النتيجة لصالح القلب والنفس في اتخاذ الأمور التي ينبغي اتخاذها ، فقال الطيبي : " وإن أفتاك الناس وأفتوك ... شرط قطع عن الجزاء ، تتميماً للكلام السابق وتقريراً له على سبيل

(1) ينظر : فيض القدير : 1 / 42 .

(2) الإيضاح ، ص 116 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 388 .

(3) ينظر : الفوائد المشوق في علوم القرآن وعلم البيان ، ص 90 .

(4) ح (27) ، ص 196 .

المبالغة " [1] ، إذ يصف لنا الطب النبوي علاجاً مناسباً ، يُثلجُ فيه صدور السائلين، فعن طريق القلب والنفس تتلاشى فيه جميع الفتاوى ؛ لأن الناس إنما يَطَّلعون على ظواهر القلوب المتمثل باللسان ،لا خباياها وأسرارها الكامنة فيها والتي لا يَطَّلع عليها،إلاّ صاحبها بعد خالقها؛ لذا كان من الأَولى تغليب أوامرها ونواهيها على سائر الفتاوى ، فقيل أنَّ على قلب المؤمن نوراً يتقد ، فإذا ورد عليه الحق التقى هو ونور القلب حتى يمتزجا ويأتلفا ، فيهش القلب حتى يَطْمَئِنَّ له ، وإذا ما ورد عليه الباطل ، نفر نور القلب ولم يُمازجه حتى يضطرب في عدم الطمأنينة لَهُ [2]،ومما يزيد من بلاغة التتميم ، هو اقترانه بالتأكيد اللفظي ؛ لتقرير المعنى ، إذ وحَّد الفعل الأول " أفتاك " ؛ لإسناده إلى ظاهر ، واعادَهُ مَرَّة أُخرى بصيغة الجمع : أفتوك ؛ لإسناده إلى ضمير الجمع [3] .

والتتميم يبرز لنا أيضاً أدب الخطاب النبوي مع العلماء ، إذ أنه لم يصرح بذكرهم ، مع أن مقام الحديث لهم ؛ لأن ذلك مشعر بإنحطاط منزلتهم في نظر الناس ، وعدم الاقتداء بتعاليمهم والامتثال بأوامرهم ، وهذا مالا يُريده الرسول (ﷺ) ، وإنما خص الناس بالذكر ؛ لأن الفتوى مرض اجتماعي يُصاب به كثير من العامة التي تصدر الفتوى دون علم مسبق لها .

6 . التذييل : (1) موضع .

التذييل : هو تعقيب الجملة ، بجملة تشتمل على معناها للتوكيد ، ولتحقيق دلالة المنطوق الأول ومفهومه ؛ فيكون معه كالدليل عليه [4] . ومنه ما ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : ((**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمن كُربَةً مِنْ كُرَب الدُّنيا ، نَفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً من كُربِ يومِ القيامةِ ، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ**

(1) شرح الطيبي : 6 / 22 .
(2) ينظر : فيض القدير : 3 / 285 .
(3) ينظر : شرح الطيبي : 6 / 24 .
(4) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 3 / 68 ؛ الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 278 .

في الدُنْيا والآخرة ، ومَنْ سَتَرَ مُسلِماً ، سَتَرَهُ الله في الدنيا والآخرة ، والله في عونِ العبد ما كانَ العبدُ في عون أخيه ...)) [1] .

لمّا كان محور الحديث وأساسه يدور حول جزاء مَنْ قام بتنفيس أو تيسير أو ستر المسلم ؛ أحكم على جمل الحديث أسلوب الشرط والجزاء ، ؛ ولتجسيد تلك الأعمال وغرسها في نفوس المسلمين ، ينقلنا السياق إلى ما يدلُّ على الثبوت والدوام باستخدام الجملة الأسمية ؛ ليُشير إلى ثبوت ودوام الحكم الإلهي على العبد في قوله : " والله في عون العبد " ، إذا ثبت دوام الخبر وهو المصدر المؤول في قوله : " ما دام العبد في عون أخيه " ، لا سيما وان هذه الجملة قد وقعت موقع التذييل لجمل الشرط السابقة ، لتأكيد العناية الإلهية بضمون تلك الجمل ، فقال الطيبي : " والله في عون العبد " تذييل للسابق ؛ لاشتماله على دفع المضرة عن أخيه المسلم ، وعلى جلب النفع له ... " [2] . فالجملة التذييلية في الحديث ، قد أغنت الحديث من جانبين :

الأول : أنها مثّلت تركيباً جملياً تام المعنى ، يقدم حقيقة إخبارية جديدة إلى المتلقي .

الثاني : التذييل بجملة تتمتع ببناء تركيبي دلالي تام المعنى ، ترسخ الفهم لدى المتلقي ، وتضم معلومات تعزز المعنى السابق لها وتؤكِّدهُ من خلال عقد الترابط الدلالي فيما بينهما [3] .

ولمّا كان التذييل ، يمكن أن يجري مجرى المثل ، جاءت تلك الجملة وقد أجريت ذلك المجرى ، فإذا ما مَرَّ المسلم بموقف يعين فيه أخاه المسلم ، جاءت تلك الجملة التذييلية مُشجعة ذلك الموقف ومحفزة للقيام به ، فأخرجت مخرج المثل التي تُردِّدَهُ الألسنة في مثل تلك المواقف ، وهذا ما يحقق الأهداف السامية وترسيخها في نفوس المسلمين ، إذ أن من الوظائف الأساسية للتذييل الجاري مجرى المثل ، هو تقرير حقيقة المعنى العام وتوجيهه على نحوٍ يحقق الترابط بالمتقدم [4] مما يضفي عليه وظيفة نصحية وإرشادية .

---

(1) ح (36) ، ص 202 .

(2) شرح الطيبي : 1 / 238 .

(3) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم . أنماطه ودلالاته ، وفاء فيصل ، أطروحة دكتوراه ، ص 242 .

(4) ينظر : م . ن ، ص 243 .

الفصل الأول

أساليب علم المعاني في أحاديث الكتاب

الفصل الأول

أساليب علم المعاني الواردة في احاديث الكتاب

علم المعاني : " علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال "[1] .
وسندرس علم المعاني في أحاديث الكتاب ، حسب مباحث هي :

المبحث الأول : الأسلوب ((القالب النحوي للأسلوب)) الخبر والأنشاء:

أولاً: الأسلوب الخبري

ثانياً: الأسلوب الإنشائي

أ- الأمر .

ب- النهي .

ج- الاستفهام .

د- النداء .

المبحث الثاني : أحوال الجملة ((صور التنوع في بناء الجملة))

أولاً : التقديم والتأخير .

ثانياً : الإيجاز والإطناب .

المبحث الثالث: الحروف والأدوات

أولاً: التعريف والتنكير

ثانياً : القصر .

ثالثاً : الفصل والوصل

(1) التلخيص في علوم البلاغة ، القزويني ، ص 37 .

المبحث الأول

الخبر

المبحث الأول

الخبر

الخبر لغةً : هو العلم بالشيء ، وما أتاك من نبأٍ ، عمّا يستخبره [1] .

الخبر اصطلاحاً : " الكلام الذي يستفيد منه المتلقي معلومات لم يكن يعرفها من قبل عند إلقائِهِ إليه " [2] .

أضرب الخبر :

لمّا كان المتكلم والمخاطب ، هما القطبان الرئيسان في عملية التواصل اللغوي ، فإن سياق الخبر الذي سيلقيه المتكلم إلى المخاطب ، يجب أن يراعي حال المخاطب من حيث كونه خالي الذهن من الخبر المقدم له ؛ لأنه لا علم لَهُ فيه ، وحينئذٍ سَيُلقى إليه بسياق خالٍ من المؤكدات * . وهذا ما أطلق عليه البلاغيون مصطلح الخبر الابتدائي .

أمّا إذا تردد المخاطب أو شكّ فيه ، وجب على المتكلم ، أن يأتي بمؤكد ليُقنعهُ به ، وهذا ما يسمى بالخبر الطلبي .

وإن عرف المتكلم ، بأن المخاطب منكرٌ للخبر المقدم لهُ ،وجب عليه أن يؤكد خبره بمؤكدين أو أكثر ، وحينها يسمى الخبر إنكارياً [3] ، وهذا ما سنحاول تطبيقه على طائفة مِنْ أحاديث الكتاب .

---

(1) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس : 2 / 239 ؛ لسان العرب ، ابن منظور : 1 / 783 .

(2) عقود الجمان في المعاني والبيان ، جلال الدين السيوطي : 2 / 239 .

* **مؤكدات الخبر** كثيرة ، منها : إنّ وأنّ وكأنّ ولكن ولام الابتداء وضمير الفصل وحرف التنبيه ، إلا واما والحروف الزائدة ، والسين والقسم والجملة الأسمية . ينظر: البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب ، ص 13 ؛ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، ص 46743 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن ، ص 73 . 79 .

(3) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص 13 . 14 .

1 . الخبر الإبتدائي :

الناظر في أحاديث الكتاب ، يجد أن هذا النوع من الخبر ، قد وَرَدَ في (12) موضعاً من تلك الأحاديث ، وهو أقل أضرب الخبر وروداً مقارنةً بالأضرب الأُخرى .

فالرسول (ﷺ) ، كان عالماً بمستوى فهم المخاطبين للأخبار التي يُلقيها إليهم ، فإذا ما أُلقيَ الخبر إليهم ، وكان لا يحتمل الشك أو التردد أو الإنكار ، استدعى ذلك مجيء الخبر خالياً من المؤكدات ، فينزل المخاطب منزلة الخالي الذهن من الحكم الذي يتضمنه الخبر ، ومنه نطالع حديثاً يرويه لنا عمر بن العاص (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((**لا يُؤمِنُ أَحدُكُم ، حَتى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**)) [1] .

فمن الملاحظ ، أن الرسول (ﷺ) قد مَهّد حديثه بُمقدمة ، خُصِّصَ فيها ، أهم ما يسعى إليه المؤمن في دُنياهُ ؛ وهو الإيمان ؛ لينال به الجنة ويتجنب عذاب الآخرة . ولا شك أن نفيه عنه ، قد شدَّ انتباهَهُ وجلب اهتمامه ؛ لمعرفة حكم الخبر الكامن وراء نفي الإيمان عنه ، وهذا ما جعل الرسول (ﷺ) ، أن يلقي خبرهُ ، خالياً من أي مؤكدات ، تؤكِّدَهُ ، إذ لا حاجة في مثل هذه الأخبار لتلك المؤكدات . ولابدَّ من الإشارة، بأن حكم الخبر هنا ، قد تضمن اشارات بلاغية ، تتمثل بحسن استخدام حرف العطف " حتى " وتوظيفه في الحديث من بين حروف العطف الأُخرى ، وقد أكَّد الطيبي ذلك بقوله : " وما أحسن موقعها ؛ لأنها مُؤَذِّنة بأَنَّ الفعل المضارع المنفي بـ " لا " ، إنما اكتمل على سبيل التدرج ، حتى بلغ إيمانه إلى درجة أَلجأَ الهوى إلى اتباع الشرع "[2] ، فضلاً عن حسن استخدام الأفعال المضارعة . " يؤمن ، يكون " . وتوظيفها في الحديث بوظيفة ، تجدد إيمان المسلم ، إنْ تجدَّد هواهُ ، تبعاً لما جاء به (ﷺ) .

ولعل الذي يثير تساؤلنا هنا: ما سبب تخصيص الرسول (ﷺ) ، الهوى بالذكر ؛ ليقرنه بالإيمان ؟ ونحن نعلم أن الهوى ، لا يطلق إلاّ على خلاف الحق ، وقد ورد في القرآن الكريم ، ما نستدل به على ذلك ، بقوله . تعالى . : ﴿ **وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى** ﴾

---

(1) ح (41) ، ص 204 .

(2) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، شرف الدين الطيبي : 1 / 366 .

[1] ، فكان من الممكن أن يقول (ﷺ) : حتى يأتمر بكلِّ ما جئت به أو هو تابع لما جئت به .

فالإجابة على ذلك نقول : أن المأمور بالشئ ، قد يفعلهُ اضطراراً ، ولكن هوى النفس ، بخلاف ذلك ؛ لأن النفس . كما قيل . في أصل خلقها، مجبولة على الميل إلى الشهوات النفسانية [2] . وكأَنَّ الرسول (ﷺ) ، أراد من المؤمن ، أن يكون مَيْله إلى ما جاء به (ﷺ) ، من مبادئ الشريعة الإسلامية ، كميله إلى الملذات الدنيوية التي أحلها الله ﷻ له ، دون ضجر أو كراهية في العمل بها . وإنما قيل : " هواه تبعاً " ولم يقل هو تابع ؛ للإيذان بالمبالغة،وان هواه الذي هو معبوده في قوله . تعالى . : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ [3] ، إذا كان تابعاً للشرع ، كان أبلغ مما يقال : إنه تابع له[4] .

2 . الخبر الطلبي :

المتأمل في أحاديث الكتاب ، يجد أن مواضع الخبر الطلبي فيه ، قد كثرت ، حتى وصلت إلى (22) موضعاً من تلك الأحاديث .

فقد يحتاج الخبر الذي يُلقيه الرسول (ﷺ) إلى مُؤكدٍ ، إشعاراً بأهمية ما يريد توصيله إلى السامعين له وبعد الشك أو التردد عنهم ، ومنه نطالع حديثاً يرويه لنا أبو عباس (رضي الله عنهما) أن الرسول (ﷺ) قال : ((**إنَّ الله تَجَاوَزَ لِي عن أُمَّتِي الخَطَأَ والنِّسْيانَ وَمَا استُكْرِهُوا عليه**)) [5] .

فلقد أراد الرسول (ﷺ) ، أن يبشر الناس بأن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، من الأمور التي يتجاوزها الله . تبارك وتعالى . ، ولكي يُبعد الشك عنهم ، أو التردد في قبول الخبر الملقى إليهم ، عَمَدَ الرسول (ﷺ) أن يبدأ حديثه بالأداة : " أن " التي

(1) سورة النازعات ، الآية : 40 .
(2) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 365 .
(3) سورة الجاثية ، الآية : 23 .
(4) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 365 .
(5) ح (39) ، ص 203 .

وصفها علماء البلاغة ، بأن من أول محاسنها ، أنها ترد للتأكيد [1] . أي تأكيد الخبر الذي يُلقيه المتكلم على السامع ليرسخه في ذهنه ، فحسن موقعها في الحديث . والمتأمل في لطائف البيان النبوي ، يلتمس ، إن استعارة فعل المضي : " تجاوز " ، وإطلاقه ليشمل الحاضر والمستقبل ، قد أفاد أن حدث التجاوز عن تلك الأمور المخصصة في الحديث ، أصبح قاعدة إسلامية ، قد سبق إقرارها ، منذ بدء الخليقة وجريان حكمها حاضراً ومستقبلاً ، وتخصيص صدور حكمها بأمة " محمد : (ﷺ) دون الأمم الأُخرى ، قد استدعى مجيء الجار والمجرور: لي " الذي أفاد التخصيص ، أي لأجلي قد تجاوز تلك الأمور ، شريطة أن يكون من أمتي لا مِنْ أُمَّةِ غيرى .

3 . الخبر الإنكاري :

ورد هذا النوع من الخبر في (17) موضعاً في أحاديث الكتاب . فقد يحتاج الخبر الذي يُلقيه المتكلم على السامع ، لأن يؤكد بأكثر من مؤكد ، ومنه نطالع حديثاً يرويه لنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) عن الرسول (ﷺ) ((**... فَوَاللهِ الذي لا إلَـهَ غيـرُهُ إنَّ أحـدكُم لَيَعْمَـلُ بِعَمـلِ أهـلِ الجَّنـة حَتَّـى مـا يكـونُ بَيْنَـهُ وبينهـا إلاّ ذراعٌ فيسبقُ عليهِ الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا . وإن أحدَكُم لَيَعْمَلُ بعملِ أهْل النَّارِ حَتَّى ما يكونُ بَيْنَهُ وبينها إلاّ ذراعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيَهِ الكِتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**)) [2] .

هذا الحديث يجسد لنا أحداثاً مستقبلية تنتظر الإنسان لحظة مماته ، ومثل هذه الأحداث بالتأكيد ، تحتاج إلى مؤكدات عدة لدفع الشك أو التردد أو انكار المخاطب لتلك الأحداث ، ولِئلاّ يُفاجئ السامعين بتلك الأحداث ، استخدم الرسول (ﷺ) خير ما يفتتح به الكلام وهو القسم بلفظ الجلالة : " اللَّهُ " وهو أعلى أنماط القسم واجلّ تراكيبه وأصدق ألفاظه ، وهو أكثر ألفاظ القسم انتشاراً في الحديث النبوي ، خصوصاً بعدما حرّم القسم بغير الله منذ ظهور الإسلام [3] ، فضلاً عَمَّا يحمله هذا النوع من التأكيد من تيقن في

(1) ينظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 250 .

(2) ح (4) ، ص 181 .

(3) ينظر : بناء الجملة في الحديث النبوي ، عودة أبو عودة ، ص 494 .

صحة ما يقال ، لا سيّما وأنه يصدر من رسول الله (ﷺ) . والذي زاد الخبر تأكيداً هو: دخول أن واللام على الأفعال المضارعة التي أفادت التجدد والحدوث، ومن المعلوم أن الفعل المضارع إذا دخلت عليه اللام المفتوحة والمسماة بلام الابتداء أو اللام المزحلقة ، أفادت توكيد مضمون الجملة [1]. إذ أن توكيد الفعل المضارع " يعمل " باللام يَحمل المؤمنين على ضرورة تحسين أعمالهم ، والتركيز على حسن الخاتمة ، لأنها أساس الأعمال ،لذا قيل أنه لا يجوز أن يشهد لأحدٍ بالجنة أو النار، لأن الله تعالى يتصرف بملكه بما يشاء ، فقد ينصرف قلب المؤمن بفعل الخيرات ، ثم يختم الله أعماله بسوءٍ أو بالعكس [2] .

وللانتقال السريع في عرض الأحداث المراد توصيلها إلى السامعين ، جيءَ بموكدٍ آخر وهو الباء الزائدة في قوله (ﷺ) " بعمل " ؛ لأنَّ قوله " عمل " قد وقع موقع المفعول ، والباء إذا وقعت ذلك الموقع كما قيل ، كانت زائدة لغرض التوكيد [3] .

ويمضي سياق الحديث في أخبارنا وبإسلوب تقريري ، استدعي ضرب المثل بالذراع ، قال الطيبي : " وهو مثل يضرب بمعنى المقاربة إلى الدخول " [4] . وهو تصوير في غاية الدقة ، إذ يصور لنا الرجل وقد قارب الوصول إلى الجنة ماشياً ولم يبقَ بينهُ وبينها إلاّ مسافة خطوة أو خطوتين للدخول فيها ، ومجيءُ الحرف " حتى " قد عزز ذلك المعنى ، والذي أفاد انتهاء الغاية [5] ، مع خلوص الفعل المضارع : " يكون " من المضي إلى الحال والاستقبال ، والسبب في ذلك أن " ما " في قوله " ما يكون " قد بطل عملها عن النفي ؛ بسبب نقض نفيها بـ " إلاّ " فخلصت ذلك الفعل إلى الحال والاستقبال [6] . فأصبحت أداة من أدوات التأكيد ، وجئ القصور بـ " إلاّ " ، لتحقيق الوصف الآتي بعدها في قوله : " ذراع " ، إذ تتسلسل أحداث الحديث ، وصولاً إلى خاتمة أمره وبتقربه من

(1) ينظر : المفصل في علم العربية ، جار الله الزمخشري ، ص 154 ؛ رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي ، ص 162 .

(2) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي : 2 / 526 .

(3) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المالقي ، ص 113 .

(4) شرح الطيبي : 1 / 239 .

(5) ينظر : الجنى الداني ، ص 498 .

(6) ينظر : م . ن ، ص 330 .

الدخول إلى الجنة، يأتي البرهان النبوي الذي يوقف مَشْيُهُ في قوله : " فيسبق عليه الكتاب " .

وقد أفادت الفاء ، عطف الفعل المضارع " يسبق " على الفعل المضارع " يعمل " للدلالة على تعقيب حصول السبق بلا مهلة ؛ لأن من معاني حرف العطف " الفاء " هو التعقيب بلا مهلة [1] ، بينما عَدَّاهُ بعلى في قوله " عليه الكتاب " ؛ لتضمنه معنى يغلب ، أي يغلب عليه الكتاب [2] ، إشارة إلى ما كتب عليه قبل نفخ الروح فيه من الشقوة ، لأنه من أهل النار ، فيعمل بعملهم فيدخل النار ، وهذا القدر يطابق حال صاحب الجنة ، الذي يعمل بعمل أهل النار ثم يسبق عليه الكتاب فيكتب من أصحاب أهل الجنة فيدخلها .

وهكذا وجدنا الانسجام الحاصل ما بين أدوات التأكيد وتنوعها ، لاقناع المخاطب إلى غاية واحدة نستنبطها من الحديث وهي أن لا يقنط الكافر من رحمة ربه بسبب سوء أعماله أو أن يغتر المسلم بصالح أعماله ، فلا يدري ما خاتمة أمره .

أغراض الخبر

" ونعني بهذا العنوان ، ما هو الغرض الذي نقصده حينما نلقي أي خبر من الأخبار، وما هي الفائدة التي نبغيها حينما نخاطب بهذا الخبر " [3] . لِذا قسّم البلاغيون أغراض الخبر إلى قسمين :

الأول : فائِدة الخبر، ومعناهُ أفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الكلام . وقد عَدَّ البلاغيون هذا الغرض ، من أهم الأغراض التي يقصدها المتكلم ، كونه الغرض الأساسي من إلقاء الخبر على المخاطب ، لذا عُدَّ الأصل فيه [4] .

الثاني : لازم الفائدة ، " وهذا الغرض لا يقدم جديداً إلى المخاطب ، وإنما يفيد أن المتكلم عالم به " [5] . ولا وجود لحديث قد ورد في هذا المعنى .

---

(1) ينظر : م . ن ، ص 121 .

(2) ينظر : شرح الطيبي :1 / 239؛ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، محمد ابن علان :2 / 292.

(3) البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 66 .

(4) ينظر : مفتاح العلوم ، السكاكي ، ص 82 ؛ المطول على التلخيص ، الدمشقي ، ص 44 .

(5) البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب ، ص 115 .

الأغراض المجازية للخبر * :

هناك أحاديث لرسول الله (ﷺ) ، نجدها في أحاديث الكتاب ، وقد خرجت إلى أغراض مجازية ، تتجاوز فيها، فائدة السامع بالخبر أو لازم الفائدة ، فيلقى إليه ، وقد أفاد معنىً ثانياً يُدرك من السياق ، ومن هذه الأغراض :

1 . الوعظ والإرشاد :

ورد هذا الغرض البلاغي في حديث يرويه لنا النَّوَّاس بن سمعان (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : ((**البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في نفسك ، وكَرِهتَ أن يَطلع عليه الناس**)) [1] .

لقد جاء الحديث ، معبراً عن المعاني السامية وبأسلوب خبري ، تجلى في تقديم الموعظة النبوية، لترشد الانسان وتحفزه على حسن الخلق ، لدرجة شمول البر . وهو اسم جامع لكل الخير . عليه . ومراعاة المقابلة * اقتضى أن يُفسر حسن الخلق بما يقابل الاثم ، فلما كان الاثم ، هو شعور النفس بعدم الطمأنينة للشيء وكراهية أن يطلع عليه الناس، فإن البر هو شعور النفس بالطمأنينة نحو الشيء ، وعدم كراهية الناس له ، " لأن النفس بطبعها تحب المدحة وتكره الذمة " [2] ، وقال الطيبي : " وضع حسن الخلق موضع اطمئنان القلب ،ليؤذن أن حسن الخلق ما أطمأنت إليه النفوس الشريفة الطاهرة ، من أوضار الذنوب ومساوئ الأخلاق المتحلية بمكارم الأخلاق من الصدق في المقال ، واللطف في الأحوال والأقوال " [3].وليفيد ثبوت حكم تلك الأخبار ودوامها،أحكم الحديث بالجملة الأسمية ، وبأسلوب القصر في تعريف المبتدأ بألـ : البر والاثم . وقد عَدَّ شُراح الحديث نوع القصر فيه ، بالقصر المجازي [4] ؛ فَقَصْرُ البرِّ على حُسْنُ الخلق وإن كان

---

* سأذكر حديثاً واحداً لكل غرض .

(1) ح (27) ، ص 196 .

* **المقابلة** : هو " الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة " . الإيضاح ، ص 192 ؛ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، العلوي : 2 / 377 .

(2) دليل الفالحين : 3 / 80 .

(3) شرح الطيبي : 9 : 274 .

(4) ينظر : فيض القدير : 3 / 284 .

مشتملاً على غيره ، مبالغة في حسن الخلق . وكذلك الحال بالنسبة للأثم ، وإنما" كان التأثير في النفس علامة للاثم؛لأنه لا يصدر إلاّ لشعورها بسوء العاقبة " [1]. فعبّر بالنفس دون القلب ،على طريقة المجاز المرسل الذي علاقته الكلية ،إذ ذكر الكل : " النفس " وأراد به الجزء وهو القلب ؛ لأن الاثم هو شعور ينتاب القلب داخل النفس البشرية .

2 . التحذير :

قد يخرج أسلوب الخبر عن معناهُ الحقيقي إلى غرض مجازي يحمل في طيَّاته تحذيراً يُفهم من سياق الكلام ، وقد ورد ذلك في حديث يرويه لنا العرباض بن سارية (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) ، كان ختامَهُ تحذيراً للمسلمين بقوله : ((**... وإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمورِ ، فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضَلالةٌ**)) [2] .

إنّ تقديم صيغة تدلُّ على التحذير ، ما يوقظ السامع ، للخبر المراد توصيله إليه ، " فإن السامع ، إذا طرقت سمعهُ (إياكم أو عليكم) انتفض من شواغله ،وألقى انتباهه ، وبخاصة إذا عرف في مُحذّره ... حرص الناصح الأمين " [3] ، على ما يهدِّد ديننا الإسلامي من مخاطر محدثات تطرأ عليه ، لتغيِّر بعض أحكامه ، فالمتأمل في الحديث يجد أن الرسول (ﷺ) ، أراد أن يحذرنا ، وبأسلوب خبري مؤكد . من زَمَنٍ تكثر فيه البدع ، فكان من المؤكد أن يُحْكَمُ الحديث بألفاظ تدلُّ على التحذير، فبدأ خبره ، بصيغة تدلُّ على التحذير ؛ ليناسب ذلك الغرض البلاغي ، فالضمير: أياً، قد جاء مفعولاً به لفعل محذوف تقديرُ " أُحَذّرُ " ، وكذلك الحال في قوله: " مُحدثات " قد وقع مفعولاً به لفعل محذوف مقدر بـ" احذروا "، هذا وإن استخدام أداة توكيد الخبر : " أن " قد أنزل المخاطب منزلة المتردد أو الشاك في مضمون الخبر ، وإطلاق البدعة على المحدثات من الأمور ؛ لأن البدعة مأخوذة من ابدعت الشيء قولاً أو فعلاً ، وذلك إذا ابتدأته لا عن سابق [4]

(1) المصدر السابق : 3 / 284 .
(2) ح (28) ، ص 196 .
(3) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 407 .
(4) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 1 / 209 .

وجيء بأداةٍ تدلُّ على العموم : " كل " ؛ ليفيد أن أي بدعة خارجة عن الإسلام تؤدي إلى الضلالة لا محالة .

3 . النهي :

قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى غرض النهي ، وقد ورد ذلك في حديث يرويه لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) ، عن رسول الله (ﷺ) : ((**... المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذلُهُ ، ولا يكذبهُ ، ولا يحقرهُ ...**)) [1] .

المسلم أخو المسلم ، عبارة " أكثر ما تُسْتعمل ... في جمع الصديق " [2] ، وقد نوّه بذلك (ﷺ) ؛ ليدفع النفس إلى طلب البيان والتفسير والتشويق لمعرفة الخبر الآتي بعده ، وإذا ما جاء ذلك الخبر ، زادت النفس في تقبله ورضاها به ، فكان أشدُّ تقريراً وتوكيداً فيها ، لا سيما وأنَّ ذلك التنويه ، قد أثار سؤالاً : وكيف يكون المسلم أخو المسلم ؟ فاستوجب الفصل ما بين قوله : " المسلم أخو المسلم " وبين الخبر الذي ورد بأسلوب النهي : " لا يظلمه ... " وذلك لشبه كمال الاتصال .

ومن الملاحظ أن الرسول (ﷺ) ، لم يُصرح بالنهي ، إذ لم يقل : " لا تظلمه " أو " لا تكذبه " ، وإنما استخدم الخبر ؛ لأنه كما قيل : " أبلغ من صريح النهي " [3] ، إذ أن " لا " في الحديث وإن كانت نافية ، إلاّ أنها تضمنت معنى النهي ، فدخلت على الأفعال المضارعة الواردة في الحديث ، فأفادت التجدد في نهي ظلم المسلم لأخيه المسلم أو خذلانهُ " بترك المعونة " [4] ، فقال النووي : معناهُ : إذا إستعان به في دفع ظالم ، وجب عليه إعانته ، قدر المستطاع [5] . أو أن لا يكذبه بأخباره خلاف مطابقة الواقع [6] ، أو يحقره ، مستصغراً من شأنه لِيذلَّهُ [7] .

---

(1) ح (35) ، ص 201 .
(2) معجم متن اللغة : 1 / 152 .
(3) نحو القرآن ، أحمد عبد القادر الجواري ، ص 99 .
(4) معجم مقاييس اللغة : 2 / 165 .
(5) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي : 5 ، 2513 .
(6) ينظر : معجم متن اللغة : 5 / 39 ؛ دليل الفالحين : 2 / 18 .
(7) ينظر : لسان العرب : 4 / 207 .

المبحث الأول

أولاً: الأسلوب الخبري

المبحث الأول

أولاً: الأسلوب الخبري

الخبر لغةً : هو العلم بالشيء ، وما أتاك من نبأٍ ، عمّا يستخبره [1] .

الخبر اصطلاحاً : " الكلام الذي يستفيد منه المتلقي معلومات لم يكن يعرفها من قبل عند إلقائِهِ إليه " [2] .

أ- أضرب الخبر :

لمّا كان المتكلم والمخاطب ، هما القطبان الرئيسان في عملية التواصل اللغوي ، فإن سياق الخبر الذي سيلقيه المتكلم إلى المخاطب ، يجب أن يراعي حال المخاطب من حيث كونه خالي الذهن من الخبر المقدم له ؛ لأنه لا علم لَهُ فيه ، وحينئذٍ سَيُلقى إليه بسياق خالٍ من المؤكدات * . وهذا ما أطلق عليه البلاغيون مصطلح الخبر الابتدائي .

أمّا إذا تردد المخاطب أو شكّ فيه ، وجب على المتكلم ، أن يأتي بمؤكد ليُقنعهُ به ، وهذا ما يسمى بالخبر الطلبي .

وإن عرف المتكلم ، بأن المخاطب منكرٌ للخبر المقدم لهُ ،وجب عليه أن يؤكد خبره بمؤكدين أو أكثر ، وحينها يسمى الخبر إنكارياً [3] ، وهذا ما سنحاول تطبيقه على طائفة مِنْ أحاديث الكتاب .

---

(1) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس : 2 / 239 ؛ لسان العرب ، ابن منظور : 1 / 783 .

(2) عقود الجمان في المعاني والبيان ، جلال الدين السيوطي : 2 / 239 .

* **مؤكدات الخبر** كثيرة ، منها : إنّ وأنّ وكأنّ ولكن ولام الابتداء وضمير الفصل وحرف التنبيه ، إلا وامّا والحروف الزائدة ، والسين والقسم والجملة الأسمية . ينظر: البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب ، ص 13 ؛ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، ص 46743 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن ، ص 73 . 79 .

(3) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص 13 . 14 .

1 . الخبر الإبتدائي :

الناظر في أحاديث الكتاب ، يجد أن هذا النوع من الخبر ، قد وَرَدَ في اثني عشر موضعاً من تلك الأحاديث ، وهو أقل أضرب الخبر وروداً مقارنةً بالأضرب الأُخرى .

فالرسول (ﷺ) ، كان عالماً بمستوى فهم المخاطبين للأخبار التي يُلقيها إليهم ، فإذا ما أُلقيَ الخبر إليهم ، وكان لا يحتمل الشك أو التردد أو الإنكار ، استدعى ذلك مجيء الخبر خالياً من المؤكدات ، فينزل المخاطب منزلة الخالي الذهن من الحكم الذي يتضمنه الخبر ، ومنه نطالع حديثاً يرويه لنا عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((**لا يُؤمِنُ أَحدُكُم ، حَتى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**)) [1] .

فمن الملاحظ ، أن الرسول (ﷺ) قد مَهّد حديثه بُمقدمة ، خُصِّصَ فيها ، أهم ما يسعى إليه المؤمن في دُنياهُ ؛ وهو الإيمان ؛ لينال به الجنة ويتجنب عذاب الآخرة . ولا شك فيه أن نفيه عنه ، قد شدَّ انتباهَهُ وجلب اهتمامه ؛ لمعرفة حكم الخبر الكامن وراء نفي الإيمان عنه ، وهذا ما جعل الرسول (ﷺ) ، أن يلقي خبرهُ ، خالياً من أي مؤكدات ، تؤكِّدَهُ ، إذ لا حاجة في مثل هذه الأخبار لتلك المؤكدات . ولابدَّ من الإشارة، بأن حكم الخبر هنا ، قد تضمن اشارات بلاغية ، تتمثل بحسن استخدام الحرف:" حتى " وتوظيفه في الحديث، وقد أكَّد الطيبي ذلك بقوله : " وما أحسن موقعها ؛ لأنها مُؤَذِّنة بأَنَّ الفعل المضارع المنفي بـ " لا " ، إنما اكتمل على سبيل التدرج ، حتى بلغ إيمانه إلى درجة أَلجأَ الهوى إلى اتباع الشرع "[2] ، فضلاً عن حسن استخدام الأفعال المضارعة . " يؤمن ، يكون " . وتوظيفها في الحديث بوظيفة ، تجدد إيمان المسلم ، إنْ تجدَّد هواهُ ، تبعاً لما جاء به (ﷺ) .

ولعل الذي يثير تساؤلنا هنا: ما سبب تخصيص الرسول (ﷺ) ، الهوى بالذكر ؛ ليقرنه بالإيمان ؟ ونحن نعلم أن الهوى ، لا يطلق إلاّ على خلاف الحق ، وقد ورد في

(1) أخرجه النسوي في كتاب الأربعين، ح(9) وابن عاصم في السنة: باب ما يحب أن يكون هوا المرء تبعاً لما جاء به النبي ﷺ، قال الشيخ الألباني: (إسناده ضعيف) .

(2) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، شرف الدين الطيبي : 1 / 366 .

القرآن الكريم ، ما نستدل به على ذلك ، بقوله . تعالى . : ﴿ **وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى** ﴾ [1] ، فكان من الممكن أن يقول (ﷺ) : حتى يأتمر بكلِّ ما جئت به أو هو تابع لما جئت به .

فالإجابة عن ذلك نقول : إن المأمور بالشئ ، قد يفعلهُ اضطراراً ، ولكن هوى النفس ، بخلاف ذلك ؛ لأن النفس . كما قيل . في أصل خلقها، مجبولة على الميل إلى الشهوات النفسانية [2] . وكأَنَّ الرسول (ﷺ) ، أراد من المؤمن ، أن يكون مَيْله إلى ما جاء به (ﷺ) ، من مبادئ الشريعة الإسلامية ، كميله إلى الملذات الدنيوية التي أحلها الله ﷻ له ، دون ضجر أو كراهية في العمل بها . وإنما قيل : " هواه تبعاً " ولم يقل هو تابع ؛ للإيذان بالمبالغة،وان هواه الذي هو معبوده في قوله . تعالى . : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ [3] ، إذا كان تابعاً للشرع ، كان أبلغ مما يقال : إنه تابع له[4] .

2 . الخبر الطلبي :

المتأمل في أحاديث الكتاب ، يجد أن مواضع الخبر الطلبي فيه ، قد كثرت ، حتى وصلت إلى اثنين وعشرين موضعاً من تلك الأحاديث .

فقد يحتاج الخبر الذي يُلقيه الرسول (ﷺ) إلى مُؤكدٍ ، إشعاراً بأهمية ما يريد توصيله إلى السامعين له وبعد الشك أو التردد عنهم ، ومنه نطالع حديثاً يرويه لنا أبو عباس (رضي الله عنهما) أن الرسول (ﷺ) قال : ((**إنَّ الله تَجَاوَزَ لِي عن أُمَّتِي الخَطَأَ والنِّسْيانَ وَمَا استُكْرِهُوا عليه**)) [5] .

فلقد أراد الرسول (ﷺ) ، أن يبشر الناس بأن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، من الأمور التي يتجاوزها الله . تبارك وتعالى . ، ولكي يُبعد الشك عنهم ، أو التردد في قبول الخبر الملقى إليهم ، عَمَدَ الرسول (ﷺ) إلى أن يبدأ حديثه بالأداة : " إن " التي

(1) سورة النازعات ، الآية : 40 .
(2) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 365 .
(3) سورة الجاثية ، الآية : 23 .
(4) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 365 .
(5) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق: باب االتواضع، ح(6137) .

وصفها علماء البلاغة ، بأن من أول محاسنها ، أنها ترد للتأكيد [1] . أي تأكيد الخبر الذي يُلقيه المتكلم على السامع ليرسخه في ذهنه ، فحسن موقعها في الحديث . والمتأمل في لطائف البيان النبوي ، يلتمس ، إن إطلاق فعل المضي : " تجاوز " ، ليشمل الحاضر والمستقبل ، قد أفاد أن حدث التجاوز عن تلك الأمور المخصصة في الحديث ، أصبح قاعدة إسلامية ، قد سبق إقرارها ، منذ بدء الخليقة وجريان حكمها حاضراً ومستقبلاً ، وتخصيص صدور حكمها بأمة " محمد : (ﷺ) دون الأمم الأُخرى ، قد استدعى مجيء الجار والمجرور: لي " الذي أفاد التخصيص ، أي لأجلي قد تجاوز تلك الأمور ، شريطة أن يكون من أمتي لا مِنْ أُمَّةٍ غيرى .

3 . الخبر الإنكاري :

ورد هذا النوع من الخبر في سبعة عشر موضعاً في أحاديث الكتاب . فقد يحتاج الخبر الذي يُلقيه المتكلم على السامع ، لأن يؤكد بأكثر من مؤكد ، ومنه نطالع حديثاً يرويه لنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) عن الرسول (ﷺ) ((**... فَوَاللهِ الذي لا إلَـهَ غيـرُهُ إنَّ أحـدكُم لَيَعْمَـلُ بِعَمـلِ أهـلِ الجَّنـة حَتَّـى مـا يكـونُ بَيْنَـهُ وبينهـا إلاّ ذراعٌ فيسبقُ عليهِ الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا . وإن أحدَكُم لَيَعْمَلُ بعملِ أهْل النَّارِ حَتَّى ما يكونُ بَيْنَهُ وبينها إلاّ ذراعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيَهِ الكِتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**)) [2] .

هذا الحديث يجسد لنا أحداثاً مستقبلية تنتظر الإنسان لحظة مماته ، ومثل هذه الأحداث بالتأكيد ، تحتاج إلى مؤكدات عدة لدفع الشك أو التردد أو انكار المخاطب لتلك الأحداث ، ولِئلاّ يُفاجئ السامعين بتلك الأحداث ، استخدم الرسول (ﷺ) خير ما يفتتح به الكلام وهو القسم بلفظ الجلالة : " اللَّهُ " وهو أعلى أنماط القسم واجلّ تراكيبه وأصدق ألفاظه ، وهو أكثر ألفاظ القسم انتشاراً في الحديث النبوي ، خصوصاً بعدما حرّم القسم بغير الله منذ ظهور الإسلام [3] ، فضلاً عَمَّا يحمله هذا النوع من التأكيد من تيقن في صحة ما يقال ، لا سيّما وأنه يصدر من رسول الله (ﷺ) . والذي زاد الخبر تأكيداً هو:

(1) ينظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 250 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، ح(3036).

(3) ينظر : بناء الجملة في الحديث النبوي ، عودة أبو عودة ، ص 494 .

دخول إن واللام على الأفعال المضارعة التي أفادت التجدد والحدوث، ومن المعلوم أن الفعل المضارع إذا دخلت عليه اللام المفتوحة والمسماة بلام الابتداء أو اللام المزحلقة ، أفادت توكيد مضمون الجملة [1]. إذ إن توكيد الفعل المضارع " يعمل " باللام يَحمل المؤمنين على ضرورة تحسين أعمالهم ، والتركيز على حسن الخاتمة ، لأنها أساس الأعمال ،لذا قيل إنه لا يجوز أن يشهد لأحدٍ بالجنة أو النار، لأن الله تعالى يتصرف بملكه بما يشاء ، فقد ينصرف قلب المؤمن بفعل الخيرات ، ثم يختم الله أعماله بسوءٍ أو بالعكس [2] .

وللانتقال السريع في عرض الأحداث المراد توصيلها إلى السامعين ، جيءَ بموكدٍ آخر وهو الباء الزائدة في قوله (ﷺ) " بعمل " ؛ لأنَّ قوله " عمل " قد وقع موقع المفعول ، والباء إذا وقعت ذلك الموقع كما قيل ، كانت زائدة لغرض التوكيد [3] .

ويمضي سياق الحديث في إخبارنا وبإسلوب تقريري ، استدعي ضرب المثل بالذراع ، قال الطيبي : " وهو مثل يضرب بمعنى المقاربة إلى الدخول " [4] . وهو تصوير في غاية الدقة ، إذ يصور لنا الرجل وقد قارب الوصول إلى الجنة ماشياً ولم يبقَ بينهُ وبينها إلاّ مسافة خطوة أو خطوتين للدخول فيها ، ومجيءُ الحرف " حتى " قد عزز ذلك المعنى ، والذي أفاد انتهاء الغاية [5] ، مع خلوص الفعل المضارع : " يكون " من المضي إلى الحال والاستقبال ، والسبب في ذلك أن " ما " في قوله " ما يكون " قد بطل عملها عن النفي ؛ بسبب نقض نفيها بـ " إلاّ " فخلصت ذلك الفعل إلى الحال والاستقبال [6] . فأصبحت أداة من أدوات التأكيد ، وجئ القصر بـ " إلاّ " ، لتحقيق الوصف الآتي بعدها في قوله : " ذراع " ، إذ تتسلسل أحداث الحديث ، وصولاً إلى خاتمة أمره وبتقربه من الدخول إلى الجنة، يأتي البرهان النبوي الذي يوقف مَشْيَهُ في قوله : " فيسبق عليه الكتاب " .

(1) ينظر : المفصل في علم العربية ، جار الله الزمخشري ، ص 154 ؛ رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي ، ص 162 .

(2) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي : 2 / 526 .

(3) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المالقي ، ص 113 .

(4) شرح الطيبي : 1 / 239 .

(5) ينظر : الجنى الداني ، ص 498 .

(6) ينظر : م . ن ، ص 330 .

وقد أفادت الفاء ، عطف الفعل المضارع " يسبق " على الفعل المضارع " يعمل " للدلالة على تعقيب حصول السبق بلا مهلة ؛ لأن من معاني حرف العطف " الفاء " هو التعقيب بلا مهلة [1] ، في حين عَدَّاهُ بعلى في قوله " عليه الكتاب " ؛ لتضمنه معنى يغلب ، أي يغلب عليه الكتاب [2] ، إشارة إلى ما كتب عليه قبل نفخ الروح فيه من الشقوة ، لأنه من أهل النار ، فيعمل بعملهم فيدخل النار ، وهذا القدر يطابق حال صاحب الجنة ، الذي يعمل بعمل أهل النار ثم يسبق عليه الكتاب فيكتب من أصحاب أهل الجنة فيدخلها .

وهكذا وجدنا الانسجام الحاصل ما بين أدوات التأكيد وتنوعها ، لاقناع المخاطب إلى غاية واحدة نستنبطها من الحديث وهي أن لا يقنط الكافر من رحمة ربه بسبب سوء أعماله أو أن يغتر المسلم بصالح أعماله ، فلا يدري ما خاتمة أمره .

ب- أغراض الخبر

" ونعني بهذا العنوان ، ما هو الغرض الذي نقصده حينما نلقي أي خبر من الأخبار، وما هي الفائدة التي نبغيها حينما نخاطب بهذا الخبر " [3] . لِذا قسّم البلاغيون أغراض الخبر على قسمين :

الأول : فائِدة الخبر، ومعناهُ أفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الكلام . وقد عَدَّ البلاغيون هذا الغرض ، من أهم الأغراض التي يقصدها المتكلم ، كونه الغرض الأساسي من إلقاء الخبر على المخاطب ، لذا عُدَّ الأصل فيه [4] .

الثاني : لازم الفائدة ، " وهذا الغرض لا يقدم جديداً إلى المخاطب ، وإنما يفيد أن المتكلم عالم به " [5] . ولا وجود لحديث قد ورد في هذا المعنى .

(1) ينظر : م . ن ، ص 121 .

(2) ينظر : شرح الطيبي :1 / 239؛ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، محمد بن علان :2 / 292.

(3) البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 66 .

(4) ينظر : مفتاح العلوم ، السكاكي ، ص 82 ؛ المطول على التلخيص ، الدمشقي ، ص 44 .

(5) البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب ، ص 115 .

الأغراض المجازية للخبر * :

هناك أحاديث لرسول الله (ﷺ) ، نجدها في أحاديث الكتاب ، وقد خرجت إلى أغراض مجازية ، تتجاوز فيها، فائدة السامع بالخبر أو لازم الفائدة ، فيلقى إليه ، وقد أفاد معنىً ثانياً يُدرك من السياق ، ومن هذه الأغراض :

1 . الوعظ والإرشاد :

ورد هذا الغرض البلاغي في حديث يرويه لنا النَّوَّاس بن سمعان* (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : ((**البِرُّ حُسْنُ الخُلُق ، والإثْمُ ما حاك في نفسك ، وكَرِهتَ أن يَطلع عليه الناس**)) [1] .

لقد جاء الحديث ، معبراً عن المعاني السامية وبأسلوب خبري ، تجلى في تقديم الموعظة النبوية، لترشد الانسان وتحفزه على حسن الخلق ، لدرجة شمول البر . وهو اسم جامع لكل الخير . عليه . ومراعاة المقابلة * اقتضى أن يُفسر حسن الخلق بما يقابل الاثم ، فلما كان الاثم ، هو شعور النفس بعدم الطمأنينة للشيء وكراهية أن يطلع عليه الناس، فإن البر هو شعور النفس بالطمأنينة نحو الشيء ، وعدم كراهية الناس له ، " لأن النفس بطبعها تحب المدحة وتكره الذمة " [2] ، وقال الطيبي : " وضع حسن الخلق موضع اطمئنان القلب ،ليؤذن أن حسن الخلق ما أطمأنت إليه النفوس الشريفة الطاهرة ، من أوضار الذنوب ومساوئ الأخلاق المتحلية بمكارم الأخلاق من الصدق في المقال ، واللطف في الأحوال والأقوال " [3].وليفيد ثبوت حكم تلك الأخبار ودوامها،أحكم الحديث بالجملة الأسمية ، وبأسلوب القصر في تعريف المبتدأ بألـ : البر والاثم . وقد عَدَّ شُراح الحديث نوع القصر فيه ، بالقصر المجازي [4] ؛ فَقَصْرُ البرِّ على حُسْنُ الخلق وإن كان مشتملاً على غيره ، مبالغة في حسن الخلق . وكذلك الحال بالنسبة للأثم ، وإنما" كان

---

* سأذكر حديثاً واحداً لكل غرض .

* وهو ابن خالد بن عمرو بن قراط العامري الكلابي وهو صحابي. الإصابة في تمييز الصحابة/6:478

(1) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة: باب تفسير البر والإثم، ح(2553) .

* **المقابلة :** هو " الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة " . الإيضاح ، ص 192 ؛ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، العلوي : 2 / 377 .

(2) دليل الفالحين : 3 / 80 .

(3) شرح الطيبي : 9 : 274 .

(4) ينظر : فيض القدير : 3 / 284 .

التأثير في النفس علامة للاثم؛لأنه لا يصدر إلاّ لشعورها بسوء العاقبة " [1]. فعبّر بالنفس دون القلب ،على طريقة المجاز المرسل الذي علاقته الكلية ،إذ ذكر الكل : " النفس " وأراد به الجزء وهو القلب ؛ لأن الاثم هو شعور ينتاب القلب داخل النفس البشرية .

2 . التحذير :

قد يخرج أسلوب الخبر عن معناهُ الحقيقي إلى غرض مجازي يحمل في طيَّاته تحذيراً يُفهم من سياق الكلام ، وقد ورد ذلك في حديث يرويه لنا العرباض بن سارية* (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) ، كان ختامَهُ تحذيراً للمسلمين بقوله : ((**... وإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمورِ ، فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضَلالةٌ**)) [2] .

إنّ تقديم صيغة تدلُّ على التحذير ، ما يوقظ السامع ، للخبر المراد توصيله إليه ، " فإن السامع ، إذا طرقت سمعهُ (إياكم أو عليكم) انتفض من شواغله ،وألقى انتباهه ، وبخاصة إذا عرف في مُحذّره ... حرص الناصح الأمين " [3] ، على ما يهدِّد ديننا الإسلامي من مخاطر محدثات تطرأ عليه ، لتغيِّر بعض أحكامه ، فالمتأمل في الحديث يجد أن الرسول (ﷺ) ، أراد أن يحذرنا ، وبأسلوب خبري مؤكد . من زَمَنٍ تكثر فيه البدع ، فكان من المؤكد أن يُحْكَمُ الحديث بألفاظ تدلُّ على التحذير، فبدأ خبره ، بصيغة تدلُّ على التحذير ؛ ليناسب ذلك الغرض البلاغي ، فالضمير: أياً، قد جاء مفعولاً به لفعل محذوف تقديرُ " أُحَذّرُ " ، وكذلك الحال في قوله: " مُحدثات " قد وقع مفعولاً به لفعل محذوف مقدر بـ" احذروا "، هذا وإن استخدام أداة توكيد الخبر : " إن " قد أنزل المخاطب منزلة المتردد أو الشاك في مضمون الخبر ، وإطلاق البدعة على المحدثات من الأمور ؛ لأن البدعة مأخوذة من ابدعت الشيء قولاً أو فعلاً ، وذلك إذا ابتدأته لا عن سابق [4] وجيء بأداةٍ تدلُّ على العموم : " كل " ؛ ليفيد أن أي بدعة خارجة عن الإسلام تؤدي إلى الضلالة لا محالة .

3 . النهي :

---

(1) المصدر السابق : 3 / 284 .

(2) أخرجه أبو داوود في كتاب السنة: باب لزوم السنة، ح(4607).

* هو ابن سارية السلمي ت(75هـ) وأبو نجيح كنية لهُ. يُنظر: الإصابة/7:412

(3) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 407 .

(4) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 1 / 209 .

قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى غرض النهي ، وقد ورد ذلك في حديث يرويه لنا أبو هريرة (ﷺ) ، عن رسول الله (ﷺ) : ((**... المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذلُهُ ، ولا يكذبهُ ، ولا يحقرهُ ...**)) [1] .

المسلم أخو المسلم ، عبارة " أكثر ما تُسْتعمل ... في جمع الصديق " [2] ، وقد نوّه بذلك (ﷺ) ؛ ليدفع النفس إلى طلب البيان والتفسير والتشويق لمعرفة الخبر الآتي بعده ، وإذا ما جاء ذلك الخبر ، زادت النفس في تقبله ورضاها به ، فكان أشدَّ تقريراً وتوكيداً فيها ، لا سيما وأنَّ ذلك التنويه ، قد أثار سؤالاً : وكيف يكون المسلم أخو المسلم ؟ فاستوجب الفصل ما بين قوله : " المسلم أخو المسلم " وبين الخبر الذي ورد بأسلوب النهي : " لا يظلمه ... " وذلك لشبه كمال الاتصال .

ومن الملاحظ أن الرسول (ﷺ) ، لم يُصرح بالنهي ، إذ لم يقل : " لا تظلمه " أو " لا تكذبه " ، وإنما استخدم الخبر ؛ لأنه كما قيل : " أبلغ من صريح النهي " [3] ، إذ أن " لا " في الحديث وإن كانت نافية ، إلاّ أنها تضمنت معنى النهي ، فدخلت على الأفعال المضارعة الواردة في الحديث ، فأفادت التجدد في نهي ظلم المسلم لأخيه المسلم أو خذلانهُ " بترك المعونة " [4] ، فقال النووي : معناهُ : إذا إستعان به في دفع ظالم ، وجب عليه إعانته ، قدر المستطاع [5] . أو أن لا يكذبه بأخباره خلاف مطابقة الواقع [6] ، أو يحقره ، مستصغراً من شأنه لِيذلَّهُ [7] .

(1) أخرجه مسلم في باب البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ح(2564) .
(2) معجم متن اللغة : 1 / 152 .
(3) نحو القرآن ، أحمد عبد القادر الجواري ، ص 99 .
(4) معجم مقاييس اللغة : 2 / 165 .
(5) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي : 5 ، 2513 .
(6) ينظر : معجم متن اللغة : 5 / 39 ؛ دليل الفالحين : 2 / 18 .
(7) ينظر : لسان العرب : 4 / 207 .

ثانياً

الأسلوب الإنشائي

ثانياً
الأسلوب الإنشائي
(الإنشاء الطلبي)

الإنشاء لغةً : " الابتداء والابتداع " [1] ،أما **اصطلاحاً** : فهو كُلُّ كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه[2] . وهو على قسمين : انشاء طلبي وغير طلبي ، وسنخص القسم الأول منه بالدراسة ، وذلك لأسباب،منها ما له صلة بأحاديث الكتاب، فالمتتبع لتلك الأحاديث ، سيجد أنها قد خلت من القسم الثاني . أعني الإنشاء غير الطلبي . إلاّ في مواضع قليلة * ، لا تصلح أن تكون مباحث خاصة بها ، والسبب الآخر ، ماله صلة بدارسي البلاغة ، إذ لم يعنوا به ، نظراً لقلة الأغراض المتعلقة به ، فهي أخبارُ، نقلت من معانيها الأصلية، فيمكن أن يكتفى بالدراسات النحوية في فهمه ، وصيغه : القسم والمدح والذم والتعجب والرجاء وصيغ العقود [3] . أما الإنشاء الذي يعنون به،فهو الإنشاء الطلبي ، نظراً لما فيه من تفنن في القول ، لخروجه عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام [4] . وتجدر الإشارة إلى أن معظم أحاديث الكتاب ، قد جاءت مُفْتَتِحَةً بأسلوب الانشاء الطلبي ، فجاءت مركزة على أسلوب الأمر والنهي والاستفهام والنداء ، مع خلو التمني منها ، وفيما يأتي بيان لتلك الأساليب الواردة في أحاديث الكتاب .

أ . الأمر :

(1) لسان العرب : 1 / 165 .

(2) ينظر : الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي : 2 / 220 ؛ معجم المصطلحات البلاغية : 1 / 332 .

* ورد في صيغتين فقط ، الأولى : هي صيغة القسم ، وقد وردت بحديثين ، الأول : في قوله (ﷺ) : ((**فو الله الذي لا إله غيره**)) . وقد درسناه في الصفحة (21) ، والثاني : ورد في حديث قدسي : ((**ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأُعيذنَّه**)).وقد درسناه في الصفحة (73) . أما الصيغة الثانية : فهي صيغة العقود ، إذ وردت في قوله (ﷺ) :((**كل الناس يغدو فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها**)) . وقد درسناه في الصفحات (76 + 142) .

(3) ينظر : أساليب بلاغية ، أحمد مطلوب ، ص 110 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 102 ؛ أساليب الطلب في الحديث الشريف ، هناء محمود شهاب ، أطروحة دكتوراه ، ص 17 .

(4) ينظر : البلاغة والتطبيق ، ص 123 .

الأمر في اللغة والاصطلاح :

قيل إن معنى الأمر في اللغة ، يرادُ به الامتثال وهو نقيض النهي [1] ، فصيغة الأمر يراد بها طلب الفعل ، أما صيغة النهي ، فيراد بها طلب الكف عنه؛ لذا عرف البلاغيون الأمر اصطلاحاً : طلب حصول الفعل إلزاماً ووجوباً [2] بإحدى الصيغ الآتية :

1 . الأمر بصيغة " أفعل " :

المتتبع لأحاديث الكتاب ، يجد أن غالبية تلك الأحاديث قد جاءت بتلك الصيغة ، إذ وردت سبعة عشر مرة ، من مجموع سبعة وثلاثون صيغة من صيغ الأمر ، وقد استخدم الرسول (ﷺ) تلك الصيغة ، لما لها من إيقاع شديد اللهجة ، مُناسباً فيها الموقف المستلزم فيه التشديد والحزم لما يريد توصيله إلى السامعين ومنه ما ورد عنه (ﷺ) في حديث يرويه لنا شداد بن أوس* (رضي الله عنه) ، قال : ((**إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسانَ عَلى كُلِّ شيءٍ ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ...**)) [3].

نلاحظ أن الحديث ، قد ابتدأ بأداة التوكيد : " إن " ؛ لتنزيل المخاطب منزلة الشاك أو المتردد في قبول الخبر المقدم له، فمجيء تلك الأداة ، قد أكدت مضمونِ الخبر؛ لدفع الشك أو التردد عنه ، في حين جيء بفعل المضي " كتب " ؛ للدلالة على سبق حدث كتابة الاحسان على كل شيء ، دون استثناء " غير البارئ تقدس ، غني بذاته عن إحسان كل ما سواه ... " [4] .

وينقلنا سياق الحديث ، ليخصص لنا أهم موجبات الاحسان . قتل وذبح الذبيحة . بعدما عَمَّمَ بالكتابة على كلِّ شيء.ولعل السبب في تخصيص الاحسان في القتل والذبحةَ؛ لأن العرب أيام الجاهلية ، كانت غالباً ما تتمثل في القتل والذبحة ، فتقطع الأيدي والأرجل ،

(1) ينظر : أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري : 1 / 19 ؛ لسان العرب : 5 / 86 .

(2) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 152 ؛ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : 3 / 281 ؛ معجم المصطلحات البلاغية : 1 / 313 .

* هو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي وهو صحابي. ينظر: الإصابة/3:319.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح: باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، ح(1955) .

(4) فيض القدير : 2 / 311 .

ونحو ما يعذب الحيوان قبل ذبحه ، فنهى عن ذلك (ﷺ) بأسلوب الأمر " احسنوا القتلة واحسنوا الذبحة " . وتجدر الاشارة إلى أن "أل" في قوله : " القتلة " و " الذبحة " قد أفادت الاستغراق * ، فيدخل فيه الإحسان على جميع القتلة والذبحة . وعطف الجملتين " بالواو " ؛نظراً لاتفاقهما في الانشائية ، إذ إن كلاهما قد وردا بصيغة الأمر أفعل وذلك بقوله : احسنوا فأفاد الأمر هنا الوجوب والالزام بالاحسان إلى الذبيحة حين ذبحها .

2 . الأمر بصيغة " ليفعل " :

وردت هذه الصيغة في (7) مواضع ، فالمتمعن في أحاديث الكتاب ، يجد أن هذه الصيغة ،كانت غالباً ما تأتي ؛ لتعالج أحكاماً شرعية لقضايا حياتية أو أخروية ، وهي لا تخص المسلمين في عصر الرسالة حسب ، وإنما إلى قيام الساعة ، وذلك لأن الفعل المضارع إذا دخلت عليه لام الأمر ، نقلته من الحال إلى الاستقبال [1] . وقد وردت هذه الصيغة في الحديث السابق:((**وَلْيُحِدَّ أحدُكُم شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ**)).

فمن صور الاحسان : حَدَّ الشفرة جيداً وإراحة الذبيحة ، فقال النووي : " يُستحب أن لا يحدَّ السكين بحضرة الذبيحة ، وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرى " [2] . وليسرع موتها وليوصل إليها الراحة بأن يُعَجل إمرار الشفرة عليها [3] . ومن الملاحظ أن الرسول (ﷺ) ، استخدم لفظة الشفرة بدلاً من السكين ؛ لأن حَدَّ آلة السكين يكون في الشفرة ؛ ونظراً لكون الشفرة هي أساس السكين ، " سميت به تسمية الشيء باسم جزئه " [4] . فذكر الجزء : " الشفرة " وأراد بها السكين على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية . ولما كان غرض الحديث وأساسهُ هو بيان كيفية التعامل مع الذبيحة ، جيء بأفعال مضارعة " يُحد ، يرح " مقترنة بلام الأمر لتخلصهُ إلى الاستقبال ، عند ذبح الذبيحة وضرورة مراعاة تلك الأحكام عند تجدد القيام بذبح الذبيحة . والناظر في الحديث يجد أن الجملتين قد أحكم العطف بينهما ؛ لاتفاقهما إنشاء بصيغة الأمر : ليفعل في قوله : ليحدَّ وليرح " .

---

* أي استغراق أجناس الأشياء وتغطيتها بلا استثناء بدلالة اللفظ . الإيضاح ، ص 28 .

(1) ينظر : شرح المفصل ، ابن يعيش : 7 / 41 .

(2) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 4 / 2026 .

(3) ينظر : دليل الفالحين : 3 / 96 .

(4) فيض القدير : 2 / 311 .

وهكذا أكَّد لنا الحديث بكلمات تصدر من رؤوفٍ رحيم بأمَّته ، حتى مع الحيوان ، فَدِيُنُنا دين التسامح ،يحث على الاحسان في كلِّ شيءٍ ، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم ، انسياً كان أم حيواناً .

3 . الأمر بصيغة أسماء الأفعال * :

لم ترد صيغ أسم الفعل في أحاديث الكتاب،إلاّ بصيغة واحدة وهي صيغة : " عليكم " وذلك في قوله (ﷺ) : ((**أُوصِيكُمْ بِتَقْوى الله عَزَّ وَجَلَّ ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ وَإِنْ تأمَّر عَلَيْكُم عَبدٌ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم فَسَيَرى اخْتِلافاً كَثيراً ، فَعَليكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدينَ المهديينَ مِنْ بَعْدِي ...**)) [1] .

فلقد استخدم الرسول (ﷺ) صيغة الأمر " عليكم " في الحديث ، ليدل على الأمر والالزام في التمسك بسنته وسنة الخلفاء ، فضلاً عن أن هذه الصيغة . كما تشير الباحثة هناء محمود شهاب . " تدل على القوة والحث وإفادة الإيجاز " [2] . فلولا تلك الصيغة . عليكم . لاحتاج الرسول (ﷺ) أن يقول: أَأَمُرَكمْ ، أن تتمسكوا بسنتي أي: " سيرتي القويمة التي أنا عليها مِمّا أصلته لكم من الأحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وغيرها " [3].ثم اتبع سنته (ﷺ)، سنة الخلفاء ؛لعلوِّ منزلتهم عنده ، فالخلفاء جمع خليفة ، وهو كل من قام مقام غيره [4] .

وإنما أطلق على الصحابة ذلك ؛ لأنهم خلفوا الرسول (ﷺ) في الأحكام ، وأل التعريف في قوله . الخلفاء ،الراشدين، المهديين، . قد أفاد العهد ، أي المعهود عندهم هؤلاء الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي . وكأنه (ﷺ) ، أراد أن يضع لنا مصدراً ثالثاً ممكن الرجوع إليه بعد القرآن وسنته (ﷺ) وهو سنة الخلفاء (رضي الله عنهم) فهم أصحاب النبي ، يعلمون سنته ويطبقونها في حياتهم اليومية .

4 . الأمر بصيغة المصدر " سبحان الله " :

---

* **أسماء الأفعال :** وهي ألفاظ تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها وفي عملها . ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 237 .

(1) سبق تخريجه .

(2) أساليب الطلب في الحديث النبوي ، أطروحة دكتوراه ، ص 25 .

(3) دليل الفالحين ، ص 414 . 415 .

(4) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 2 / 210 .

لم ترد هذه الصيغة في أحاديث الكتاب إلاّ في موضع ورد في حديث لرسول الله (ﷺ) بقوله : ((**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ،والحُمْدُ للهِ تَمْلأُ الميزَانَ ، وسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ تَملآن . أو تَمْلأ . ما بَيْنَ السماءِ والأرضِ ...**)) [1] .

لقد وردت هذه الصيغة . سبحان الله . ؛ لتنزيه الله تعالى عن النقص وذلك بكماله سبحانه وتعالى[2] ، وغالباً ما تُذكر ، للتعجب من المشاهد والمواقف المدهشة [3] . وذكر سيبويه : هذه الصيغة ، عندما تكلم عن المصادر التي تنصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره ، إذ يقول : خزل الفعل ههنا ؛ لأنه بدلٌ من اللفظ : " أُسبِّحك " [4]. وقال ابن فارس : ومن سنن العرب : " التعويض " وهو اقامة الكلمة مقام الأخرى ، ومن ذلك اقامة المصدر مقام الأمر، كقوله تعالى : ﴿**فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ** ﴾[5]، فتأويل الآية : سبحوا لله جلّ ثناؤه ، فصار في معنى الأمر والإغراء [6] ، فالرسول (ﷺ) عَدَلَ عن صيغة فعل الأمر " سبحوا " في الحديث إلى صيغة الأمر بالمصدر " سبحان " ليحفزنا على قولها لعظم فضلها وثوابها عند الله تبارك وتعالى .

معاني الأمر في الحديث الشريف

1 . المعنى الأول (الحقيقي) :

إذا كان خروج الأمر عن طلب حدوث شيء ولم يكن حاصلاً وقت الطلب به وكان على سبيل التكليف والالزام من الأعلى إلى الأدنى ، " أُطلق عليه المعنى الحقيقي [7] . ومنه ما ورد عنه (ﷺ) بقوله : ((**ما نَهَيْتكُم عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، فأتوا مِنْهُ ما استَطَعْتُم ...**)) [8] .

نلاحظ أن صيغة فعل الأمر في قوله : " اجتنبوه " ، يراد به ، الالزام والوجوب في الكف عن المعاصي والامتثال لأوامر الله .ومن ثم قيّد الأمر بحسب الاستطاعة دون

(1) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة: باب فضل الوضوء، ح(223) .
(2) ينظر : شرح الطيبي : 4/2؛ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 415/1 ؛ فيض القدير : 1 / 619.
(3) ينظر : ألفاظ العبادات في القرآن الكريم . دراسة دلالية ، ياسين حسين ، رسالة ماجستير، ص 118 .
(4) ينظر : الكتاب ، سيبويه : 1 / 322 .
(5) سورة الروم ، الآية (17) .
(6) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ، ص 236 .
(7) ينظر : من بلاغة النظم العربي ، عبد العزيز عبد المعطي ، ص 72 .
(8) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، ح(6858).

النهي . كما قال ابن حجر العسقلاني . لأن ترك المنهي عنه ، عبارة عن استصحاب حال عدمه ، أو الاستمرار على عدمه ، وليس في ذلك مالا يستطاع حتى يسقط التكليف به بخلاف الاتيان بالمأمور به ، فهو عبارة عن اخراجه من العدم إلى الوجود ، وذلك يتوقف على شروط وأسباب [1] . لا سيما وأن تخيير العباد بالأمور المنهي عنها كشرب الخمر والزنا وما شابه ذلك ، سيؤدي حتماً، إلى جواز العمل بها أو عدم ذلك ،وهذا ما ينافي كلامه (ﷺ) بقوله : اجتنبوه ؛ لذا قال ابن حجر العسقلاني : " أن الأمر بفعل الأمر : " اجتنبوه " ، دال على حقيقته بوجوب الالزام ؛ لأن الكف عن المعاصي ترك سهل ، بخلاف عمل الطاعة فهو عمل شاق ، فلذلك لم يبح ارتكاب المعصية ولو مع العذر لأنه ترك ، والترك لا يعجز المعذور عنه " [2] لذا خرج فعل الأمر : " أتوا " عن معناه الحقيقي إلى معنى الندب دون الإيجاب ، وأباح ترك العمل بالعذر، لأن العمل قد يعجز المعذور عنه ، فهو أمر للندب دون الإيجاب [3] . فقول الرسول (ﷺ) : " فاتوا منه ما استطعتم " إنما يشير إلى مراعاة الرسول (ﷺ) الفروق الفردية بين العباد ، ولذلك كان يطلب منهم أن يفعل كلاً منهم ما يستطيع على حسب إمكاناته وقدراته " [4] . وبذلك ندرك خطورة تحميل الأوامر الصادرة من قبل الرسول (ﷺ) وجوباً أو جوازاً ، فينبغي مراعاة تلك الأحكام ، والتمعن بها ، قبل العمل بها ؛ للأسباب التي ذكرتها سابقاً .

2 . المعاني الثانية (البلاغية) :

قد تخرج صيغة الأمر من معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى ، تفهم من سياق الحديث ، وهو ما يُسمى بالمعاني المجازية أو البلاغية ، ومن تلك المعاني المجازية التي يمكن أن تستنبط من الأحاديث الشريفة في الكتاب :

1 . الندب :

(1) ينظر : فتح البارئ . شرح صحيح البخاري : 13 / 322 .
(2) م . ن : 13 ، 322 .
(3) ينظر : م . ن : 13 / 322 .
(4) الحديث النبوي وعلم النفس ، ص 256 . 257 .

الندب ، " غالباً ما يكون لأمر عظيم " [1] ، وهو مأخوذ من " ندب القوم إلى الأمر ، يندبهم ندباً ، دعاهم وحثهم " [2] . وقد ورد ذلك في حديث يرويه لنا الحسن بن علي (رضي الله عنهما) قال : حفظت من رسول الله (ﷺ) : ((**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مالاَ يُرِيبُك**)) [3] .

الحديث بإيجازه الشديد ، يبين لنا،أن البعد عن الشبهات من الأمور التي ينبغي على المسلم اجتنابها ، والتوجيه النبوي ، يعلمنا كيفية التعامل معها ، فافتتح الحديث بفعل الأمر :" **دع** " والذي غالباً ما يدلُّ على " الحركة والدفع والاضطراب " [4] . فتضمن الأمر " **دع** " معنى الندب؛ " لأن توقي الشبهات مندوب لا واجب فيه على الأصح " [5]، ولعل السبب في إطلاق الريب على الشبهات ، نظراً للصلة الشديدة القائمة بينهما من ناحية المعنى ، إلاّ أن الرسول (ﷺ) اختار لنا لفظ " الريب " بدلاً من الشبهات ؛ لأن " الريب " قد يطلق على المكر وقلّة اليقين [6] في الأمور التي يتبادر فيها الشك .

ويتحقق التلاؤم ما بين جمل الحديث باستخدام حرف الجر " إلى " الذي يدلُّ على انتهاء الغاية ، وليناسب فيه سياق الحديث ، أي " أُترك ما أعترض لك الشك فيه منقلباً عنه إلى ما لا شك فيه ، وخذ الأمر الواضح " [7] ، فالمؤمن الكامل ذو النفس الزكية غالباً ما يميل بالاطمئنان إلى كون القول أو الفعل صدقاً أو حقاً ، في حين ينفر من كونه كذباً أو باطلاً ، فجعل الله ميلهُ وطمأنينته علامة واضحة على الحل . وانزعاجه ونفرته علامة على الحرام وأمر في الأول بمباشرة الفعل ، وفي الثاني بالإعراض عنه ما أمكن .

2 . النصح والأرشاد :

ورد هذا المعنى البلاغي ، في حديث يرويه لنا أبو العباس سهل بن سعد* (رضي الله عنه) ، قال : جاء رجلٌ إلى النبي (ﷺ) ، فقال : يا رسول الله ، دُلني على عملٍ ،

(1) معجم متن اللغة : 5 / 426 .
(2) لسان العرب : 2 / 251 .
(3) أخرجه الترمذي في صفة القيامة: باب(منه)، ح(2518)، وقال حديث حسن صحيح .
(4) معجم مقاييس اللغة : 2 / 463 .
(5) دليل الفالحين : 1 / 205 ؛ فيض القدير : 3 / 705 .
(6) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ، ص 369 .
(7) شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي ، ص 215 .

إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال : ((**إزْهَدْ في الدُّنْيا ، يُحبُّكَ اللهُ ، وازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحبُّكَ النَّاسُ**)) [1] .

لمّا كان سؤال الصحابي (ﷺ) ، محدد بأمرين ، الأول : الإخبار بعمل يحبهُ الله ، والثاني : الإخبار بعمل يحبه الناس ، اقتضت الإجابة النبوية أيضاً، أن تتحدد بذلك ولتحكم الربط بين الأمرين ، بأسلوب العطف بحرف الواو ، نظراً لتوافق الجملتين انشاء ، لابتدائهما بصيغة الأمر : " أزهد " ، ليخرج الأمر من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي يراد به النصيحة للسائل وإرشاده إلى الطريق الصحيح ، ذلك الطريق يتضح بالبعد عن الدنيا وملذاتها والزهد فيها. فجاء في لسان العرب،أن الزهد يعني: الإعراض عن الشيء احتقاراً له [2] . وفي الشرع : " الاقتصار على قدر الضرورة ، مما يتيقن حله " [3].ثم تأتي البشارة النبوية بحب الله له بقوله : " يحبك اللهُ " فقّدم المفعول : ضمير المخاطب على الفاعل "الله" للاختصاص . أما الأمر الثاني من الإجابة النبوية ، فيتحدد بالزهد عند الناس ، وذلك بالإعراض عن المال والجاه وعدم تنازعه معهم عليه ، فمتى ما نازعهم عليه أبغضوه . وقّدم المفعول أيضاً . في قوله : " يحبك الناس " على الفاعل : " الناس " للاختصاص أيضاً، وقيل إن في الحديث إيماء* إلى شرف الزهد؛ لعظم ثمرته التي هي محبة المولى [4] أولاً ومحبّة الناس ثانياً .

3 . التهديد والوعيد :

لا فرق بين التهديد والوعيد ، فكلاهما يقتضي العقوبة والتخويف ، فقد جاء في لسان العرب : أن " التهدُّدَ والتهديد والتهداد : من الوعيد والتخويف [5] . وقد ورد ذلك المعنى البلاغي في حديث يرويه لنا أبو مسعود عقبة بن عمر* (ﷺ) قال : قال رسول

---

* سهل بن سعد الأنصاري الساعدي المدني قال ابن حجر: فيه ضعفٌ. يُنظر: الإصابة/3:302.

(1) ح (31) ، ص 200 .

(2) ينظر : لسان العرب : 4 / 175 .

(3) فيض القدير : 1 / 615 .

* **الإيمـــاء :** نوع من أنواع الكناية ، وهو الذي قلّت وسائطه ، مع وضوح الملزوم . مفتاح العلوم ، ص 543 .

(4) ينظر : دليل الفالحين : 2 / 411 .

(5) 3 / 433 .

* هو أبو مسعود البدري ت(40 هـ)، وهو مشهور بكنيته، اتفقوا على أنهُ شهد العقبة. ينظر: الإصابة/4:524.

الله (ﷺ) : ((**إنّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّة الأُولى : إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**)) [1] .

لابُدّ من الإشارة إلى أن هذا الحديث ، قد جاء مفسراً لقولهِ . تعالى . : ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [2] ، ولقد تباينت وجهات نظر العلماء في المعنى المجازي الذي خرج إليه هذا الحديث ؛ لذا سنعرض أولاً تلك الأقوال وأقربها إلى الحديث ، ومن ثمَّ نبدأ بدراسة الحديث وفق الغرض الذي يقتضيه مقام ذلك الحديث، فقد وضع أبو عبيدة (ت 208 هـ) هذا الحديث ضمن خروج الأمر عن حقيقته إلى المجازية وسماه الزجر * ، وقال " من سنن العرب أن تقول : إذا لم تستح فاصنع ما شئت " [3].أما أبو قتيبة (ت 276هـ) فقد خرج معنى الآية الكريمة المناسبة للحديث، للتهديد في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، فقال : ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمور وهو تهديد [4] . ووضع ابن فارس (ت 395 هـ) هذا الحديث في معنى الوعيد [5] . أما الميداني (ت 418 هـ) ، فقال : أن لفظ الحديث ظاهره أمر ومعناه الخبر ، إذ إن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي ، فإذا ما انعدم الاستحياء منه– والذي يعني في اللغة : " الاحتشام " [6] . وقع فيها [7] . وقال ابن الأثير (ت 637 هـ) : إنّ هذا

اللفظ " يدل على المعنى وعلى خلافه ، وبيان ذلك أن يقول في أحد معنييه : إنك إذا لم يكن لك وازعٌ يزعك عن الحياء ، فافعل ما شئت ، أما معناه الآخر ، فإنه يقول : إذا لم تفعل فعلاً يُستحى منه ، فافعل ما شئت " [8] . أما ابن منظور (ت 711 هـ) فقال : هو على الوعيد والتهديد ، فكأنه قال : اصنع ما شئت فإن الله مجازيك [9] . ويذكر ابن القيم اللغوي المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751 هـ) في تحليله للحديث الشريف : " المعنى

(1) أخرجه أبي داؤد في كتاب الأدب: باب في الحياء، ح(4797).
(2) سورة فصلت ، الآية (40) .
* **الزجر :** " كلمة تدل على الانتهار " . معجم مقاييس اللغة : 3 / 47 .
(3) مجاز القرآن ، ص 133 .
(4) ينظر : تأويل مشكل القرآن ، ص 280 .
(5) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ، ص 185 .
(6) المعجم الوسيط ، ابراهيم أنيس وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار : 1 / 213 .
(7) ينظر : مجمع الأمثال ، الميداني : 1 / 201 .
(8) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : 3 / 51 .
(9) ينظر : لسان العرب : 8 / 203 .

، إنك إذا أردت أن تفعل فعلاً ، فانظر فعله ، فإن كان مما يستحيا فيه من الله ومن الناس ، فلا تفعله ، وإن كان مما لا يستحيا منه ، فافعله ، فإنه ليس بقبيح " [1] . ويعقب القول : " واخراج هذا المعنى في صيغة الطلب ، لنكتة بديعة جداً ، وهي أن للانسان أمرين وزاجرين من جهة الحياء ، فإذا أطاعه ، امتنع من فعل كل ما يشتهي ، وله آمر وزاجر من جهة الهوى والطاعة ، فمن لم يطع الحياء ؛ أمر الهوى والشهوة ... " [2] . وأخيراً فقد ذكر ابن عاشور (ت 1972 م) هذا الحديث على حد الآية السابقة ، وقال والأمر في الحديث مستعمل في التهديد ، أو الاغراء المكنى به عن التهديد [3] . وهو أصح الأقوال .

وبعد عرض الأقوال التي دارت حول الحديث ، نبدأ بدراسته على وفق المعنى الذي يناسبه وهو التهديد والوعيد .

إذ نلاحظ أن الرسول (ﷺ) ، قد مهّد لنا الحديث بمقدمة قصيرة ، تشدُّ السامع وتشوقه ، لتلقي ما سيرد من خبر عُدَّ من أجله الحديث ، لا سيما أن إنزال المخاطب للخبر ، منزلة المتردد أو الشاك في مضمونه ، قد استدعى مجيء أداة التأكيد : " أن " ؛ لتدفع عنه ذلك التردد أو الشك من ذهنه ، " وفائدة إضافة الكلام إلى النبوة الأولى ؛ إشعاراً بأن ذلك من نتائج الوحي،ثم تطابقت عليه العقول وتلقته الأمم بالقبول ... " [4]. ثم ينقلنا سياق الحديث إلى أسلوب فعل الشرط والجزاء ، ليضع السامع موضع التخيير بأداة الشرط : إذا " ، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان ، بوقوع حدث فيه ، مقطوع به [5] . والخطاب " بلم تستح " ، قد أفاد العموم ؛ لأن الرسول (ﷺ) ، لم يشخص به أحداً من الناس ، إلاّ بمن تنطبق عليه تلك الصفة الرذيلة، وإذا ما تحقق عدم الاستحياء ، جاءت العقوبة النبوية المفهومة من السياق الّذي ابتدأ بصيغة فعل الأمر بصيغة الأمر " اصنع " مقترناً بالفاء التي لازمت السببية في العمل ؛لأنها وقعت جواباً للشرط ، أي بسبب عدم استحيائك ، أصنع ما شئت ، فإنه ـ تعالى . مجازيك . ففائدة استعمال هذا التركيب . أعني صيغة الأمر المجازية . ليبين لنا أن الانسان فيما لو ذهب الاستحياء عنه ، فعل كلَّ ما يشتهي أن يفعله ،دون رادع ديني أو أخلاقي يردعه .

(1) ابن القيم اللغوي ، أحمد ماهر ، ص 73 .
(2) م . ن ، ص 73 . 74 .
(3) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : 24 / 305 .
(4) فيض القدير : 1 / 58 .
(5) ينظر : حروف المعاني ، الزجاج ، ص 63 ؛ شرح المفصل : 4 / 271 ؛ الجنى الداني ، ص 360 .

ب . النهي :

النهي : من الأساليب البلاغية التي استخدمها رسولنا الكريم (ﷺ) ، في مواقف يتطلب فيها الحزم والشدة في ضرورة اجتناب المسلم أموراً قد تضر نفسه ، وتلحق الأذى بالآخرين،لا سيما وان وقع المعنى على المخاطب بصيغة النهي : لا تفعل . وهي الصيغة الوحيدة له . يكون أشد تحذيراً له من عواقب وخيمة ، قد تحصل فيما لو لم يستجب للمنهيِّ عنه .

النهي في اللغة والاصلاح :

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : " النهي خلاف الأمر ، تقول : نهيته عنه " [1]، " وانتهى الشيء : بلغ النهاية " [2] . واصطلاحاً : هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والالزام [3] .

معاني النهي في أحاديث الكتاب :

. المعنى الأول ، الحقيقي :

لقد ورد هذا المعنى في حديث يرويه لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((**لاَ تَحاسَدُوا * ، وَلاَ تَنَاجَشُوا * ، وَلاَ تَبَاغَضُوا * ، وَلاَ تَدابَرُوا* ، وَلا يَبْع بَعْضُكُمْ عَلى بِيعْ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبادَ الله أخْواناً ...**)) [4] .

لقد ورد النهي في الحديث ،عن صفات رذيلة ، أجمع العلماء على تحريمها، لا سيما أن مثل هذه المحرمات ، تتطلب الحزم والشدة في التعامل معها وبضرورة أن يتجنبها

(1) كتاب العين : 4 / 93 .
(2) أساس البلاغة : 2 / 486 .
(3) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 152 ؛ الإيضاح ، ص 107 . 108 ؛ الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، محمد سعيد وبلال جنيدي ، ص 991 ؛ أساليب بلاغية ، ص 116 .
* وجه ذم الحسد وقبحه ، لأنه اعتراض على الله تعالى بفضل نعمه على غيره، فالحاسد ، يحاول جاهداً ؛ لإزالة تلك النعم عليه " . ينظر : دليل الفالحين : 2 / 19 .
* **معنى التناجش :** " هو التزايد في المبيع بثمن كبير، لينظر إليك الناظر فيقع فيه ". معجم مقاييس اللغة : 5 / 394 ؛ أساس البلاغة : 2 / 424 .
* **معنى التباغض :** يقال ضد التحاب ، فنهى الحديث عن ذلك . ينظر : معجم مقاييس اللغة : 121/7 .
* **معنى التدابر :** أن يترك كل واحد منهما الاقبال على صاحبه بوجهه . م . ن : 324/2 .
(4) سبق تخريجهُ.

المسلم ؛ لذا كان من المؤكد أن يصدر النهي على وجه الاستعلاء وإلزامُ المخاطب في ضرورة الانتهاء عنها ، كونها منافية للإسلام وتلحق الضرر بالمسلمين مِمَّا يولد الحقد والضغائن بينهم وهذا مالا يُريدهُ الرسول (ﷺ) ، فضلاً عن أن ورود تلك الأفعال بصيغة المضارع ، قد أفاد التجدد في النهي عن تلك الأعمال،كلما تعرض لها الإنسان ، لأن الخبر إذا ورد بصيغة المضارع ، دلَّ على تكرار الفعل مرة بعد أخرى [1] .

ومنه أيضاً حديث يرويه لنا أبو ثعلبَةَ الخُشني* (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : ((**إنّ اللهَ تَعَالى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعوهَا ، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوها ، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا**)) [2] .

إذ نلاحظ أن الحديث ، قد ابتدأ بأداة التوكيد : " إن " لتأكيد الخبر المنهي عنه ، بترك الفرض الذي هو حدود الله تبارك وتعالى ، التي أمر بها ونهى عنها ، وما أوجبه على عباده ، وسُمِّيَ بذلك ، لأنَّ لهُ معالم وحدود [3] . فلقد أجمع العلماء ، على تحريم ترك الفرض كالصلاة والزكاة والصوم في رمضان [4] ، وما شابه ذلك من فروض . ونهى أيضاً عن اجتياز حدود الله ، ككون الصبح ركعتان وكل من الظهر والعصر والعشاء أربعاً وككون الصوم ما بين طلوع الشمس وغروبها [5] ، فقال . تعالى . : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّـهِ فَلا تَقْرَبُوهَا** ﴾ [6] ، وقال : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّـهِ فَلا تَعْتَدُوهَا** ﴾ [7] . ثم نهى عن تناول ما حرّمه الله على عباده ، كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير [8] . ونظراً لكون السؤال عما سكت الله عنه ؛ يفضي إلى التكاليف الشاقة لأنه لم يبين حلالها من حرامها ، ختم الحديث بالنهي عن البحث عنها . ويرى العلماء أن المقصود بهذا البحث المنهي عنه ،

(1) ينظر : التراكيب النحوية عند عبد القاهر الجرجاني ، عبد الفتاح لاشين ، ص 96 .

* أبو ثعلبة الخشني ت(75هـ)، صحابي مشهور معروف بكنيته واختُلِف في اسمهِ فقيل إن اسنه جرثوم بن المسيب أو جرثومة. يُنظر: الإصابة/7:58.

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ح(19509) .

(3) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 4 / 489 ؛ لسان العرب : 3 / 202 .

(4) ينظر : دليل الفالحين : 4 / 671 .

(5) ينظر : م . ن : 4 / 671 .

(6) سورة البقرة ، الآية (187) .

(7) سورة البقرة ، الآية (229) .

(8) ينظر : دليل الفالحين : 4 / 671 .

هو ما يتصل بأمور الغيب التي أمرنا الله بالإيمان بها ، ولم يبين كيفيتها ؛ لأنه قد يوجب الحيرة والشك ، ويرتقي إلى التكذيب والإنكار [1] .

. المعاني الثانية (البلاغية) :

قد يخرج النهي عن معناه الحقيقي وهو طلب الكف إلى معاني تفهم من سياق الكلام ، وقد ورد في أحاديث الكتاب بمعنيين هما :

1 . النصح والإرشاد :

لقد ورد هذا المعنى في حديث يرويه لنا أبو هريرة (ﷺ) ، أن رجلاً * قال للنبي (ﷺ) أوصني : قال : ((**لاَ تَغْضَب ، فَرَدَّدَ مِرَارَاً ، قَالَ : لا تَغْضَبْ**)) [2] .

نصيحة نبوية ، وردت بأسلوب النهي ، ترشد السائل المتلهف ، لوصية يوصيها لَهُ نبيه الأعظم (ﷺ) فيأتي الجواب الحكيم بكلمتين لا ثالث لهما ، وبعبارة موجزة ، يلائم فيها حال السائل ، بقوله (ﷺ) : " لا تغضب " وإنما جيء بصيغة المضارع : " تغضب " ؛ ليفيد تجدد نهي الغضب الناتج عن " ثورات القلب إرادة الانتقام " [3] ، مِمَّا يفتح منافذ للشيطان ، فيدخل عن طريقها إلى جسم الإنسان ، ليتحكم بأفعاله . فطلب السائل منه (ﷺ) ، الوصية مرَّة أخرى ، وكأنه لم يقتنع بها ، فامتنع (ﷺ) عن أيَّة زيادة ، " وكأن الإنسان إذا ملك عواطفه وسيطر عليها ، ملك الخير كله [4] . فَرَدَّدَ تلك الوصية مراراً في النهي عن رذيلة الغضب ، وبتكرار أداة النهي ، قد جعل فعل التأكيد على تجنب الغضب أشدُّ وبضرورة أن يتمسك السائل بتلك الوصية النبوية؛ حتى يتجنب مزالق الشيطان وأوامره

2 . الحث :

(1) ينظر : حاشية حسن بن علي على كتاب الفتح المبين ، ص 203 .

* قيل أن الرجل هو جارية بن قدامة ، وقيل أنه أبو الدرداء (رضي الله عنهما) . ينظر عمدة القارئ : 22 / 256 ؛ فيض القدير : 6 / 536 ؛ دليل الفالحين : 1 / 193 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأدب: باب الحذر من الغضب، ح(5765) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن ، ص 608 .

(4) أدب الحديث النبوي ، بكري شيخ أمين ، ص 192 .

الحث : في اللغة : " الحض على الشيء " [1] ، وقد ورد هذا المعنى ، في قول ابن عمر (رضي الله عنهما) ((**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَتِكَ لِمَرَضِكْ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**)) [2] .

إذ إنَّ النهي في الحديث لم يكن حقيقياً ، فليس القصد منه ، عدم انتظار المساء أو الصباح حقيقةً . بل إنَّ في النهي حَثٌّ للانسان بضرورة عدم الانشغال بالدنيا وملذاتها والزهد فيها،ففي الحديث كناية عن قطع الأمل في الحياة وملذاتها وإغراءاتها. وقد ساهم التضاد المتمثل في المساء والصباح،في تعزيز الدلالة المستنبطة من الحديث ، وهي ضرورة التحضير لملاقاة الآخرة بالعمل الصالح ، فلا يعرف الإنسان ، متى سيتوقف انتظاره للمساء أو الصباح . ثم ينقلنا سياق الحديث من النهي إلى الأمر بنصيحة أخرى بقوله : " وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك " ، ناسب فيها مضمون الحديث الذي عُدَّ من أجله ، بضرورة أن يغتنم الإنسان ، الأعمال الصالحة ، وقت شبابه وصحته قبل هرمه ومرضه .

ج . الاستفهام :

(1) معجم مقاييس اللغة : 2 / 29 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق: باب قول النبي ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، ح(6053).

لقد كان الاستفهام في الأحاديث النبوية الشريفة ، الوسيلة الناجحة في تقرير المعنى المراد نقله إلى السامعين.

وقد لاحظنا أن الاستفهام في أحاديث الكتاب ، قد تَنوع بين أدوات الاستفهام * ، إذ ورد الاستفهام بـ " الهمزة " في تسعة مواضع ويليها الاستفهام بـ " مَنْ " في موضعٍ واحدٍ ، ثم الاستفهام بـ " أنى " في موضعٍ واحدٍ أيضاً .

الاستفهام لغةً واصطلاحاً :

الاستفهام لغةً : طلب الفهم ، واستفهم الرجلُ الرجلَ ، سأله أن يُفهمهُ [1] . أمَّا **إصطلاحاً :** فقد عرفّه البلاغيون : "هو طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام " [2] ، والاستخبار لأمر لم يكن معلوماً من قبل " [3] . ومنه ما ورد عن أبي رُقية بن أوس* (رضي الله عنه) ،أن النبي (ﷺ) قال : ((**الدِّينُ النَّصِيْحَةُ))، قلنا لمن ؟ قال ((للهِ ، ولِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ وَعامَتِّهِم**)) [4] .

لقد " عُدَّ هذا الحديث ، من أحاديث أرباع الدين " [5] ، فمن الملاحظ أنه قد بدأ " بعبارة غايتها النصح ، وبأسلوب بلاغي، مفادَهُ التشويق مُجملاً على السامع بتضمين خبر غريب عليه ، فيشد انتباهه ويلفت ذهنه ؛ لتحقيق أفضل النتائج ، المرجو إيصالِهَا إلى السامعين ، مِمَّا لو صيغ السؤال بالهجوم على السامع دفعةً واحدة . ومطلع الحديث بإيجازه الشديد والمتمثل بقوله : الدين النصيحة ، يلقي في عقل المتلقي وقلبه ، معنى حقيقة الدين ، حتى عُدَّ نصيحة والتي جاءت في كتب اللغة تعني : " خلاف الغش " [6] . وقيل أيضاً أنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع ، فشبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط [7] ، وذلك على سبيل الاستعارة بالكناية * ،

---

* للاستفهام أدوات كثيرة ، وهي نوعان ، الأول منهما : حرفان وهي ، (الهمزة وهل) ، والثاني : أسماء وهي : (ما ومَنْ وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وايان) . ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ، ص 181 ؛ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : 2 / 326 .

(1) ينظر : لسان العرب : 15 / 357 .

(2) الطراز : 3 / 286 .

(3) أساليب بلاغية ، ص 118 ؛ معجم المصطلحات البلاغية : 1 / 181 .

* هو تميم بن أوس بن خارجة بن مسعود، ت(40 هـ)، وهو صحابي. يُنظر: الإصابة/4:239.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب إن الدين النصيحة، ح(55) .

(5) شرح الطيبي : 1 / 182 .

(6) معجم مقاييس اللغة : 5 / 435 .

(7) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 7 / 176 .

كما قال الطيبي [1] . ولما وقع الإجمال بتلك العبارة ؛ استدعى تعجب الصحابة (ﷺ) ، مستفهمين عن ذلك باسم الاستفهام : " مَنْ " الموضوع " للاستفهام عن العاقل " [2] ،فلم يخرج السؤال ههنا عن معناه الحقيقي، لأن الصحابة ، طلبوا الفهم منه (ﷺ) عن تلك العبارة ، فيسوق الاجابة ، مبتدأً بالأهم فالأهم وبأسلوب العطف ، الذي أضفى على الحديث ، تناغماً موسيقياً بتوافق قرائنه " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " فالنصيحة لله : أن يخلص العبد العمل لله ، أما النصيحة لكتابه ، فتكون بإتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والنصيحة لرسوله، بأن يصفو قلب العبد في قبول دعوة النبوة ، ولا يُضمر خلافها، أما النصيحة لأئمة المسلمين ، بأن لا يشق عصاهم ، ولا يعقَّ فتواهم [3] .

المعاني الثانية (البلاغية) :

لمّا كان الأصل في الاستفهام هو : طلب الفهم عن سؤالٍ يجهله المتكلم ، فقد يخرج عن ذلك لمعرفة السائل عما يسأل عنه ، وحينئذٍ ، يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معاني أخرى ، ، تفهم من سياق الحديث ، وهذا ما سنتناوله ، بدراسة عدد من تلك المعاني في أحاديث الكتاب :

1 . التقرير :

---

* **الاستعارة بالكناية :** " قد يضمر التشبيه في النفس ، فلا يصرح بشيء من أركانه ، سوى لفظ المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر ، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها " . الإيضاح ، ص 176 .

(1) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 182.

(2) الصاحبي ، ص 173 .

(3) ينظر : مجمع الأمثال : 1 / 271 ؛ شرح الطيبي : 1 / 182 ؛ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 7 / 176 ؛ فتح الباري : 1 / 182 .

قال ابن منظور : " تقرير الإنسان بالشيء : جعله في قراره ؛ وقرَّرتُ عنده الخبر حتى استقر" [1] .والتقرير عند البلاغيين : أن " تقرر للمخاطب بشيء ثبت عنده ، لكنك تخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام ، ذلك لأنه أوقع في النفس ، وأدل على الالزام " [2] .

وقد ورد الاستفهام تقريراً في حديث يرويه لنا أبو ذر (ﷺ) في بيان الصدقات ، مخاطباً (ﷺ) أُناساً سألوهُ : " يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته،ويكون له فيها أجرُ ؟ قال : ((**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ؟ فَكَذلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَان لَهُ أَجْرٌ**)) [3] .

إذ نلاحظ أن الاستفهام في الحديث ، قد ورد في ثلاثة مواضع ، ففي الموضع الأول،نجد " أن الصحابي السائل يستشكل أن يكون لإتيان المرء شهوته مع اللذة الجنسية أجر أخروي " [4] ، لأن الأَجر ، غالباً ما يحصل في عبادة شاقة على النفس مخالفة لهواها [5] . فسؤال الصحابي (ﷺ) ، قد جاء بصيغة التعجب السماعي ؛ لعدم جري كلامه (ﷺ) على المألوف العام من القواعد والعادات ، متمثلة في الاسماع والانظار؛ لتدرك ما وراء ذلك الخبر ، طلباً منه (ﷺ) تقرير المعنى ، فقال الطيبي : " واقحم همزة الاستفهام الواردة للتقرير بين الأداة " لو " وجوابها " أكان عليه وزرٌ " وذلك ليؤكد الاستخبار [6] . ففي هذا الموضع ، يخرج أسلوب الاستفهام لمعنى التقرير بقوله : " أرأيتم لو وضعها في حرام" فقيل أن هذه الصيغة . أعني أرأيتم . دلّت على الاستفهام تقريراً ؛ لأن الهمزة ،إذا دخلت على الفعل " رأى " دلّت على التقرير وصار التركيب بمعنى أخبرني ، فامتنع من أن يكون الفعل : " رأى " من رؤية البصر أو القلب [7] ؛ لذا أصبح هذا التركيب ، أسلوب من أساليب التعجب [8] . وتشير الباحثة هناء محمود شهاب : " إلى أن

---

(1) لسان العرب : 5 / 85 .

(2) البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 119 .

(3) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة: باب بيان أنَّ اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح(1006) .

(4) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 248 .

(5) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 2 / 1050 ؛ دليل الفالحين : 1 / 349 .

(6) شرح الطيبي : 4 / 398 .

(7) ينظر : حروف المعاني ، ص 19 ؛ رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، ص 46 ؛ معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي : 2 / 43 .

(8) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : 30 / 446 ؛ التعجب في القرآن الكريم ، علي فاضل الشمري ، رسالة ماجستير ، ص 133 .

الدلالة الاستفهامية في صيغة : " أرأيت " في سياقها التركيبي ، تمنح الجملة الاستفهامية بُعداً ادائياً متميزاً من خلال القيمة التنبيهية والتقريرية لوظيفة هذه الصيغة ، وهي القيمة التي تسبغ على المعنى الاستفهامي قوة تنغيمية يتم بها استيضاح أبعاد ... المعنى " [1] . فالرسول (ﷺ) ، أجاب الصحابة بطريقة الاستفهام ، ليقررَّ ثبوت أجر النكاح ويبعد الشك عنهم ، وذلك بضرب المثل بما يتناقض مع الحلال وحصول الوزر إذا وضع الانسان شهوته في الحرام .

2 . الاستدراج :

قال ابن الأثير في الاستدراج : " هذا الباب أنا الذي استخرجته من كتاب الله ... " [2] ، وذلك بأن يسأل النبي (ﷺ) أصحابه سؤالاً ؛ للإجابة عليه ، ولينطلق مباشرة بعد ذلك ، إلى الموضوع المراد الحديث عنه ، بعد أن تكون الأذهان قد تهيأت ، والنفوس قد تحفزت للاستماع والاصغاء [3] . فالاستدراج معنى بلاغي ، خرج إليه الاستفهام في حديث عَدَّهُ العلماء ، من المعجزات الكبرى لرسول الله (ﷺ) ومن دلائل النبوة ، والمعجزة تكمن في اخبار ما في ضمير وابصة* . راوي الحديث . قبل التكلم به [4] وابرازه في حيز الاستفهام وتدريج السائل في الاجابة ، توفيراً له من العناء أو الحرج في السؤال ، فقال (رضي الله عنه) : أتيت رسول الله (ﷺ)، فقال : ((**جِئْتَ تَسْأَلُ عَن البِرِّ ؟**)) قلت : نعم ، **فقال : ((إِسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، البِرُّ ما اطمأَنَّتْ إليهِ النَّفْسُ واطمأنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ،والإِثْمُ مَاحَاكَ في النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النّاسُ وأَفْتُوكَ))** [5] .

إذ إن ورود السؤال هنا ، ليس حقيقياً بطلب الاستخبار منه (رضي الله عنه) لأمر لم يكن معلوماً من قبل ؛ لأن الرسول (ﷺ)، استدرج السائل بسؤاله عن البِر ؛ وهو عالم بأن

(1) أساليب الطلب في الحديث الشريف ، هناء محمود شهاب ، أطروحة دكتوراه ، ص 113 .
(2) المثل السائر : 2 / 260 .
(3) ينظر : أساليب الطلب في الحديث الشريف ، هناء محمود شهاب ، أطروحة دكتوراه ، ص 126 .
(4) ينظر : شرح الطيبي : 6 / 21 .
(5) ح (27) ، ص 196 .
* هو وابصة بن معبد بن عقبة بن ثعلبة الأسدي. ينظر: الإصابة/6:590.
* قد تحذف أداة الاستفهام عند وجود قرينة تدل عليها . كما في الحديث الذي نحن في صدده ، ويبقى الاستفهام قائماً في الكلام . وهذا ما اكَّدَهُ النحاة ، بشرط أن لا يضر الكلام شيئاً وبتحديد الهمزة من بين أدوات الاستفهام الأخرى . ينظر : المفصل في علم العربية ، ص 320 ؛ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري : 1 / 14 ؛ دور الرتبة في الظاهرة النحوية ، محمد عزام ، ص 147 .

السائل سيسأَلَهُ عنه . والاستفهام في الحديث ، محذوف الأداة * ، والتقدير : أَجئت تسأل عن البر؟إذ أن حذف أداة الاستفهام . الهمزة . يعمل على تحويل السؤال المحايد إلى سؤال غير محايد ،فالسؤال المحايد،لا يقتضي معرفة مسبقة بالجواب ، بينما يقتضي حذف أداة الاستفهام في مثل هذه المعرفة، وحينئذٍ لا يكون محايداً ، وكيف يكون كذلك ، وللرسول (ﷺ) معرفة مسبقة بوقوع الأمر المسؤول عنه ؟ [1] ، لذا أجابه السائل إجابة تصديق بنعم . وهنا تنطلق الاجابة النبوية بتحكيم القلب وجعله المسؤول عن البر ، بتحديد علامتين :

الأولى ، داخلية : وقد وردت بأسلوب الاستعارة ؛ لأن المراد من النفس . في قوله : " البر ما أطمأنت إليه النفس . " هو القلب ، لأنَّ الإنسان كما يُقَوم بالنفس ، كذلك يتقوم بالقلب [2] . وما تتركه النفس من اضطراب ومخاوف من الوقوع في الأخطاء ؛ لعدم الارتياح من ذلك الأمر .

الثانية ، خارجية : وهي كراهية اطلاع وجوه الناس وأمثالهم الذين يُستحي منهم، بشرط أن تكون هذه الكراهية دينية ،لا الكراهة العادية [3]. وقال الطيبي : " ولعله عطف إطمئنان القلب على اطمئنان النفس ؛ للتقرير والتأكيد ، فإن النفس ، إذا ترددت في أمر وتحيرت فيه وزال عنها القرار ، استتبع ذلك العلاقة التي بينها وبين القلب ، الذي هو المتعلق الأول لها ، فتنقل العلاقة إليه من تلك الهيئة أثراً فيحدث فيه خفقان واضطراب ، ثم يسري هذا الأمر إلى سائر القوى ، فيحس بها الحلال والحرام ، فإذا زال ذلك عن النفس ، وحدث لها قرار وطمأنينة ، انعكس الأثر وتبدل الحال على ما لها من الفروع والأعضاء " [4] .

3 . الاستبعاد أو التعجب :

(1) الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ، سمير شريف ، مجلة المورد / م 18 ، ع (1 . 2) لسنة 1989 ، ص 40 .

(2) ينظر : شرح الطيبي : 22/6 ؛ الوافي في شرح الأربعين النووية ، مصطفى البغا ، محي الدين مستو ، ص 207 .

(3) ينظر : الوافي في شرح الأربعين النووية ، ص 207 .

(4) شرح الطيبي : 6 / 21 .

قيل أن " من المعاني التي يأتي من أجلها الاستفهام في البيان النبوي ، تصوير بُعد المستفهم عنه أن تصل إليه القدرة ، وإخراجه هذا الاخراج ، أتم تقريراً ؛ للبعد من مجرد الخبر ... " [1] .

والاستبعاد أو التعجب ، معنيين قد خرج إليهما الاستفهام في حديث يرويه لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((**إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلْ إلاّ طَيِّباً... ثُمَّ ذَكَرَ : الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ * أَغْبَرَ * ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، يا رَبُّ ، يا رَبُّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشرَبُهُ حَرامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرامٌ ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ !**)) [2] .

من الملاحظ ، أن هناك ظاهرة بلاغية نستنبطها من الحديث ، وهي حُسن استخدام الجمل الفعلية والاسمية المناسبة لغرض الاستفهام في الحديث . فالرسول (ﷺ) ، عندما أراد أن يصف لنا حال الرجل الذي يُطيل السفر ؛ لغرض ابتغاء مرضات الله ، استخدم الأفعال المضارعة ، " يطيلُ ، يمُدُّ " ؛ للدلالة على حضور الدعاء تجدداً منه في كل يوم . بينما استخدم الجمل الأسمية : " مطعمه حرام " و" مشربه حرام " و " ملبسه حرام " والتي تدلّ على الثبوت والدوام ، كون الحرام ، قد أخذ منه مأخذه منذ صغره ، حتى امتزج بدمه فهو دائم عليه ، ومع ذلك يدعو ربَّهُ على الرغم من قبيح أعماله وتلبسه بالحرام . وها هنا يأتي السؤال النبوي بقوله : ((**فأنى يستجاب له**)) . فالاستفهام خارجٌ عن معناه الحقيقي ، إلى معنى الاستبعاد ، إذا اعتبرنا اسم الاستفهام : " أنى " بمعنى " من أين " . وإلى معنى التعجب ، إذا اعتبرناهُ بمعنى كيف ؛لأن اسم الاستفهام : " أنى " يمكن أن يأتي بكلا المعنيين [3] ، فهو يرد بمعنى " من أين " استبعاداً وبمعنى كيف وقد خالطها معنى التعجب [4] وهو ما يناسب الحديث .

---

(1) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 382 .

* **معنى أشعث** : أي منتف الشعر ، متفرق الأمر . ينظر : معجم مقاييس اللغة : 192/3 ؛ لسان العرب : 2 / 160 .

* **معنى أغبر** :أي لونه كلون الغبار الذي علا عليه فصار رَثّاً بسبب ذلك . ينظر : مقاييس اللغة : 4 / 409 .

(2) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة: باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، ح(1015) .

(3) ينظر : الكتاب : 4 / 235 ؛ الصاحبي ، ص 173 .

(4) ينظر : قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، سناء حميد البياتي ، ص 334 .

د- النداء :

النداء لغةً واصطلاحاً :

النداء لغةً : قال ابن منظور: أصل النداء ، هو رفع الصوت وناداهُ نداء ، أي صاح به [1] . أما **اصطلاحاً** : فقد عرّفه النحاة : بطلب الاقبال أو دعاء المخاطب بحرف من حروف النداء * ، يناب مناب : " أدعوا " ملفوظاً أو مُقدراً ، والطلب يشمل المحسوس وغير المحسوس[2]،وهذا ما يتطابق مع تعريف علماء المعاني بقولهم : هو طلب اقبال المدعو على الداعي أو التصويت بالمنادى لإقباله عليك بإحدى أدوات مخصوصة [3] .

فالنداء سمة بارزة ، نجدها بشكل واضح في أحاديث الكتاب ، إذ يُؤتى به ؛ لتنبيه المخاطب ونقل الأحاسيس والمشاعر تجاه الآخرين ، لما تحمله أدوات النداء من خصائص ،تعبر عن المعاني أدق تعبير ، لا سيّما الأداة : " يا " * عند النطق بها ، وذلك بإمتداد الصوت المتمثل بألف الإطلاق الذي جاء متماشياً مع طبيعة المعنى المراد توصيله إلى الآخرين ، كما سنلاحظ ذلك عند تحليلنا لبعض أحاديث الكتاب .

ولابد من الإشارة إلى أنَّ النداء في أحاديث الكتاب ، قد ورد بأداة النداء " يا ". وهي أم الأدوات [4] وأشهرها [5] ـ في تسعةً وعشرين موضعاً، بينما ورد بالأداة : " أي " في موضعين .

معاني النداء (البلاغية) :

سنركز في مبحثنا هذا ، على معاني النداء التي خرجت من معناها الحقيقي إلى معاني مجازية * ، يحدِّدها لنا طبيعة سياق الحديث وهي :

---

(1) لسان العرب : 15 / 315 .

* أدوات النداء هي : أ وآ وأي وآي ويا وأيا وهيا و (وا) لِلْنُدْبَة . ينظر : قول ابن الحاجب في : شرح الرضي على الكافية : 4 / 425 ؛ جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني : 3 / 148

(2) ينظر : شرح جمل الزجاج ، ابن عصفور الأشبيلي : 2 / 82 ؛ شرح الوافية نظم الكافية ، ابن الحاجب ، ص 190 ؛ الأمالي النحوية ، ابن الحاجب ، ص 100 ؛ رصف المباني ، ص 453 .

(3) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 154 ؛ الطراز : 3 / 293 .

* **حرف النداء :** " يا " ، حرف وضعه العلماء لنداء البعيد . وقد يخرج عن ذلك الوضع فينادي به القريب ، خروجاً عن معناه الأصلي إلى المجازي . ينظر : المفصل في علم العربية ، ص 319 ؛ مفردات ألفاظ القرآن ، ص 895 .

(4) شرح جمل الزجاجي : 2 / 82 ؛ شرح الرضي على الكافية : 4 / 425 ؛ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي : 3 / 35 .

(5) معجم الأدوات النحوية ، محمد التونجي ، ص 167 .

* وذلك ، بأن ينزل فيه المنادى القريب ، منزلة المنادى البعيد بأحد الحروف المختصة به أو بالعكس . ينظر : الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 915 ؛ معجم المصطلحات البلاغية : 3 / 326 .

1 . الاختصاص :

يقال ، أن الاختصاص ، الإفراد ، واختص فلان بالأمر وتخصص له ، إذا انفرد به [1] ، فقد تستعمل صيغة النداء في معنى (الاختصاص) [2] ؛ وذلك بأن تأتي بـ (أي) مبنية على الضم ، وتجريه مجراه في النداء ، فتضمه وتُلْحِقَهُ بـ (ها) لتنبيه المخاطب ، ولفت الأسماع نحوه ، وتصفه بالمعرف بأل ،وذلك بعد ضمير المتكلم أو المخاطب[3] ، لغرض بيان اختصاص مدلول ذلك الضمير[4] . ومنه ما ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((**إنّ الله تَعالَى طيّبٌ لا يَقْبَلُ إلاّ طيباً ، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ فقال . تعالى . :** ﴿ **يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا** ﴾ وقال . تعالى . : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾)) [5] .

أبرز ما يثير انتباهنا في الحديث الشريف ، هو تقديم لافتة قصيرة ، تعجل بالحكم والمقصد المراد توصيله إلى السامعين بقوله(ﷺ): ((**ان الله طيّب لا يقبل إلاّ طيباً**)) والذي عُدَّ محور الحديث والأساس المبنى عليه ، وهو ما عبّر عنه البلاغيون بحسن المطلع ، فقال أبو هلال العسكري : أن يكون في صدر الكلام ، دليل على حاجته ومبين لمغزاه ومقصده [6] ؛ كونه أول ما يقرع السمع [7] . ولما أراد الرسول (ﷺ) ، اثبات كلامه بأن الله قد أمر المرسلين بما أمر به المؤمنين ، اقتبس الآيتين الكريمتين ووظفهما في حديثه الشريف ، ليؤكد ذلك الحكم ، وهنا يبرز أسلوب النداء بتخصيص الرسل والذين آمنوا في أكل الطيبات ، إذ إن الاختصاص متحقق بالضمير : " الهاء " والعائد إلى الرسل والمؤمنين في قوله : " يا أيها " وهو أدق أنواع الخطاب لهم لما تحمله هذه الصيغة من تأكيدٍ ، وتخصيص بتكرار حرف النداء : " يا " مرتين في تلك الصيغة ، وإضافة

---

(1) ينظر : لسان العرب : 7 / 24 .

(2) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، قيس الأوسي ، ص 296 .

(3) ينظر : الجنى الداني ، ص 342 ؛ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، ص 296؛ معاني النحو ، ابراهيم السامرائي : 2 / 542 .

(4) ينظر : بناء الجملة في الحديث النبوي ، عودة أبو عودة ، ص 474 ؛ معاني النحو : 2 / 542 .

(5) سبق تخريجه .

(6) ينظر : الصناعتين . الكتابة والشعر . ، ص 463 .

(7) ينظر : معترك الأقران : 1 / 74 .

الألف والهاء التي لحقتا حرف النداء " أي " ، مزيداً من التنبيه والتأكيد [1] . وبذلك تكون أبلغ أدوات النداء الأخرى . ولنبدأ أولاً ، بنداء الرسل ، فقيل أن خطاب الرسل بهذا النداء ،هو بيان لكرامتهم عند الله ونزاهتهم في أمورهم الجسمانية والروحانية ، فالأكل من الطيبات ، نزاهة جسمية ، والعمل الصالح نزاهة نفسانية ، واختلف المفسرون في تأويل الخطاب ؛لأن الرسل إنما أرسلوا متفرقين ، مما يتنافى مع الآية الكريمة،فقيل أن المراد بأن كل رسول قد نودي بزمانه بهذا المعنى وقيل أن المراد به نبينا (ﷺ) ؛ لأنه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل [2] ، " فوضع الواحد موضع الجمع " [3] . مؤكداً بفعل الأمر : " كلوا " والذي خرج عن معناه الحقيقي إلى غرضٍ مجازي أفاد الاباحة في أكل الطيبات [4] ، فالنداء في اللغة العربية ، إذا سبق طلباً ، كان دالاً على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه من جهة ، وعلى أن الأمر به مقصور على المنادى من جهة أخرى " [5] . وقدّم أكل الطيبات على العمل الصالح ؛ ليدلل على أن العمل الصالح ، " لابد وأن يكون مسبوقاً بأكل الحلال ... " [6] ، وهو السبب في تقبل الدعاء والعبادة ، وأن الحلال عون على العمل الصالح [7] . أما النداء الثاني في الآية الكريمة ، فقد كان تخصيصاً للمؤمنين دون الكافرين في أكل الطيبات بـ " يا أيها الذين آمنوا " ، وهو أمثل أنواع الخطاب إبانة لحقيقتهم ودلالةً على سموهم وفضلهم على سائر الخلق ؛ لأن أحب نداء إلى الإنسان هو أن تناديه بما يدلّ على عظمته ، فضلاً عما تحمله هذه الصيغة " بتوكيد تشريع اسلامي والإشارة إلى قوته وحرص الشارع على تنفيذه " [8] ، ومما يزيد الأمر تأكيداً ، هو إسناد الرزق إلى لفظ الجلالة " اللَّهُ " ؛ تحريضاً لهم في الأكل من الطيبات .

2 . التكريم والتنويه بالفضل :

(1) ينظر : الكتاب : 2 / 197 .
(2) ينظر : التفسير الكبير ، الرازي : 23 / 281 .
(3) لسان العرب : 11 / 283 .
(4) ينظر : التفسير الكبير : 2 / 190 ؛ تفسير ابن عاشور : 18 / 8 ؛ من بلاغة النظم العربي ، ص 73 . 74 .
(5) نداء المخاطبين في القرآن ، د . علي عبد الواحد ، مجلة كلية اللغة العربية ، العدد 8 ، السنة 1978 ، ص 85 .
(6) التفسير الكبير : 23 / 281 .
(7) ينظر : فتح القدير الجامع ما بين الرواية والدراية من علم التفسير ، ص 1297 .
(8) نداء المخاطبين في القرآن ، د . علي عبد الواحد ، مجلة كلية اللغة العربية ، العدد 8 ، السنة 1978 ، ص 95 .

التكريم لغةً : أن تهدي لانسان شيئاً ، لعملٍ قام به ، وأكرم الرجل وكَرَّمَهُ ، عظمهُ ونزَّهَهُ [1] .

والتكريم والتنويه بالفضل ، " غرض يخرج إليه النداء ، وذلك إذا أردنا تكريم المخاطب والتنويه بفضله،تركت نداءه باسمه وجعلت نداءه بصفاته الكريمة ، ... " [2] ، ومنه ما ورد عن أبي عَمْرَة . سفيان الثقفي* (ﷺ) ، قال : قلتُ : يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرك . قال : ((**قُلْ : آمنتُ باللهِ ، ثُمَّ إسْتَقِمْ**)) [3] .

نلاحظ أن صيغة النداء هنا لم تستعمل لطلب الإقبال ؛ لأن الصحابي الجليل ، كان يحاورهُ وينتظر الإجابة منه ، وإنما استعملت صيغة النداء هنا للتكريم والتنويه بفضله (ﷺ) ، إذ إنَّ الاضافة في قوله : يا رسول الله ، جاءت لتؤكد لنا بأنه مبعوث إلينا أجمعين ، ولتعريف المخاطبين بذلك تعظيماً له [4] ،وأعقب ذلك النداء ، سؤال الصحابي بتلهف عن قولٍ في الإسلام،وتحديد صدور الإجابة وحب الاستزادة من الرسول (ﷺ) لا مِنْ غيره ، وتأتي إجابة الرسول (ﷺ) بإيجاز اللفظ توفيراً عليه من العناء والمشقة وبتحديد أمرين : **الأول :** جاء وجوباً بصيغة الأمر " قل " وإلزاماً بضرورة الإيمان بالله ، قبل كل شيء ، مُقتبساً (ﷺ) حديثه من الآية الكريمة : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾[5] ،ثم يتحدد الأمر الثاني بـ " ثمَّ " التي جاءت هنا للتراخي الرتبي ؛ لأن مراعاة الاستقامة * أشق من حصول الإيمان [6] ، " إذ ليس المراد التلفظ بالقول فقط ، بل لابد من الاعتقاد المطابق للقول اللساني وبدأ أولاً بالذي أمكن في الإسلام وهو العالم بربوبيته ثم أتبعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة " [7] . لذا قدّم عليها ، لاحتياج الاستقامة إلى

---

(1) ينظر : لسان العرب : 12 / 512 .

(2) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، ص 302 .

* سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث جشم الثقفي الطائفي، أسلمَ مع الوفد. الإصابة/3:124

(3) أخرجه الإمام أحمد في كتاب مسند المكيين: باب حديث سفيان بن عبد الله الثقفي، ح(14990) .

(4) ينظر : المضاف إلى لفظ الجلالة " اللهُ " في القرآن الكريم . دراسة دلالية . لقاء حازم أحمد ، رسالة ماجستير ، ص 19 .

(5) سورة فصلت ، الآية (30) .

* ذُكِرَ للاستقامة قولان ، الأول : الاستقامة في الدين والتوحيد والمعرفة، والعمل بكمال الشريعة، والثاني : أن المراد الأعمال الصالحة . ينظر التفسير الكبير : 25 / 561 ؛ تفسير ابن عاشور : 26 / 27 .

(6) ينظر : تفسير ابن عاشور : 26 / 27 .

(7) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي : 7 / 495 .

عبادة بدنية ، أما التوحيد فهو عبادة قلبية لا تحتاج إلى مشقة ، ولأن الإنسان ، لا يستقيم إلاّ بعد الإيمان بالله ﷻ ، وفي قوله : استقم ، استعارة ، إذ " تطلق الاستقامة بوجه الاستعارة على ما يجمع معنى حسن العمل والسيرة على الحق والصدق " [1] .

3 . التنبيه :

قد يخرج النداء إلى معنى يراد به ، تنبيه المخاطب ؛ ليصغي إلى ما يرد من الكلام المنادى له ، أو لتهيئة المخاطب ؛ لتلقي نَبَأٍ عظيم [2] ، لا سيّما في الخطابات الإلهية مع العباد، فقد ورد في الحديث القدسي الذي يرويه لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) عن ربه ، قال : ((**... يا عِبَادي : إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فتضرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُوْنِي**)) [3] .

قد يتبادر إلى الذهن ، السؤال الآتي : لما كان حرف النداء ، قد وضع أساساً لنداء البعيد ، فلماذا قد أُستخدم هنا في نداء الله لعباده ، وتحديداً بذلك الحرف ، ونحن نقرأ في الآية الكريمة : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ [4] ؟ ! فالاجابة عن ذلك ، أن صيغة النداء هنا، قد خرجت من معناها الحقيقي إلى غرض مجازي ، وهو التنبيه ، أي تنبيه المخاطب البعيد ؛ لأن حرف النداء : " يا " قد ينزل فيه القريب ، منزلة مَنْ بَعُد ، إذا كان ساهياً أو غافلاً [5] . واعتقد . والله أعلم بالمراد . أن القَصْدَ بالبعيد هنا في الحديث ، ليس هو البعد الجسدي وإنما هو البعد الفكري ؛ لأن الله أراد أن يخاطب العباد الذين قد غفلوا عن الأمر الذي يريد تثبيته في نفوسهم ، وليوقظهم من غفلتهم وليجلب انتباههم ، استخدم ذلك الحرف ، ونزل العباد منزلة المنكرين للخبر ؛ لذا استخدم مؤكدين في آنٍ واحدٍ وهما : " إنّ " في قوله : " إنكم " وأداة النفي : " لن " ليؤكد أنه لن يضره ضرر العباد ولن ينفعوهُ إذا أرادوا ذلك .

---

(1) تفسير ابن عاشور : 24 / 282 .

(2) ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، ص 218 ؛ نداء المخاطبين في القرآن ، د . علي عبد الواحد ، مجلة كلية اللغة العربية ، العدد 8 ، السنة 1978 م ، ص 88 . 89 .

(3) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم، ح(2577) .

(4) سورة ق ، الآية (16) .

(5) ينظر : الكتاب : 2 / 230 ؛ رصف المباني ، ص 451 .

المبحث الثالث

الحروف والأدوات

أولاً ـ التعريف والتنكير :

من سحر البيان ، التعريف والتنكير . هذا ما قرَّرهُ علماء البلاغة [1] ، عندما تكلموا على هذه الثنائية وما تصدره من استقصاء التأمّل وفخامة الأسلوب ودقته في تحديد غرض المتكلم المرجو إيصاله إلى السامعين . والمتمعن في أحاديث الكتاب ، يلتمسُ كثرة المعارف وقلّة النكرات ؛لذا سنبدأ أولاً بالتعريف ؛ لنبين سر البلاغة النبوية وراء استخدامه ، علماً أننا سنبين أنواعه ، حسب ما ورد في أحاديث الكتاب .

القسم الأول: التعريف :

هو ما دلّ على شيء بعينه [2] ، وهو على أنواع خمسة ، كما وردت في كتب البلاغة والنحو * .

1 . التعريف بالعلمية * :

ويؤتى به ؛ ليميز مسماهُ عن غيره ، أو التلذَّذ بذكر اسمه ، أو الاضفاء عليه ، صفات تشعر بمدحه [3] . وقد ورد التعريف بالعلمية في خمسة مواضع أحدها ورد على لسان جبريل (عليه السلام) بذكر اسم الرسول (ﷺ) صراحةً عندما سأله عن الإسلام بقوله : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ [4] ، مُكرِّراً اسمه (ﷺ) عند السؤال عن الإيمان والإحسان ، مختتماً الحديث بسؤاله عن الساعة .

ولعل السؤال الذي يطرأ هنا : كيف يُنادى الرسول (ﷺ) باسمه ، وقد نهانا الله . ﷻ . بقوله : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا** ﴾ [5] .

---

(1) ينظر : دلائل الإعجاز ، ص 141 .

(2) ينظر : الطراز : 2 / 81 ؛ معجم المصطلحات البلاغية : 2 / 282 .

* **أنواع المعارف هي** : المضمرات والاعلام وأسماء الإشارة والإضافة والمعرف بأل . ينظر : الطراز : 2 / 11 ؛ الأشباه والنظائر في النحو ، السيوطي : 1 / 26 . 44 ؛ معجم المصطلحات البلاغية 2 / 282 . 287 .

* وهو إما اسم ، كابراهيم ومحمد وغيرها أو لقب كصلاح الدين وسيف الدين وغيرها ، أو كنية كأم الفضل وأبو محمد وغيرها . ينظر : الأشباه والنظائر في النحو : 1 / 28 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 231 .

(3) البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 231 .

(4) سبق تخريجه .

(5) سورة النور ، الآية (63) .

وللإجابة عن ذلك مسألتان :

الأولى : قيل أن خطاب الآية ، مُوجهٌ للعباد فقط دون الملائكة ، فخطاب جبريل (عليه السلام) لَهُ بـ " محمد " لكونه مستثنياً من الآية ولا ينطبق عليه حكم الآية ، فهو ملكٌ من ملوك الله [1] .

الثانية : وهي الأولى بالأخذ : أن في ذكر اسمه صراحةً؛دليل على الصلة الحميمة والمودة القائمة بينه (عليه السلام) وبين الرسول (ﷺ) ،وهذا من بلاغة التعريف بالعلمية، عندما ناداه باسمه ؛ تلذذاً بذكره أولاً ، وإضفاء صفات تشعر بمدحه ثانياً؛لذا قيل إن من أغراض التعريف بالعلمية ، هو احضار صفات يتمتع بها المنادى في ذهن السامع ؛ ليتميز بها عن غيره [2] . فلا يذكر اسم " محمد " عند الناس ، إلاّ وعرفوه بالصادق الأمين ، ذي الأخلاق الرفيعة .

2 . التعريف باسم الإشارة :

إنَّ " للوصف باسم الإشارة مزية يلمسها الذوق ؛ لأنه يجسم المعاني المعقولة وينقلها إلى حيز الموضوع تحت البصر والمشار إليه بالبنان ، فإذا كان المشار إليه محساً زاده تمييزاً وانكشافاً بتوجيه السامع إليه لزيادة اهتمام المتكلم به ، في مقام يستدعي ذلك من المدح أو الذم أو سواهما " [3] ، وقد ورد في أحد عشر موضعاً . وسنختار حديثاً لرسول الله (ﷺ) يبرز فيه دور اسم الإشارة في إغناء النصِّ ، وذلك في مخاطبته لمعاذ (رضي الله عنه) : ((**أَلا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذلك كُلِّهِ ؟**)) قُلْتُ : بَلَى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه وقال : ((**كُفَّ عَلَيْكَ هذا**)) [4] .

من الملاحظ أن الرسول (ﷺ) ، كان يعني باسم الإشارة : " ذلك " ، الحوار الطويل الذي جرى بينه وبين معاذ عن أمور الدين والنجاة من النار والدخول إلى الجنة ، ولِنتَأَمَّلُ ، أنه لو لم يذكر اسم الاشارة : " ذلك " ؛ لاحتاج أن يُعيد (ﷺ) ، ذلك

(1) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 69 .

(2) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، ص 105 .

(3) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 429 .

(4) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان: باب ما جاء في حرمة الصلاة، ح(2616) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح .

الحوار مَرَّة أخرى ، وهذا من أسرار التعبير باسم الإشارة ، وذلك بالاحتراز عن العبث وذكر مالا فائدة من اعادته [1] .

ثم تأتي الإجابة النبوية ، لتلخص لنا ما يملك ذلك الحوار كله وفيما يمكن أن نسميه " التلطف في التعبير الذي هو عملية الإشارة إلى شيء مكروه ... " [2] ، وبعبارة مُوجزة تحثُّ على طلب الكف عمّا يصدره اللسان من كلام بذئ بقوله (ﷺ) ((**كف عليك هذا**)) . فمن الملاحظ أن استخدام اسم الاشارة : " هذا " دليلاً عليه ، ما يثير انتباهنا ويستحوذ اعجابنا . فمن المعلوم أن اللسان ،هو حاسة ملموسة فكان من الممكن أن يقول : " كف عليك لسانك " ولكن الرسول (ﷺ) ، أراد أن يقصد تمييزهُ عن سائر أعضاء جسم الإنسان ولإحضاره في ذهن السامع،فيكون أكثر تنبيهاً وتأكيداً على تجنب مزالقه . وهذا ما أكده السكاكي بقوله : " أن الحالة التي تقتضي مجيء اسم الإشارة ، متى ما يصح إحضار المشار إليه في ذهن السامع بوساطة الإشارة إليه حساً ؛ ليتحقق بذلك أكمل تمييز له وتعيين [3] .

3 . التعريف بالإضافة :

ورد التعريف بالإضافة في اثنين وعشرين موضعاً من أحاديث الكتاب ، وسنختار حديثاً قدسياً ، يرويه لنا لرسول الله (ﷺ) عن ربه (ﷻ) : ((**... وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أَحَبَّ إلَيَّ مِمّا إفْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَلا يَزال عَبْدِي يَتَقَرَّب إليَّ بالنَوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**)) [4] .

إنّ لِقُرب الرب من عبده ، ما يخصه به في الدنيا من عرفانه ، وفي الآخرة من رضوانه ، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه . ولا يتم قرب العبد من الحق ، إلاّ ببعده عن الخلق . ولما كانت وسائل القرب كثيرة ، فإنَّ أحب تلك الأعمال إلى الله تعالى هي أداء الفرائض [5] .

(1) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 1245 .
(2) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، ص 40 .
(3) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 373 . 374 .
(4) سبق تخريجه .
(5) ينظر : فتح البارئ : 11 / 417 .

ولما كان الخطاب ، موجهاً إلى العباد ، لم يقل . تبارك وتعالى . ولا يزال العبد . وإنما قال : ((**ولا يزال عبدي**)) لأغراض بلاغية منها :

1 . قيل أن التعريف بالإضافة : " يا عبادي " ، يتضمن تعظيم شأن المضاف أو المضاف إليه [1] نحو : ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [2] . وقد أشار السكاكي إلى ذلك بقوله : " إن التعريف بالإضافة ، يكون للتعظيم باعتبار ، كما تقول : عبدي حضر ، فتعظم شأنك أن لك عبداً " [3] .

2 . إن الاضافة تأتي: " عندما يشترك في الاسم،أكثر من شخص ، فيكون نكرة ، فلا يتميز إلاّ بإضافة " [4]. إذ أن إضافة ياء المتكلم . والعائدة إليه تبارك وتعالى . إلى عباده ؛ ليخصهم بالمحبة ، دون الكافرين الذين لا يعبدون الله ، ولايؤدون تلك الفرائض والنوافل . وهذا سر من أسرار التعريف بالإضافة ، وذلك برفع منزلة المضاف : " العبد " وتخصيصه بالمضاف إليه . وهناك لطيفة ، تجدر " بترتيب الجار والمجرور ترتيب تصاعدي ، يدل على الأهمية والترتيب ، فدلالة مجيء : " إليَّ أوّلاً يدل على أن التقرب إلى الله مطلقاً،ذو شأن عظيم،وبالنوافل ثانياً، يدل على أن التقرب إلى الله وخاصةً بالنوافل أخص، فهو تخصيص للعام ، وقد جاء قوله : " حتى " ؛ نتيجة للتقرب إليه بالنوافل " [5] .

4 . التعريف بـ " ألـ " :

التعريف بأل ، طريقة من طُرق القصر ، الواردة في سبعة وعشرين موضعاً ، ويمكن أن نستنتج ذلك ، عند تحليلنا لنماذج من أحاديث الكتاب . ولنبدأ أولاً بحديث يرويه لنا تميم بن أوس (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال : ((**الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا لِمَنْ يَا رَسول الله ؟ قَال : للهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمةِ المسلمين وعامتهِمْ**)) [6].

(1) ينظر : علوم البلاغة ، ص 112 .
(2) سورة الحجر ، الآية (42) .
(3) مفتاح العلوم ، ص 380 .
(4) معاني النحو : 1 / 88 .
(5) حاشية حسن بن علي على كتاب الفتح المبين ، ص 263 .
(6) سبق تخريجه .

قال ابن حجر العسقلاني : يحتمل أن المراد بالتركيب المبالغة،وذلك في جعل معظم الدين نصيحة،ويحتمل أن يراد به على ظاهره ؛لأن كل عمل لم يرد به عامله الاخلاص فليس من الدين [1] فلدَّلالة على ثبوت كون الدين نصيحة ودوام ذلك الحكم استخدم الرسول (ﷺ) الجملة الأسمية لتؤكد ذلك الحكم ، لا سيما وأن اقتران المبتدأ أو الخبر بأل قد أفاد القصر ، كما قيل ؛ لأن المبتدأ أو الخبر إذا كانا معرفتين يستفاد القصر منهما [2] .

أما نوع القصر في الحديث ، فيمكن أن نطلق عليه بالقصر المجازي ، إذا اعتمدنا الاحتمال الأول للعسقلاني ، فإنَّ قوله : مبالغة في جعل معظم الدين نصيحة ، معناه أن الدين يحتمل أكثر من كونه نصيحة ، فهو يخرج عن ذلك الحكم.أمَّا إذا اعتمدنا الاحتمال الثاني فيسمى بالقصر الحقيقي،وكأن النصيحة لم تُبقِ شيئاً من الدين ، لذا قال : " ويحتمل أن يُراد به على ظاهره " .

وقد ورد أيضاً القصر بأل في حديث يرويه لنا عمر بن الخطاب (ﷺ) ، عن رسول الله (ﷺ) : ((**إنَّمَا الأعمالُ بالنِّياتِ ، وإنَّمَا لِكُلِّ إمْرِئٍ مَا نَوَى ...**)) [3] ، إذ قيل إنّ في الخبر قصراً آخر هو عموم المبتدأ ،إذ هو جمع محلى بأل،وبخصوص خبره تُقَدَّر العبارة لكل الأعمال بالنيات ، فلو صحَّ عملٍ بغير نية ، لم تصدق هذه الكلية [4] .

وقد اختلف في تقدير " أل " في لفظ الاعمال ، فقيل أنها تفيد الاستغراق ، ومعنى هذا المصطلح:استغراق أجناس الأشياء وتغطيتها بلا استثناء بدلالة اللفظ وبحسب اللغة [5] ، فيستوجب عَدّ جميع الأعمال ، مِمّا يطلب فيه النية من صلاةٍ وزكاةٍ وصومٍ وحجٍ ووضوء وغير ذلك ، عملاً بالعموم . والأقرب إلى الصواب ،عَدُّها للعهد الذهني ، حتى يخرج منها الاعمال العادية ؛ لعدم توقف صحتها على النية ، وهذا ما قرَّره شُرَّاح الحديث [6] .

ونستخلص من ذلك : أن طريقة التعريف بأل ، يمكن أن تُدرج ضمن طرق القصر عند البلاغيين ؛ نظراً لما تحمله تلك الطريقة من تفنن في تحديد المعنى المستنبط من دلالة لفظ المبتدأ وقصره على الخبر .

---

(1) ينظر : فتح البارئ : 11 / 417 .

(2) ينظر : عمدة القارئ . شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني : 1 / 497 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان: باب بدء الوحي، ح(1). وسنفصل القول فيه ، في مبحث القصر ، وذلك عند حديثنا عن القصر

بـ " إنما " .

(4) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 113 ؛ فيض القدير : 1 / 229 .

(5) ينظر : الإيضاح ، ص 28 ؛ علوم البلاغة ، ص 110 .

(6) ينظر : عمدة القارئ : 1 / 63 .

القسم الثاني: التنكير

النكرة : ما شاع في جنسه ، دون أن يدل على شيءٍ بعينه [1] . وللتنكير أغراضٌ نستنبطها من أحاديث الكتاب ، وقد وردت في تسعة وعشرين موضعاً مُرَتَّبَةً على الشكل الآتي :

1 . التنكير للتكثير : أربعة عشر موضعاً .

ورد التنكير لغرض التكثير في حديث يرويه لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) : ((**... وَمَا إجْتَمَعَ قَوْمٌ في بيتٍ مَنْ بِيُوتِ اللهِ ، يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ وَيَتَدارسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلاّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ وَغَشِيَتْهمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ ، وذَكَرَهُمْ الله فيمن عِنْدَهُ**)) [2] .

دافع قوي ، يدفع الإنسان لحضور مجالس الجماعة في مساجد الله ، وذلك في تنكير لفظة : " قوم " ، إذ إن بلاغة الرسول (ﷺ) ، آثرت تنكير " قوم " حتى يحمل اللفظ على عمومه ، فيعم أفراد مدلولهُ ورفع الشروط أو الأوصاف التي تقيد القوم بغض النظر عن أجناسهم أو عددهم ؛ لذا قيل أن لفظة " قوم " هو اسم جنس جمع يصدق بثلاثة فأكثر ويستوي فيه الذكور والإناث ،باعتبار أن المراد هو إستواء المكلف من كلا الجنسين في غالب الأحكام ، فيكون مجازاً من باب التغليب أو استعمال اللفظ في حقيقته [3] ، وقيل أيضاً هم الرجال فقط أو مع النساء على الخلاف والمراد هنا العموم ، فيحصل لهن الجزاء الآتي من الحديث باجتماعهن على ما قيل ،وقد أفاد التنكير أيضاً حصول الثواب لكل من اجتمع لذلك بغير وصف خاص فيهم كزهد أو علم [4] . فالإسلام دين المحبة ، لا يفرق في دخوله بين أعجمي أو عربي ، حتى إن الرسول (ﷺ) قد شبَّهُهُ بالبيت ، كما سيأتي عند موضوعنا عن الاستعارة .

(1) ينظر : دلائل الإعجاز ، ص 103 ؛ الطراز : 2 / 11 . 12 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 253 .

(2) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والتوبة والاستغفار: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِكر، ح(2699) .

(3) ينظر : فيض القدير : 5 / 521 .

(4) ينظر : م . ن : 5 / 521 .

2 ـ التنكير للتعظيم : ستة مواضع .

قد يخرج التنكير لغرض التعظيم ، ومنه ما ورد عن أبي هريرة (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) ، قال : ((**مِنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كربةً مِنْ كُرَبِ الدنيا ، نَفَّسَ الله عنه كُربةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامة ...**)) [1] .

تبرز ظاهرة التنكير في قوله : " كربة " : وهي ما أهمَّ النفس وغمَّ القلب [2] ؛ لأن الكربة تقارب أن تُزهق النفس ، وكأن لشدَّةِ غَمِّها ، عطلت مجال التنفس منه ، وبه نعلم حكمة إيثار قوله : " نَفّسَ " على رديف أزال أو فرَّج [3] .

وتتعاضد هنا ثنائية التقليل والتعظيم المستنبطة من تنكير "كربة"، فالمتأملُ في تنكير كربة الدنيا، سيجد ان الغرض البلاغي وراء ذلك التنكير هو: التقليل، وقد أشار الطيبي إلى ذلك فقال: "نكرها، تقليلاً وميزَ بها بعد الإبهام، وبينها بقولهِ: من الدنيا للإذان بتعظيم شأن التنفيس"[4] وقد يفيد تنكيرها "العموم" أيضاً، ويجوز ذلك، لأن النكرة في سياق الشرط تعم، كما في الحديث فيفيد: إن من فرَّج عن مسلم، أي كربة من كرب الدنيا. بينما نجد أنَّ تنكير كربة الآخرة قد أفاد التعظيم، لأن كربة الساعة هي أشدُّ وأعظمُ من كُربِ الدنيا لقوله تعالى:﴿ يَومَ تَرَونَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرضِعَةٍ عمَّا أرضعَتْ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها ﴾ [5].

3 ـ التنكير للتحقير : سبعة مواضع .

ورد التنكير للتحقير في حديث يرويه لنا أبو ذر (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) : ((**... أَوَلَيْسَ قد جعل اللهُ لكم ما تَصَدَّقُونَ : إنَّ بِكُلِّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةً ، وكُلِّ تكبيرةٍ صدقةً ، وَكُلِّ تحميدةٍ صدقةً ، وَكُلِّ تَهْليلَةٍ صَدَقَةٍ، وَأَمْرٍ بالمعروفِ صَدَقَةً ، وَنَهْيٍ عن منكرٍ صَدَقَةً ...**)) [6] .

المتأمل في تعاقب ثنائية التعريف والتنكير في الحديث ، يتبين لهُ ، أن الرسول (ﷺ) ، قد صَدَق عندما قال عن نفسه : " إنما أوتيت جوامع الكلم ، إذ نكَّر قوله : " أمر " و " نهي " ، ثم استخدم أسلوب التعريف مع " المعروف " ، بينما استخدم أسلوب

(1) سبق تخريجهُ .
(2) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 5 / 117 .
(3) ينظر : فيض القدير : 2 / 34 .
(4) شرح الطيبي: 399/1.
(5) سورة الحج، الآية/2
(6) سبق تخريجه

التنكير في قوله : " منكر " ؛ لأحكام فقهية يصدرها الحديث . ولبيان ذلك ، أنه من المعلوم أن تنكير : " أمر " و " نهي " قد أفاد أن كل فرد من أفرادهما صدقة ، ولو عرفنا اللفظتين بأل ؛ لاحتمل أن المراد منهما الجنس أو فرد معهود ، فلا يقيد النص على ذلك ،وذكر النووي سبباً آخر للتنكير، فقال : " فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة في كلِّ فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولهذا نَكَّرَةُ " [1] . ولما كان عمل المعروف هو ثابت ومقرَّر ومعروف في عرف الشرع ، عرفه " بأل " إشارة إلى تعظيمه ، ولما كان المنكر هو في حيز المعدوم والمجهول الذي لا ألف للنفس فيه ، نكرهُ اشارة إلى تحقيره [2] وإستصغاراً من شأنه "، ثم سكت في الحديث عن التعرض للصدقة الحقيقية ، أي إخراج المال تقرباً إلى الله . تعالى . ، لوضوحها بخلاف ما ذكر في الخبر ، فإن تسميته صدقة وأجرائه عن الصدقة الحقيقية المتبادر ارادتها من ظاهر الخبر خفاء " [3]، وتأخير الأمر والنهي عما قبلهما، من باب الترقي ؛ لوجوبهما عيناً أو كفاية ، فقال النووي : " والثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتحميد والتهليل ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية وقد يتعين ولا يتصور وقوعه نفلاً ، والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل ، ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل " [4] ، لقوله ﷻ في الحديث القدسي : ((**وَمَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اداء لما افترضتُ عَلَيْهِ**)) [5] .

(1) صحيح مسلم شرح الإمام النووي : 2 / 105 .

(2) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 348 .

(3) م . ن : 1 / 345 .

(4) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 2 / 1050 .

(5) سبق تخريجهُ .

ثالثاً . الفصل والوصل :

لقد احتوت أحاديث الكتاب ، على مواضع عديدة ، نتلمس منها جمال ترك الوصل بحذف حرف العطف بين الجملتين ، أو إبقائِهِ ؛ لغرض بلاغي، يُحدِّدَهُ لنا طبيعة سياق الحديث ؛ لذا تميزت لغة أحاديث الكتاب ، بميزات ينطبق عليها قول القائل : " أن اللغة المشهورة بالدقة والنظام ، لابدَّ أن يكون الفصل فيها بين الجمل ، والمفردات يقوم على أسرار بلاغية ، ويكون الوصل بين جملها أو مفرداتها قائماً على أسس فنية ، ونكت بيانية،بحيث لا يصلح الفصل في مكان الوصل ولا الوصل في مكان الفصل "[1]. وهذا ما سنلاحظه عند تحليلنا لنماذج من أحاديث الكتاب وتطبيقها على مواضع الفصل والوصل عند البلاغيين .

القسم الأول: مواضع الفصل :

1 . كمال الاتصال :

وهي أن تكون الجملة الثانية ، مُتصلة بالأولى في المعنى اتصالاً كاملاً تاماً مما يوجب الفصل وهو على صور ثلاث :

الأولى : أن تكون الجملة الثانية ، مُؤَكِّدَةٌ للأولى ، فحد التأكيد : أن تحقق لفظ لمعنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك [2] . وقد وردت في ثلاثة مواضع من أحاديث الكتاب ،وسنختار حديثاً يرويه أنس (ﷺ)، قال : سمعت رسول الله (ﷺ) ، يقول : **((قال الله تعالى : يا بْنَ آدم ، إنكَ ما دَعَوْتَني وَرَجَوْتَني غَفَرْتُ لك على ما كان مِنْكَ ولا أُبالي . يا بْنَ آدم ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبكَ عَنَانَ السماءِ ، ثُمَّ استَغْفَرْتَني غَفَرْتُ لَكَ . يا ابْنَ آدم ، إنك لو أتيتني بِقُراب الأرض خطايا ، ثُمَّ لقيتني لا تُشرك بي شيئاً ، لأتيتُكَ بِقُرابها مَغفِرَةً))** [3] .

---

(1) من بلاغة النظم العربي . دراسة لمسائل علم المعاني ، عبد المعطي الهيشري : 2 / 146 .

(2) ينظر : دلائل الإعجاز ، ص 159 . 160؛الإيضاح ، ص 88 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 310 ؛ البلاغة العربية ، أحمد مطلوب ، ص 131 .

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات: باب في فضل التوبة والاستغفار، ح(3540) وقال حديث حسن صحيح .

من الملاحظ سيطرة أسلوب الفصل على جمل الحديث ، فالمتأمل في تلك الجمل ، يدْرك سر العدول إلى ترك العطف بحرف " الواو "؛ وهذا السر، ناتِجٌ عمّا يُسميه النحاة بالتوكيد اللفظي [1] ، والذي تحقق بإعادة جملة النداء لفظاً : " يا ابن آدم " في ثلاثة مواضع ، يصحبها تكرار عظيم المغفرة الإلهية التي جاءت تُآزر التوكيد اللفظي في جملة النداء ، لا سيما وإن المغفرة الإلهية ، قد تجلت بضرب الأمثال التي تُصَبُّ في قالب تلك المغفرة ، زيادة في التقرير .

فبعد أن مهّد لنا الحديث ما يدلُّ على أسباب قبول المغفرة ، وهو الدعاء والرجاء ، يأتي الوعد الحق بغفران الذنوب وعدم المبالاة لها ؛ ولمّا كان الشك أو التردد مُلازماً لبعض المذنبين ؛ لكثرة ذنوبهم ، كان من المؤكد مجيء حرف التأكيد : " إنَّ " ؛ لدفع ذلك الشك والتردد عنهم . والخطاب بـ " يا بن آدم " يوحي لنا بمزيد من التشريف والكرم الإلهي لأبينا آدم (عليه السلام) فكَرَّرَ اسمه ثلاث مرات ؛ مبالغة في تكريمه وتشريفه ، وكأنه ـ تعالى ـ أراد أن يذكرنا بمعصية آدم له * فتاب عليه ، ولكي يُعَزِّزُ ويبرهن ، عفو الله ومغفرته على ابنائه (عليه السلام) ؛ استوجب أن يضرب مَثَلاً آخر ؛ ليوقظ مشاعرهم ، ويستثيرَ انتباههم ، وقلع جذور الشك عنهم بقبول المغفرة ، وذلك بإعادة المعنى متمثلاً بصورة فنية رائعة ، تفتح لنا مجال التأمل والتفكير ، وكأن الذنوب قد أصبحت أجساماً تُناطح السحاب في السماء ؛ لكثرتها ، أو بتمثيلها على شكل قراب يملأ الأرض بثقله ، حتى يتلاشى بعطفه وحلمه وعفوه على المذنبين الذين طلبوا المغفرة منه . تبارك وتعالى . .ولما كان الربط الوثيق والمحكم ، سائداً على جمل الحديث ؛ لتقرير مبدأ المغفرة الإلهية ، وجب ترك العطف بـ " الواو " لكمال الإتصال ما بين تلك الجمل. " ... والعلة في ذلك : أن التوكيد والمؤكد كالشيء الواحد ، ولا يجوز عطف الشيء على نفسه [2] ، وهذا ما يزيد الحديث بلاغةً،فلو وصلنا الجمل بها ؛ لما أفادنا ما يفيدهُ من جمال حذفها، حتى أضفت على الحديث إيقاعاً موسيقياً تنساب الأذن لسماعه .

---

(1) " وهو تكرار اللفظ الأول بعينه اعتناءً به . . . " . شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك 2 / 214 .

* أقصد بذلك : القصة المشهورة التي يرويها لنا القرآن الكريم والأمر الإلهي بعدم الاقتراب من الشجرة أو الأكل منها ، فأزّله الشيطان عنها فأكلا منها فطلب المغفرة ، فغفر له . تبارك وتعالى . .

(2) من بلاغة النظم العربي : 2 / 184 .

الثانيـة : من صور كمال الاتصال ، أن تكون الجملة الثانية ، بدلاً من الأولى ، ويأتي بها المتكلم ؛ ليظهر أنها أدَلُّ في توصيل المرادِ ، وأوفى بالمطلوب من جهة ، وللعناية بشأنها من جهة أخرى [1] . وقد ورد ما يشير إلى ذلك ، في حديث يرويه لنا أبو ذرٍّ (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) بقوله: ((**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ الله لَكُمْ ما تصدقون : إنَّ بِكُلِّ تسبيحةٍ صدقةً ، وكُلِّ تكبيرة صَدَقةً ، وكلِّ تحميدة صدقة...**)) [2] .

هذا الخطاب النبوي الذي ورد بطريقة السؤال الإنكاري ، جاء لأُناس قد ضاق بهم مُزاحمة الأغنياء لهم بفضل أموالهم التي يتصدقون بها على الفقراء ، ولكي يُجْبرُ خاطرهم ويُطمئنهم بأن الله ، قد جعل لهم أيضاً ، ما يتصدقون به ، من قول يساوي به، المتصدِّقُ بفضل ماله ، جيءَ بجملٍ ، تم فصل الأولى من تلك الجمل عن سابقتها ؛ لكمال الاتصال بينهما ، فنزلت جملة : " ان بكل تسبيحة صدقةً ، منزلة بدل بعض من جملة قوله : " أوليس قدْ جعل لكم ما تصدقون " فترك العطف بينهما ؛ لأن البدل . كما عرّفه النحاة . هو التابع المقصود بالنسبة ، بلا واسطة " [3]، أي بلا حرف عطف. ويتضح سر بلاغة الفصل في مثل هذه المواضع ، عندما تكون الجملة الأولى ، مجملة، ثم تُستبدل بجملة أخرى ، مفصلة لها ، حتى تكون أدَلُّ وأوفى في توصيل المراد وترسيخه في الذهن . وتوالت عطف الجمل . وكُلِّ تكبيرةٍ صدقةً و " كلِّ تحميدةٍ صدقةً على الجملة المفصولة ، كونها واقعة في موقع الإعراب ، فعطفت عليها ، قصد اشراكهم في الحكم الإعرابي ، فوجب الوصل بينهم .

الثالثة : من صور كمال الاتصال ، أن تكون الجملة الثانية عطف بيان للأولى ؛ وذلك لإفادة الإيضاح . والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته [4] .

وقد وردت هذه الصورة في موضعين ، أحدهما : ورد في حديث يرويه لنا العِرباض (ﷺ) بقوله (ﷺ) : ((**... فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكم فسيرى إختلافاً كثيراً فعليكُمْ بِسِنتِي وسنة الخُلَفاءَ الراشدِينَ المِهْدِيينَ ، عَضُّوا عِلَيْها بالنَّواجِذِ**)) [5] .

(1) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 463 ؛ الإيضاح ، ص 89 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 314 .
(2) سبق تخريجه .
(3) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 247 .
(4) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 464 ؛ الإيضاح ، ص 90 .
(5) سبق تخريجهُ .

من خصائص هذه الصورة ، أنها تؤكد المعنى في النفس بطريقتين :

الأولى : تذكر المعنى بصورة مجملة ، تشد السامع وتحفزهُ لطلب البيان والإيضاح ، كما في قوله (ﷺ) :((**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**)) .

الثانية : يظهر فيها دور أسلوب الفصل في قوله : ((**عَضّوا عَليها بالنَّواجِذ**)) لبيان كيفية التعامل مع تلك السنن، والأَمر بأَشدِّ ما يتمسك به ، على سبيل الاستعارة ، كما سيأتي بيان ذلك في مبحث خاص له * . ولما كان عطف البيان . " وهو التابع الجامد ، المشبهُ للصفة في إيضاح متبوعه . " [1] لا يعطف البتة على متبوعه ؛ اقتضى الفصل ما بين الجملتين ؛ لكمال الاتصال بينهما،فلا حاجة إذن لحرف العطف " الواو " ليصل بينهما ؛ لذا أنزلت الجملة الثانية ، منزلة عطف بيان للجملة الأولى ؛ فاقتضى الفصل .

2 . شبه كمال الإتصال :

معنى شبه كمال الاتصال أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤالٍ فهم من الجملة الأولى ، فتنزل منزلته فتفصل عنها ، كما يفصل الجواب عن السؤال [2] ، وقد وردت في موضعين أحدهما ورد في حديث يرويه لنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ،قال : كنت خلف النبي (ﷺ) يوماً فقال : ((**يا غُلامُ إنِّي أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : إحفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، إحفظ اللهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكْ ، إذا سَأَلْتَ فاسْألِ اللهَ وإذا استعنتَ فإستعن بالله ...**)) [3] .

نلاحظ سيطرة أسلوب الفصل على جمل الحديث ، إذ يتضح لنا سر بلاغة ترك الوصل؛لتقرير المعنى في ذهن السامع عن طريق الربط المعنوي في اتحاد المسند إليه : وهو الضمير العائد إلى عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ، وفي التماثل ما بين المسندات ، مما تُرك الوصل ما بين قوله : " احفظ الله يحفظك " وقوله : " أحفظ الله تجده تجاهك " ؛ لتنزيل الثانية ، منزلة التأكيد اللفظي للجملة الأولى .

---

* ينظر : ص 164 .

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 218 .

(2) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 463 ؛ الإيضاح ، ص 91 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 317 .

(3) سبق تخريجهُ .

ومما يزيد بلاغة الحديث وجمال أسلوبه ودقة نظمه في تقرير مبدأ الحفظ ، تأتي الجملة : ((**إذا سألت فاسأل الله**)) منفصلة عن سابقتها ؛ لتنزيلها منزلة الاجابة عن سؤال مُضمَرٍ يطرحه السامع عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) : وكيف يحفظ الإنسان الله وهو الحافظ له ؟ ! فتأتي تلك الجملة إجابة عن ذلك السؤال . وقد ذكر السكاكي والقزويني سر وجمال ترك الوصل في مثل هذا الموضع ، فقال : تنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلاّ لجهات لطيفة ، إما لتنبيه السامع على موقعه . أو لإغنائه أن يسأل ، أو لئلا يسمع منه شيء ،أو لئلا ينقطع كلام السامع بكلام المتكلم أو للقصد أي تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ويسمى الفصل لذلك استئنافاً [1] . ومعلوم أن الجواب لا يعطف على السؤال ؛ لذا يقال أن بين الجملتين شبه كمال الإتصال ، فيقتضي الفصل ، فضلاً عن أن ترك الوصل في مثل هذه الجمل ، يعمل على بَثَّ الروح في الأسلوب الأدبي ، حتى يجعله حَيَّاً نابضاً موحياً [2]،فالقارئ أو السامع لكلامه (ﷺ) تجده يتفاعل مع الحديث ، ويستنبط معنى (حفظ الله) فينغرس في نفسه ، فلا يسأل غير الله ، " إذ لا فائدة في سؤال الخلق،ما دامت خزائن الوجود بيده تعالى ... لذا فهو أحق أن يُقصد ويُسأل " [3] ، ومما يزيد الجملة المنفصلة بلاغة ، هو حذف المفعول منها، والذي أفاد التعميم وفتح مجال التأويل في تحديد نوع المسؤول عنه .

3 . التوسط بين الكمالين :

وهو أن لا نقصد تشريك الجملة الأخيرة مع قبلها ؛ لأن التشريك يُغير المعنى [4]،وقد ورد في موضع واحدٍ يرويه لنا،الحارث بن عاصم* عن الرسول (ﷺ) بقوله : ((**الطهورُ شطرُ الإيمان... والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ بُرهان ، والصبرُ ضياءٌ ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كُلُّ الناس يَغدو ، فبائِعٌ نفسهُ فَمُعْتِقُهَا أو مُوْبِقِهَا**)) [5] ،

(1) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 460 ؛ الإيضاح ، ص 91 .

(2) ينظر : من بلاغة النظم العربي : 2 / 189 .

(3) دليل الفالحين 1 : 230 .

(4) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 449 .

* قيل: إن اسمه الحارث بن عاصم وهم، وإنما هو كعب بن عاصم وهو صحابي. ينظر: الإصابة: 195/2.

(5) سبق تخريجهُ .

* سيأتي الكلام عن سبب العطف في ص 120 .

نلاحظ سيطرة العطف على الجمل الأولى من الحديث ، نظراً لاتفاقها خبرياً . كما سيأتي في موضعه * . حتى ينقلنا سياق الحديث من أسلوب الوصل إلى أسلوب الفصل بترك العطف ؛ لضرورة إقتضاها السياق ، فقوله (ﷺ) : " القرآن حجة لك "، يدلك على النجاة إن عملت به ، " أو عليك " إن أعرضت عنه فيدل على سوء عاقبتك " [1] ، أما قوله : " كلٌّ الناس يغدو ... " ، فقيل : " في هذا أسرار شريفة ، منها أن المصطفى (ﷺ) ، نَبَّه على سِرٍّ هو كالتفسير لقوله . تعالى . : ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا** ﴾ [2] ؛ لأنه قال : " كل الناس يغدو " وصدق ؛ لأن الاطلاع المحقق ، أفاد أنه ليس في الموجودات لأحد وقفة ، بل كلٌّ انسان سائر إلى المرتبة التي قدَّر الحق أنها غاية من مراتب النقص والشقاء ومراتب السعادة ... " [3] .

لقد ذكرنا معاني الجملتين ؛ لنوكِّد أن بلاغة الفصل ، قد اقتضى ترك العطف بين الجملتين وذلك ؛ لعدم وجود مناسبة او جهة جامعة من حيث المعنى تجمع بين الجملتين مع أن الجملتين قد اتفقتا خبراً ، فلو عطفنا الجملة : " كل الناس ... " على الجملة : " والقرآن حجة لك أو عليك " ؛ لأشركنا الحكم الذي يصدره القرآن بالحكم المستنبط من الجملة التالية لها ، وهذا بالتأكيد يُغير المعنى ، فتمَّ الفصل حتى يستقيم المعنى وحتى يستقل كُلَّ جملةٍ من الجملتين ، في إصدار الحكم الخاص بها ، بمعزل يضعهُ الفصل بينهما .

القسم الثاني: مواضع الوصل :

كما أن لأسلوب الفصل ، مواضع يُحدِّدها لنا طبيعة السياق ، فكذلك لأسلوب الوصل بين الجمل ، وقد ورد أسلوب الوصل في أحاديث الكتاب بصورتين :

الأولى : إتفاق الجملتين خبراً أو إنشاءً : وقد وردت في تسعة مواضع .

(1) فيض القدير : 4 / 385 .
(2) سورة البقرة ، الآية (148) .
(3) فيض القدير : 4 / 385 .

1 . اتفاق الجملتين خبراً :

نطالع ذلك في حديث يرويه لنا الحارث بن عاصم (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) : ((**الطُهُورُ شَطْرُ الإيمانِ ، والحَمْدُ لله تَمْلأُ المِيْزانَ ، وَسُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ لله تَمْلآن ما بَيْنِ السَّماءِ والأَرْضِ ...**)) [1] .

ابتدأ الحديث بما يستثير السمع ؛ لجمال إيقاعه ، فالقارئ إذا ما حاول استجلاء النص بفرز جُمَلِهِ لَمَسَ ، " تقابلاً بين الجمل وبين أجزاء الجملة الواحدة،فقوله : الطهور شطر الإيمان " يقابل " الحمد لله تملأ الميزان " [2] .

وهذا التقابل قد أضفى عليه مزيداً من البلاغة باستخدام أسلوب الوصل ، فالطهور شطر الإيمان معناهُ : " أن الأجر في الوضوء ينتهي إلى نصف أجر الإيمان ، وقيل أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا ، فكذلك الوضوء ، إلاّ أن الوضوء لا يصح إلاّ مع الإيمان ، فصار لتوقفه عليه في معنى الشطر ... " [3] .

ثم ينقلنا أسلوب الوصل إلى جملة عُدَّت من أفضل صيغ الحمد بقوله : " والحمد لله تملأ الميزان " ؛ وسبب عظم فضلها ؛ لاشتمالها على التفويض والثناء على الله ﷻ بصفات كماله والافتقار إليه ، حتى بدأ القرآن بها ؛ لعظيم أجرها [4] .

وقد وصلت الجملتان بحرف العطف : " الواو " ؛ وذلك لإتفاقهما خبراً ، ولما كان الخبر المستنبط من الجملتين ، يفيد الثبوت والدوام ، صيغ بصيغة الجملة الأسمية فأفاد ثبوت ودوام كون الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وهذا مما يزيد من بلاغة الوصل في مثل هذه المواضع التي يتوافق فيها الخبر بصيغة الجملة الأسمية.

2 . اتفاق جملتين أو أكثر انشاء :

ومنه نطالع حديثاً يرويه أبو ذَرٍّ ومعاذ بن جبل (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ) قال : ((**إتّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ الناسَ بخُلقٍ حَسَنٍ**)) [1] .

---

(1) سبق تخريجهُ .

(2) التصوير الفني في الحديث النبوي ، محمد الصباغ ، ص 544 .

(3) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 1 / 405 ؛ شرح الطيبي : 2 / 3 .

(4) ينظر : شرح الطيبي : 2 / 4 ؛ دليل الفالحين : 1 / 140 .

جملٌ ثلاثٌ وردت في الحديث ، مُتصدرة بأسلوب الأمر الحقيقي الدال على الوجوب ، لكونه صادراً من الأعلى إلى الأدنى ؛ لا سيما وأن تلك الأفعال ، قد أضفت على الحديث إيقاعاً موسيقياً جميلاً ، وذلك بتوحيد الحرف المكسور : " أتقِ ، اتبعِ ، خالقِ " .

فالخطاب بفعل الأمر " أتقِ : خطاب " لكلِّ من يتوجه إليه الأمر ، فيعمَّ كلَّ مأمور، وأفراد الضمير باعتبار كل فرد ... " [2] ، وذلك بالامتثال لأوامر الله ونواهيه ؛ لذا تقدمت تلك الجملة وصُدّرت الحديث ، لكون الآتي بعدها ، متوقف عليها ، فلا يُتْبَعُ السيئة الحسنة أو التخلق بالأخلاق الحميدة مع الناس إلاّ بعد تقوى الله ، فالحكم المستنبط من الجملة الثانية والثالثة متوقف على مدى حرص الإنسان وتمسكه بالحكم الذي تصدره الجملة الأولى .

ولما كانت الجمل قد تصدَّرت بفعل الأمر . وهو من أساليب الإنشاء . أُحكم الوصل بحرف العطف : " الواو " عليها ، لأنها قد اتفقت انشاءً فلا يمكن الفصل بينها ؛ لأن ذلك يخلُّ بالمعنى ويُذهِب روعة وجمال سياق الحديث .

الثانية : تعطف الجمل على بعضٍ :

إذا كان للجملة الأُولى محل من الإعراب وقُصد إشراك الجملة الثانية وما يتبعها لها في الحكم الإعرابي ، ولابُدَّ من الإشارة إلى أن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب ، حتى تكون واقعة موقعة المفرد ، وينبغي هنا أن تكون هناك مناسبة بين الجملتين [3] . وقد ورد هذا النوع من العطف في ثلاثة مواضع .

ومنه ما ورد عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) ((**بُنِيَ الإسْلامُ عِلَى خَمسٍ : شَهادةَ أَنْ لا إلهَ إلاّ الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ الله ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَكَاةِ ، وَحَجِ البيتِ ، وَصُومِ رَمَضَانَ**)) [4] .

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة: باب ما جاء في معاشرة النَّاس، ح(1987) وقال: حديث حسن صحيح .

(2) فيض القدير : 1 / 116 .

(3) ينظر : دلائل الإعجاز، ص 155؛ من بلاغة النظم العربي : 180/2 ؛ البلاغة والتطبيق ، ص 162.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان: باب بُنيَ الإسلامُ على خمسٍ، ح(8) .

سر بلاغة الوصل في هذا الحديث ؛ إنه قد احتوى على جملتين تم الفصل بينهما ؛ لأن الجملة في قوله " شهادة أن لا إله إلاّ الله " قد وقعت بدلاً من الجملة السابقة لها في قوله : " بني الإسلام على خمسٍ " ، وقد مرَّ بنا سابقاً أن من مواضع الفصل ، أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى ، فيفصل بينهما ؛ لكمال الاتصال بينها . ولما كان غرض الحديث لا يتحقق ، إلاّ بعطف الجمل الأخرى على الجملة البدلية ، أُشركت الجمل " أقام الصلاة " و " إيتاء الزكاة " و " حجِّ البيت " و " صوم رمضان " في الحكم الإعرابي للجملة البدلية ، حتى يستقيم المعنى ، وما يعزز الوصل بين تلك الجمل ، هو الجهة الجامعة بينهما باتحادهم في المسند والمسند إليه .

ثانياً . القصر :

القصر لغةً : القصر . كما جاء في كتب اللغة . الحبس [1] وهم يستدلون في ذلك ، بالآية الكريمة : ﴿ **وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ** ﴾ [2] ، ومن هذا المعنى اللغوي ، استقر المعنى الاصطلاحي عند البلاغيين .

القصر اصطلاحاً : هو تخصيص أمرٍ بآخر ، كتخصيص موصوف بصفة أو صفة بموصوف بطريق مخصوص[3] ، أو هو " إثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عمّا عداه[4] .

طرق القصر :

" يتجه البحث البلاغي في رصده لبنية القصر إلى استحضار المتلقي إلى رحاب الصياغة ، أو افتراض حضوره ، وعلى هذا الأساس يتم إنتاج البنية لمواجهة فكر المتلقي لالغائه أو تعديله ... " [5] ؛ لذلك جاء القصر للرد على منكر الحكم باعتقاد عكسه ، فَسُمِّي بقصر القلب ، وعلى معتقد الشركة اعتقاداً غير صحيح ، بإفراد مستحق الحكم عند المتكلم ، لذا سمي بقصر الإفراد ، وعلى المضطرب المتشكك في مستحق الحكم بتعينه له ، فَسُمِّيَ بقصر التعيين [6] .

وعليه فالقصر مفهوم بلاغي تعود طرافته وثراؤه إلى تَجَلِّيه في أشكال نحوية متعددة ومتنوعة والتي سميت بطرق القصر ، وأهمها : القصر بـ " إنما " والقصر بالنفي والاستثناء بأنواعه : (ما وإلا) و (لا وألا) و (لم وإلا) والقصر بالعطف (لا) و (لكن) و (بل) والقصر بـ (هل وإلا) وأخيراً القصر بالتقديم والتأخير *. والناظر في أحاديث الكتاب ، يجد أن طرق القصر فيه ، قد وردت كما يأتي :

---

(1) معجم مقاييس اللغة : 5 / 96 .

(2) سورة الصافات ، الآية (48) .

(3) ينظر : عروس الأفراح : 2 : 166 ؛ مواهب الفتاح : 2 / 166 ؛ الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكنوي ، ص 717 .

(4) معترك الأقران في إعجاز القرآن : 1 / 181 ، 227 .

(5) البلاغة العربية قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب ، ص 263 .

(6) ينظر : أساليب بلاغية ، ص 179 ؛ الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 130 .

* لقد سبقت الإشارة إليه ، ص 57 . 67 .

أ . طريقة القصر بـ " إنَّما " :

المتأَمِّل في بنية هذه الأداة يلاحظ أنها مزيج من (إن) التأكيدية التي تفيد الاثبات و (ما) النافية ، وباجتماع الاثبات والنفي يحصل القصر ، وقد اختلف في ذلك فقيل أنها بسيطة وقيل أنها مركبة ، والأقرب إلى الصواب قول السكاكي : " أنها مركبة من : إن المؤكدة وما المؤكدة فاجتمع تأكيدان فأفاد الحصر ، لأنها متضمنة معنى ما وإلاّ ،وإنما تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها ونفياً لما سواهُ " [1] . وقد ورد القصر بـ " إنما " في أربعة مواضع في أحاديث الكتاب ، وسنختار أحد الأحاديث للدراسة ، نطالعه برواية عمر (رضي الله عنه) بقوله : سمعت رسول الله يقول : ((**إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ ، وإنَّما لِكُلِّ إمرئٍ ما نَوَى ، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورسولهِ ، فهجرَتُهُ إلى الله ورسولِهِ ، وَمَنْ كانتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيا يُصيبُهَا أو أمراةٍ يَنْكِحَهَا ، فهجرَتُهُ إلى ما هاجرَ إليهِ**)) [2] .

لقد كان سبب ورود هذا الحديث ، لقصةٍ ترويها لنا المصادر ، تنصُّ بأن العرب ، كانوا لا يزوجون المولى للعربية ويزعمون الكفاءة في النسب ، فلما جاء الإسلام وسوى بين المسلمين في مناكحهم ، هاجر كثيرٌ من الناس ، ومن ضمنهم رجل يدعى بمهاجر أم قيس إلى المدينة ؛ ليتزوج تلك المرأة ، فأطلق عليه بمهاجر أم قيس [3] ، ولما وصل الخبر إلى رسول الله (ﷺ) ، أراد أن يفرق بينما قصده ذلك الرجل وبين الذي يهاجر في سبيل الله ورسوله بنيّة صادقة ، فاكتفى بالتعريض في ذم من قصد ذلك ، فوقع الذم هنا على مباح ولا ذم فيه ؛ لكون الفاعل أبطن خلاف ما ظهر ، إذ أن خروجه في الظاهر ليس لطلب الدنيا ؛ لأنه إنما خرج في صورة طلب فضيلة الهجرة [4] . فورد القصر بـ " إنما " في موضعين :

الأول : تصدر الحديث بقوله : " إنما الأعمال بالنيات " ، ومن الملاحظ أن أداة القصر : إنما " قد وردت هنا استئنافية بيانية ، أي : منقطعة عمّا قبلها من جهة اللفظ . سبب ورود الحديث . والذي لم يذكره الرسول (ﷺ) احتراماً لذلك الرجل ، موضحة له من جهة المعنى.والحديث ؛ بألفاظه القليلة وإيجازه الشديد ، يفيض بمعانيه ، منسجماً بألفاظه

(1) ينظر : مفتاح العلوم : ص 510 . 515 .
(2) سبق تخريجهُ .
(3) ينظر : فتح البارئ : 1 / 23 ؛ أرشاد الساري : 1 / 60 .
(4) ينظر : م . ن : 1 / 23 ؛ م . ن : 1 / 78 .

، نحو دلالة واحدة هي " النية " التي انبنى عليها قاعدة مهمة في حياة المسلم ، تردُّ العمل أو تقبله خالصاً لوجه الله تعالى ؛ لذا كان من المؤكد البدء بتلك العبارة القصرية والتي عُدت بمثابة المحور الأساس الذي يدور عليه الحديث بأكمله . وجيء بحرف الجر : " الباء " ليحتمل السببية بالنسبة للأعمال التي تكون فيها النية ، جزءاً من العبادة ، أي الأعمال ثابت ثوابها بسبب النيات . وقيل انها تحتمل المصاحبة في الأعمال التي تكون فيها النية شرطاً لنسبة العمل لصاحبه [1] . فقصر الموصوف : " الأعمال " على الصفة : " النيات " قصر افرادٍ ، إذا اعتبرنا أن الخطاب موجه ، لمن ظنَّ أن الهجرة صحيحة مطلقاً ، سواء اصطَحَبَ النية المعتبرة أو لم تصطحب . وعدل عن لفظ الأفعال إلى الأعمال ، " لأن الفعل هو الذي يكون زمانه يسيراً ولم يتكرر " [2] ، كقوله . تعالى . : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾ [3] ، بخلاف العمل ، فإنه يوجد من الفاعل في زمان مديد بالإستمرار والتكرار قال . تعالى . : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [4] ، فطلب منهم العمل الذي يدوم ويستمر كلّ مرة ويتكرر لا نفس الفعل [5] .

الثاني : ورد بقوله (ﷺ) : " إنما لكل امرئ ما نوى " . فلما كان القصر في الجملة الأولى ، قد أفاد اشتراط النية في العمل ، جاءت الجملة الثانية ، لتشترط وجوب تعيين النية ، كون النفع والثواب بقدرها ؛ ولهذا أُخرت عن الأولى ؛ لترتبها عليها . فالقصر في الحديث أفاد " بأن العبادة ، إذا صحبتها النية صحت ، وإذا لم تصحبها لم تصح " [6] . فالقصر في الجملتين قد أفاد التأكيد على النية وكأنه لا عمل إلاّ بالنية [7] .

(1) ينظر : ارشاد الساري : 1 / 76 .
(2) م . ن : 1 / 76 .
(3) سورة الفيل ، الآية (1) .
(4) سورة البقرة ، الآية (25) .
(5) ينظر : ارشاد الساري : 1 / 76 .
(6) عمدة القارئ 1 : 63 .
(7) ينظر : البحث النحوي عند الأصوليين ، مصطفى جمال الدين ، ص 287 .

ب . طريقة القصر بالنفي والإستثناء :

1 . " ما وإلاّ " :

لقد وردت هذه الطريقة في أربعة مواضع في ثلاثة أحاديث ، وسنختار أحد تلك الأحاديث للدراسة ، نطالعه ، فيما يرويه لنا أبو هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) بقوله : ((**... ما اجتَمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلونَ كتابَ اللهِ ويتدارسونَهُ بينهم ، إلاّ نَزَلَتْ عليهمُ السَّكينةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحمَةُ ، وَحَفَتْهُمُ الملائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ**)) [1] .

إنّ للمسجد في الإسلام ،مكانة عظمى ورسالة كبرى ، إذ هو مصنع الرجال ومحل العبادة ، ومهد الحضارة الإسلامية ، وهو الثكنة العسكرية والدراسة الجامعية ، ولخطورة أدواره ، كان المسجد أول عمل يقوم به رسول الله (ﷺ) في هجرته [2] .

ولعل سبب اختيار الرسول (ﷺ) ، لفظ " بيوت الله " ، بدلاً من مساجد الله ؛ " ليشمل جميع ما يبنى لله تعالى من التعليم والتعلم والقرآن والتفسير والاستكشاف عن دقائق معانيه " [3] ؛ فالرسول (ﷺ) أراد أن يقرر لنا أموراً غيبية ، تحصل لِلّذين يجتمعون في بيت من بيوت الله؛لتلاوة القرآن ودراسته وتأكيداً لحصول الأجر لهم وحصره بهم ، استدعت بلاغته ، القصر بالنفي والاستثناء . ما وإلاّ . ؛ لأنَّ هذه الطريقة ، " تستخدم مع الشيء الذي يجهله المخاطب ولا يعرف حقيقته " [4] . فمجيء الأداة: " إلاّ " قد أفاد توكيد الحدث ؛لأنها تعطي معاني الاثبات ؛ لما ينتجه فعل الشرط : " اجتمع " من بشارة نبوية،أخذت طرف المقصور عليه والمتمثلة بقوله: " الا نزلت علبهم السكينة * ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده " . وثمة اشارات بلاغية ، نستنبطها من تلك الجمل :

---

(1) سبق تخريجهُ.

(2) ينظر : إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية ، محمد تاتاي ، ص 344 .

(3) شرح الطيبي : 1 / 399 .

(4) البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 289 .

* **السكينة** : هي الوقار والنصر والحالة التي يطمئن بها القلب ، وصفاؤه بنور القرآن ، فلا يزعج لطارق دُنيوي ، فيسكن القلب ويطمئن بموعود الأجر . ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 5 / 2600 ؛ لسان العرب : 13 / 203 ؛ شرح الطيبي : 1 / 399 ؛ فيض القدير : 5 / 522 .

الأولـى : لمّـا أراد الرسـول (ﷺ) ، أن يؤكـد لنـا ، أن تلـك البشـارة النبويـة ، مُتَجَدِّدَةٌ مع تجدد اجتماع القوم في بيت من بيوت الله ، استخدم الجمل الفعلية والتي تفيد التجدد والحدوث ، ليناسب بها ذلك الحكم .

الثانية : إنَّ ما يزيد من بلاغة الحديث ، ذلك التوازن اللفظي والحاصل من تقديم متعلق الفعل " هم " الواقع مفعولاً ، على الفاعل المقصور عليه مشفوعاً بالنعوت ، وقوة الربط المعنوي بين أجزاء الجمل في اتحاد ذلك المفعول " هم " في الجمل الأربع ، وهذا إن دلَّ على شيءٍ إنما يدلُّ على " انطباع الملكة الشريفة بالذوق الفني الموهوب يزيد الكلام روعة ، ويملأ القلوب تأثراً ؛ لعذوبة جَرْسه ، وشجو رنينه ، وطيب نغمه ، حيث يدخل على الآذان مشتاقة ، وعلى القلب وامقاً ، فيكون أداةً مِمَّا به يتقرر المعنى ويسهل الحفظ " [1] .

2 . " لا و إلاّ " :

وردت هذه الطريقة في ستة مواضع وفي ستة أحاديث ، وسنختار أحد تلك الأحاديث برواية عمر (رضي الله عنه) في سؤال لجبريل (عليه السلام) بقوله: يا محمد أخبرني عن الإسلام ". فقال رسول الله (ﷺ) ((**الإسلامُ : أَنْ تِشْهَدَ أَنْ لا إلـهَ إلاّ الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله ، وتُقيمَ الصلاةَ ، وتُؤْتِيَ الزكاة ،وتَصُوم رمضان ، وتَحُجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سَبيلاً**)) [2] .

لنركز على العبارة الوارد فيها أسلوب القصر بقوله (ﷺ) ، ((**لا إلـه إلاّ الله**)) ؛ لنرى ما فيها من إشارات بلاغية ومعانٍ، تستوجب القصر بأقوى طرقه ، وهي " لا و إلاّ " [3] ، فهي كلمة نتلفظ بها ، ولا نُدرك المعاني التي في طياتها ، ولخطورة أمرها وعظم شأنها ، نلاحظ أن الرسول (ﷺ) صَدَّرَ كلامه بها وجعلها الأَساس الذي ينبني عليه باقي الكلام الذي يُتلى بعدها،ومن الملاحظ أن الرسول (ﷺ) لم يقل : أن تقول لا إله إلاّ الله وإنما قال : " أن تشهد ، فيجب التشهد بها خالصة من القلب ، " ... فهي ليست

(1) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 284 .

(2) سبق تخريجهُ .

(3) القصر في سورة البقرة ، الشاذلي الهيشري ، مجلة حوليات الجامعة التونسية ، ع 26 ، 1987 ، ص 107 .

كلمة تُقال باللسان،بل هي قول واعتقاد وعمل " [1]؛ لذا جاءت حروفها بحروف جوفية ، تصدر من الجوف ولا علاقة لها بالشفتين ، وهذا ما أكَّدَهُ الزركشي في حديثه عنها ، وأن مَنْ أجراها على اللسان دون تحققها في القلب لا ينفع ، وأضاف أن من خصائصها أنها لا تحتوي على حرف معجم *،أي دون نُقط ؛ لذلك يجب على المسلم أن يتجرد من كلِّ معبود سوى الله تعالى [2] ، ومَنْ عمل بمقتضاها وداوم عليها ، لا يبقى على قلبه نقطةٌ من سواد الكفر والذنوب [3] ، ويجب أن لا تكون " مجاز عن تصديق القلب ... " [4] ، بل يجب أن تكون حقيقة عن تصديقه ، ولتأكيد ذلك المعنى ، جاء القصر بـ " لا و إلاّ "، وقدّم النفي على الإثبات ؛ لأن النفي، تفريغ القلب مِمّا سوى الله . تعالى . بلسانه ، فإذا كان خالياً من ذلك ، كان أقرب إلى ارتسام التوحيد فيه وإشراق نور الله تعالى عليه [5] ، فيكون نفي الشريك عن الله تعالى بالجوارح الظاهرة والباطنة " [6] .

وَنُكِّرَ لفظة " إله " ؛ ليعمم اللفظ ، إذ إن " النكرة في سياق النفي تعم " [7] ، وجاء الاستثناء " بإلاّ " ؛ لتوكيد الخبر ونفي الأُلوهية لغير الله تعالى ، إذ قصر الصفة : " اله " على الموصوف " ﷲ " قصراً حقيقياً [8] ، بحسب الحقيقة والادعاء ، وافراداً بالنسبة للمخاطب ؛ لأنَّنا أَرَدْنا أن نعلم المخاطب بأن الآلوهية منحصرة في الله الواحد إذا كان يزعم اشتراك غيرهُ معهُ [9] . وقال المبرد (ت 285 هـ) : اعلم أن " لا " إذا وقعت على نكرة ، نصبتها بغير تنوين ، فقولنا " لا إله إلاّ الله " جواب سؤال سائِلٍ : هل من إله غير الله ؟ فهي وضعت الأخبار ، جواباً للاستفهام [10] .

---

(1) أساليب التعبير الأدبي ، ابراهيم السعافين وآخرون ، ص 37 .

* **الحـــرف المعجـــم :** هـو حـرف الهجـاء الـذي يحتـوي علـى نقـط ، كـي نفـرق بـين أشـكال الحـروف مثـل : (ج ، ح ، خ) . ينظر : معجم متن اللغة : 4 / 40 .

(2) ينظر : معنى لا إله إلاّ الله ، بدر الدين محمد الزركشي ، ص 83 .

(3) ينظـــر : دليـــل الفـــالحين : 1 / 217 ؛ معنـــى لا إلـــه إلاّ الله ، قـــول محقـــق الكتـــاب: علـــي محـــي الـــدين ، ص 83 .

(4) معترك الأقران في إعجاز القرآن : 1 / 268 .

(5) ينظر : معنى لا إله إلاّ الله ، ص 82 ؛ إرشاد الساريء : 1 / 128 .

(6) إرشاد الساريء : 1 / 129 .

(7) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 133 .

(8) ينظـــر : دقـــائق العربيـــة ، ص 192 ؛ جـــواهر البلاغـــة ، ص 183 ؛ البلاغـــة القرآنيـــة المختـــارة مـــن الاتقـــان ومعترك اقتران ، السيد الجميلي ، ص 19 .

(9) ينظر : فيض القدير : 6 / 206 .

(10) ينظر : المقتضب ، أبو العباس المبرد : 4 / 357 .

أما الألف في اسم الله . تعالى . " اللَّهُ " فهي للعهد . أي الذي عُهدت لهُ الألوهية ويستحيل كونها للجنس ؛ لأنها علم لذاته . تعالى . [1] .

3 . " لم و إلاّ " :

وردت هذه الطريقة في موضعين في حديث واحد يرويه لنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) بقوله : كنت خلف النبي (ﷺ) يوماً ، فقال : ((**يا غلام إني أعلمك كلمات**)) : وكانت ضمن تلك الكلمات قوله (ﷺ) : ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمةَ لَوْ اجتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاّ بِشِيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ . وإِنْ إِجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرَّوكَ بِشَيءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَت الأَقلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**)) [2] .

لما كان النفع والضر بيد الله ولا دخل للانسان فيه ، أراد الرسول (ﷺ) أن يُشخص ذلك الحكم تشخيصاً يقرب المعنى إلى الأذهان،فاستدعى المقام إلى ضرب أمثلة تصعد المعنى لدرجة اجتماع الأمة بكاملها على نفع أو ضر الإنسان وهو أمر مستحيل بالطبع .

ويعزز ذلك المعنى ، مجيءَ حرف الشرط " لو " والذي أصله " لولا " حذفت " لا " منه [3] ، فدخلت على الماضي فأصبح المعنى المتصل بها من المستحيلات [4] ، فجاء الفعل " اجتمع " مقترناً بذلك الحرف ؛ ليكون حدوث الحدث المعلق مُؤكداً ومحققاً في استحالة ذلك الاجتماع ، تمهيداً للقصر ، الذي زاد الأمر تأكيداً ، فقصر الصفة " النفع أو الضر" على الموصوف وهو القدر المكتوب في اللوح المحفوظ منذ خلق الإنسان في بطن أمه ؛ لذا جاء القصر حقيقياً . ولما كان النفع والضر سابقاً لأوانه ، ناسب سياق النص بتلك الأداة " لم " من بين أدوات النفي الأُخرى ،لأنها تنفي المضارع " ينفعوك ،يضروك " وتقلبه إلى زمن المضي " القدر " إذ إن " لم " إذا دخلت على الفعل

(1) ينظر : معنى لا إله إلاّ الله ، ص 116 .

(2) سبق تخريجهُ .

(3) ينظر : المقتضب : 3 / 76 .

(4) ينظر : دور الرتبة في الظاهرة النحوية (المنزلة والموقع) ، عزام محمد ، ص 218 ؛ في النحو العربي . قواعد وتطبيق ، ص 63 .

المضارع قلبتهُ إلى زمن المضي [1] ، لا سيما وإن اقتران فعل المضي : " كتبه " بحرف التحقيق " قد " أفادان النفع والضر قد كتب بمشيئة الله وحده ، مهما حاول الإنسان تغيير ذلك .

وقدّم المفعول " الهاء " العائد إلى النفع والضر على الفاعل " اللهُ " ؛ للاهتمام بغرض الحديث الذي سيقَ من أجله " النفع والضر " . ولا يخفى ما للدلالة الطباق في الضدين " لك وعليك " والصراع القائم بينهما ، فلما بدأ الرسول (ﷺ) سياق القصرَ بحديثه عن النفع ، ناسب ذلك المعنى بقوله : " لك " ؛ لأن النفع يكون لصالح الإنسان وليس عليه ، بينما ناسب قوله " عليك " عندما تحدث عن الضرر؛ لأنّه لا يكون لصالح الإنسان وإنما هو بلاء عليه . ثم يختم الرسول (ﷺ) حديثه بحكمة عظيمة بقوله : ((**رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُف**)) . وقد فصلت هذه الجملة عن الجمل السابقة ؛ لنكتة جليلة ، فلما كانت تلك الأمور التي قدّرها الله على الإنسان منفصلة عن ارادته ، ولا يستطيع تغيرها إلاّ خالقه ،جاءت تلك الجملة ، منفصلة عن الجمل السابقة بعدما كان الوصل بحرف العطف " الواو " سائداً عليها ، فنزلت منزلة التأكيد اللفظي ، لذا أحكم الفصل عليها ؛ لكمال الاتصال . وقد عَدَّ شراح الحديث تلك العبارة من أحسن الكنايات التي عبّر بها عن سبق المقادير [2] ، وقال ابن منظور : " وفي الحديث ... يريد ما كتب في اللوح المحفوظ من المقادير والكائنات والفراغ منها ، تشبيهاً بفراغ الكاتب من كتابته ويُبسِ قلمه " [3] ؛ لأنَّ جف " من جَفَّ الشيء يجِفُّ ويَجَّف ، بالفتح جفوفاً وجفافاً : يَبِسَ " [4] .

ج . طريقة القصر بالإستفهام والاستثناء : " هل و إلاّ " :

لم ترد هذه الطريقة ، إلاّ في موضع واحد ، ورد في حديث يرويه لنا معاذ ابن جبل (رضي الله عنه) بقوله : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ ! . فقال : ((**ثَكِلَتْكَ**

(1) ينظر : الصاحبي ، ص 137 ؛ معجم الأدوات النحوية ، ص 137 .
(2) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 231 .
(3) لسان العرب : 6 / 28 .
(4) م . ن : 6 / 28 .

أُمُّكَ ! وهَل يُكَبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهم ـ أو قالَ : عَلى مَنَاخِرِهِم ـ إلاَّ حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ)) [1] .

من الملاحظ أن الرسول (ﷺ) أراد في حديثه هذا أن ينبه معاذاً بن جبل (رضي الله عنه) لعظم ومخاطر اللسان ، وأنه السبب في دخول الإنسان إلى النار ، آثر التعبير عن ذلك بالقصر وبطريقة الإستفهام والاستثناء بدلاً من النفي والاستثناء وذلك ؛ ليطابق فيها الكلام لمقتضى الحال ، فلقد استدعى المقام ، . هل وإلاّ . ؛ ليناسب فيها إجابة معاذ (رضي الله عنه) بإستبعاده المآخذة بما يتكلم به الناس ، وهنا يأتي الاستفهام النبوي ، الذي يحمل الاعجاب بتلك الاجابة التي تلقاها منه ، مشفوعاً ذلك الاستفهام ، بالنفي ، لأن أداة الاستفهام : " هل " . كما صرح بذلك النحاة . إذا دخلت على خبر محصور بـ " الا " أفادت النفي [2]،فخرج الاستفهام في الحديث ؛ إلى غرض النفي، ويكون تقدير الحديث : " ما يكب الناس ... إلاّ حصائد ألسنتهم " . وهذا بالتأكيد ، أبلغ من طريقة النفي بـ " ما والا " أو بـ " لا وإلا " ؛ لأن القصر بتلك الطريقة قد حمل الاستفهام والنفي في آن واحد وليصبّ في قالبٍ واحد ، هو بعد الشك والإنكار عمّا يدور في ذهن معاذ (رضي الله عنه) باستبعاده الإجابة النبوية . لذا جاءت هذه الطريقة لتخاطب المخاطب . معاذ . الذي يجهل الحقيقة ، بل وينكرها ، بدليل قوله : وهل نحن مؤاخذون بما نتكلم به ، لذا جاء القصر من ناحية المخاطب ، قلباً ، وإضافياً بحسب الحقيقة والادعاء . فقصر الصفة " الكب " على الموصوف : " ألسنتهم " ؛ مبالغة في كثرة آفات اللسان ، إذ ورد في حديث آخر لرسول الله (ﷺ) أن أكثر خطايا ابن آدم لسانه [3] ، وقلنا إضافياً ؛ لأن بعض الناس من يكبه في النار عملهُ وبما قدمت يداهُ في اقتراف الذنوب لا لسانه فقط . والتعبير بالمضارع يكب ، قد جعل تجدد الكب وحصوله ، لا سيما وإن إسناد الكب إلى الضمير المستتر : " هو " والعائد إلى لفظ الجلالة : اللهُ ، قد أفاد الاستمرارية في الكب ، وهذا ما يسمى عند البعض بالمضارع الاستمراري [4] .

---

(1) سبق تخريجهُ .

(2) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : 1 / 387 .

(3) أخرجهُ البيهقي في شعب الإيمان ، ح (4933) ، باب في حفظ اللسان ، فصل في فضل السكوت عما لا يعنيه : 4 / 241 .

(4) ينظر : معاني المضارع في القرآن الكريم ، حامد عبد القادر ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج 13 ، السنة 1961 ، ص 1510 .

د . طريقة القصر بحرف العطف " لكن " :

لم ترد هذه الطريقة إلاّ في حديث واحد يرويه لنا ابن عباس (رضي الله عنهما) ، أن رسول الله (ﷺ) ، قال : ((**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُم ؛ لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوال قَوْمٍ ودماءَهُم ، لَكِنِ البِّيَنُة عِلى المدَّعي واليمينُ عَلَى مَنْ أنكَر**)) [1] .

حكمةٌ نبويةٌ أراد أن يبينها لنا الرسول (ﷺ) في هذا الحديث ، وذلك بأن الإنسان المدعي ، يجب أن لا يعطى بمجرد دعواه ، ولمّا كان القاضي المسلم مأمور بالقضاء لمن قامت الحجة على صدقه ، سواء أكان مدعياً أم مدعى عليه ، جعل الشرع الحكيم البينة ، والتي أجمع العلماء على أنها الشهادة ؛ لأنها تكشف الحق وتظهر صدق المدعي غالباً [2] ، والشهادة هي طريق هذا الكشف والإظهار ؛ لأنها تعتمد على المعاينة والحضور [3] .

ولسنا في صدد الخوض في التفاصيل الفقهية للحديث * ، ولنركز على الاشارات البلاغية الواردة فيه ، والتي كان لها فضلٌ كبيرٌ في بيان أحكامه الفقهية . فالرسول (ﷺ) ، عندما شَعَرَ " بأن المدعي هو في موقف ضعيف أمام القضاة " [4] وضع شرطاً ورد بأسلوب القصر بحرف العطف : " لكن " ؛ " ليعزز فيه دعواهُ ببيَّنة أو تصديق المدعي عليه " [5] . إذ جعل الشرع الحكيم البينة حجة المدعي ، إذا أقامها استحق بها ما أدعاهُ ، كما جعل اليمين ، حجة المدعي عليه ، فإذا احلت برئ مما ادعى عليه [6] .

ولابد من الإشارة إلى أن العطف بـ " لكن " إنما يكون بعد النفي ولا يصح عطفها بعد إثبات [7] ، فيجب نصب الأسم الواقع بعدها ، ونحن نلاحظ أن " لكن " في الحديث ، جاءت عاطفة للجملة التي قبلها وذلك ؛ لتقدم النفي عليها والمحذوف من الحديث والتقدير : لا يُعطى الناسُ بدعواهُم ؛ ولذلك كُفَّ عملها عن النصب ، وأبطل معنى الاستدراك

---

(1) سبق تخريجهُ.

(2) ينظر : معجم متن اللغة : 1 / 379 ؛ المعجم الوسيط 1 / 80 .

(3) ينظر : الوافي في شرح الأربعين النووية ، مصطفى البُغا ، محيي الدين مستو ، ص 257 . 258 .

* بإمكان القارئ مراجعة أحد المصادر الآتية : جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، ص 446 . 456 ؛ الوافي في شرح الأربعين النووية ، ص 256 . 265

(4) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 4 / 1795 .

(5) م . ن 4 / 1795 .

(6) ينظر : الوافي في شرح الأربعين النووية ، ص 259 .

(7) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 2 / 235 .

عنها ، لتتحول إلى أداة للقصر ، تجعل " المعنى مؤكداً في ما بعدَها ، بمقابلته بما قبلها " [1] .

(1) في التحليل اللغوي ، ص 238 .

المبحث الثاني

أحوال الجملة

صور التنوع في بناء الجملة

المبحث الثاني
أحوال الجملة

أولاً . التقديم والتأخير :

التقديم والتأخير : " هو تبادل في المواقع ، تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى ، لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤديه ، لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت قاعدة الانضباط اللغوي " [1]. إذ إن " التقديم والتأخير لغرض بلاغي ، ولسر من أسرار التعبير " يُكسب الكلام جمالاً وتأثيراً ؛ لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين،كما هي مرتبةٌ في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده ، فيكون الأسلوب ، صورة صادقة لاحساس المتكلم ، وصدق مشاعره " [2] . لا سيّما في تعامل الرسول (ﷺ) مع أصحابه ،فالمتمعن في أحاديث الكتاب ،يجد كثرة مواضع هذا الأسلوب ، حتى وصلت إلى تسعة عشر موضعاً. وقد أجرينا تقسيم المبحث كما يأتي :

أ . التقديم على العامل .
ب . تقديم الألفاظ بعضها على بعض .

أ . التقديم على العامل :

إنّ لكل كلمة في الجملة العربية ، ترتيب خاص بحسب وضعها اللغوي ، فمثلاً : يتقدم المبتدأ على الخبر والفِعل على الفاعل ، والفاعل على المفعول ، ثم يأتي ما يُتمم ذلك ، بالظرف والجار والمجرور ، والحال ، وغيرها [3].ولكن المتكلم ، قد يخالف ذلك الأصل ، بتقديم ما حَقَّهُ التأخير. وقد ورد التقديم مخالفة للأصل اللغوي في أحاديث الكتاب ، على الشكل الآتي :

(1) بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، منير سلطان ، ص 138 .
(2) صفاء الكلمة ، عبد الفتاح لاشين ، ص 194 .
(3) م . ن ، ص 194 .

1 . تقديم الخبر على المبتدأ :

الأصل في المبتدأ أن يتقدم الخبر عند النحاة [1] ، ولكن المتمعن في أحاديث الكتاب ،يجد أن هناك أحاديث لرسول الله (ﷺ) قد خالفت تلك القاعدة النحوية بتقديم الخبر على المبتدأ والوارد في خمسة مواضع ، نأخذ اثنين منها ؛ لندرك ما سرَّ وراء ذلك التقديم ،أحدهما يرويه لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: ((**قال رسول الله (ﷺ) : كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلَعُ فِيْهِ الشَّمْسُ.تَعْدلُ بَيْنَ إِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيْهَا إِلَى الصَلاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيْطُ الأَذى عَنْ الطَّرِيق صَدَقَةٌ**)) [2] .

إذ نلاحظ أن الرسول (ﷺ) ، أراد أن يبين لنا فضل نوافل الطاعات المذكورة في الحديث والتي كنَّى بها عن الصدقة المالية ، فعبّر عن ذلك بمقدمة قصيرة تصبح واجبة التحقق في نظر المخاطب ،فجاء الحديث ، وقد توافرت فيه ، خصائص الأسلوب المعتمد على التعبير المباشر المبني على الاقناع [3] . وذلك بتخصص أهم أعضاء الإنسان ، وهي السُّلامَى " التي عددُها ثلثمائة وستين مفصلاً . وتخصيصها بالذكر، لأن في اعمالها من دقائق الصنائع ما تتميز فيه الإفهام فهي من أعظم نِعَم الله على الإنسان وحق المنعم عليه ، أن يقابل كل نعمة منها بشكر يخصها ، فيعطي صدقة ، كما أعطي منفعة ... " [4] ، إذ لو شاء لسلبها القدرة ، وهو فيه عادل كلَّ يوم تشرق فيه الشمس ، فإتقاؤها لا سيما مع التقصير في خدمة توجب دوام شكره بالتصديق وغيره ما دامت تلك النعم ، فلو فقد له عظم واحد ، أو يبس أو لم ينبسط فلم ينقبض لأختلت حياته وعظم بلاؤه [5] ؛ لذا كان في تقديم الخبر وهو الجار والمجرور في قوله : " عليه " على المبتدأ المؤخر : صدقة ؛ ليفيد اختصاص الصدقة به ، دون غيره ، فقيل أن في تقديم الظرف . وهو الجار والمجرور . في

(1) ينظر : الأمالي النحوية : 3 / 35 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير: باب من أخذ بالركاب ونحوه، ح(2827) .

(3) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، ص 66 . 67 .

(4) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، أحمد بن محمد القسطلاني : 6 / 170 .

(5) ينظر : فيض القدير : 5 / 27 ؛ دليل الفالحين 2 / 43 .

الجملة وفي مقام الاثبات يكون أبلغ من تأخيره، ويكون الغرض منه إفادة التخصيص[1] ،واسناد الكلام الواقع بعده ، إلى صاحب الظرف دون غيره [2] .

أما الحديث الثاني ، فهو برواية أبو هريرة (ﷺ) أيضاً ، قال : قال رسول الله (ﷺ) ((**من حسنِ إسلام المرء ، تركه مالا يعنيه**)) [3] . إذ نلاحظ أن الحديث ، ابتدأ بحرف الجر : " من " والتي جاءت هنا بمعنى بعض ، أي من بعض حسن إسلام المرء ، فقيل أن " من " ، إذا جاءت مقدرة بمعنى " بعض " كانت للتبعيض [4] . وآثر الإسلام ولم يقل : من حسن إيمان المرء " ؛ لأن الإسلام هو الأعمال الظاهرة ، والفعل والترك إنما يتعاقبان عليها ؛ لأنها حركات اختيارية يتعاقبان فيها اختياراً . وأما الباطنة الراجعة للإيمان ، فهي اضطرارية تابعة لما يخلقه الله . تعالى . في النفوس ويوقعه فيها " [5] . ولعل التقديم الحاصل في الحديث قد ورد لسببين :

الأول : أن في تقديم الخبر الواقع جملة : " من حسن إسلام المرء " على المبتدأ المؤخر : " تركُهُ " لئلاّ يعود الضمير فيه على المتأخر لفظاً ورتبةً ، لما في المبتدأ من ضمير يعود على متعلق الخبر ، ولو قدَّمناهُ ، لأوهم خلاف المقصود .

الثاني : إن في التقديم . فضلاً عن ذلك . قد جاء لغرض بلاغي مفادَهُ تشويق السامع وشد انتباههُ لمعرفة الآتي من الخبر من كلام يتضمنه المبتدأ .

فالرسول (ﷺ) بتقديمه إياهُ ، قد جعل النفسَ مُهَيَّأةً لتلقي الحكم الذي يريد اثباته للمسلم ، فإذا ذكر بعد ذلك ، كان هذا مدعاة لتوكيد إثبات الحكم لهُ ، وترسيخه في الذهن [6] . فضلاً عن أن التقديم الحاصل في الحديث ، قد أفاد التخصيص أيضاً . والتخصيص راجع إلى أعمال المسلم. هذا وإنَّ من أسرار التقديم والتأخير النبوي ، أننا لو أجرينا تغييراً في جمل الحديث ، فقدمنا المبتدأ على الخبر ، وقلنا تركهُ مالا يعنيه ،من حسن إسلام المرء ؛لتغير المعنى،واختل سياق نظم الحديث وذهبت حلاوة نظمه ، وهذا إن دَلّ على

(1) ينظر : المثل السائر : 2 / 279 ؛ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ابن الأثير ، ص 108 ؛ صفاء الكلمة ، ص 198 .

(2) صفاء الكلمة ، ص 198 .

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد: باب في من تكلم بكلمة ليضحك بها الناس، ح(2317): وقال: حديثٌ حسن.

(4) ينظر : حروف المعاني ، ص 50 ؛ رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ص 323 .

(5) فيض القدير : 6 / 16 .

(6) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، مجيد عبد الحميد ، ص 131 .

شيءٍ ، إنما يدل على مدى بلاغة وفصاحة رسولنا الكريم (ﷺ) في تفنّنه باستخدام الأساليب البلاغية ، التي أعطت أحاديثه مزيداً من الاهتمام والتشويق من قبل المخاطب أو السامع .

2 . تقديم خبر أَنَّ على اسمها :

ورد هذا التقديم في تسعة مواضع في أحاديث الكتاب . نأخذ أحد تلك المواضع الذي ورد في حديث لرسول الله (ﷺ) مخاطباً عبد الله ابن عباس (رضي الله عنه) كان ختامه : ((**... وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً**)) [1] .

فلقد ورد التقديم في قوله: ((إنَّ مع العسر يسراً)) وثمة إشارات بلاغية نستنبطها من ذلك التقديم، فقد أفاد التقديم: القصر، أي مع العسر العارض، تيسير يصحبه فيغلبه، لقولهِ (ﷺ): ((لن يغلبَ عسرٌ يسرين)) [2]

ولمَّا كان العسر واليسر نقيضين، جاءت المعية بحرف الجر: "مع" لتستعير قرب حصول اليسر عقب حلول العسر أو ظهور بوادرهِ، وتتعاضد ثنائية التعريف والتنكير مع التقديم الحاصل في الحديث، لإبراز المعنى المراد توصيله، فعرَّفَ: "العسر" بالألف واللام، وهذا التعريف، قد أفاد العهد، أي العسر الّذي عهدته وعلمته، في حين نكَّرَ: "يسر" ليشير إلى تعظيمهِ.

3 . تقديم المفعول على الفاعل :

المفعول به : " هو الذي وقع عليه فعل الفاعل " [3] ؛ لذا كان منزلته في ترتيب الكلام ، التأخير عن الفعل والفاعل ، وقد يتقدم ؛ لأنَّ ذكرهُ أهم والعناية به أتم [4] ، ولأن في تقديمه ، ما يفيد الاختصاص عند الجمهور [5] . وقد ورد هذا النوع من التقديم في ستة مواضع ، نأخذ أحدها ورد على لسان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقوله : "

(1) أخرجه الإمام أحمد في كتاب مسند بني هاشم: باب بداية مسند عبد الله بن العباس، ح(2664) .

(2) أخرجه النيسابوري في تفسير سورة الانشراح، ح(3950).

(3) الآمالي النحوية:35/3.

(4) ينظر: الكتاب:34/1- 81،الإيضاح، ص 67.

(5) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 12/3.

بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسوُل الله (ﷺ) ، ذاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَديد بياضُ الثِّيابِ ، شَديدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لا يُرى عَلَيْهِ أثرُ السَّفَر ، وَلا يعرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ... " [1] .

معنى كلامه (رضي الله عنه) ، كما قال الطيبي : في وقت حضورنا في مجلس لرسول الله (ﷺ) ، فاجأنا وقت طلوع ذلك الرجل [2] ، وهو يقصد بذلك ، جبريل (عليه السلام) ، والتعجب المصحوب بطلوع جبريل (عليه السلام) في ذلك الوقت ، كونه مَلَكاً ؛ إذ لو كان غريباً ، لكان عليه أثر السفر من غبار وما شابه ذلك ، ولو كان مدنياً لعرفوه [3] ، وراوي الحديث ، أراد أن يشعرنا بعظمة ذلك الرجل والمتمثل بهذه الصفات ، قدّم ذكره بقوله : لا يعرفه منا أحدٌ ، إذ أن في تقديم متعلق الفعل . المفعول به : " الهاء " والعائد إلى جبريل (عليه السلام) على الفاعل في قوله: " أحدٌ " فيه دلالة بالغة على تقريرهم في أنفسهم ، أنهم في تعجب ، والسر في ذلك ، أن " الأصل في المفعول ونظائره التأخير من العامل في الوجود الذهني ، وأن تقديمهُ عليه ، ليس فقط لافتاً لانتباه النفس من حيث مجيئه على غير العادة " [4] ، فكذلك كان لمجيء جبريل (عليه السلام) الذي خالف العادة بهيئته التي تخالف هيئة الرَّجل ؛ ولأنه خالف فيه موقعه في النفس ، مما تحس معهُ النفس بأن تقديمه لأمر مهم يوجب توكيد الحكم بالنسبة لهُ أكثر مما وجب للفاعل عند تقديمه على فعله [5] ، فإذا قصد المتكلم نقل الخبر بتركيز على جزء من أجزائه فلإظهار عنايته واهتمامه به [6] ، وراوي الحديث استخدم الجار والمجرور " منا " وفصل ما بين متعلق الفعل . المفعول . والفاعل ، ولم يقل : لا يعرفه أحدٌ ، وذلك ليُشير إلى أن الرسول (ﷺ) قد عرفه منذ دخوله عليهم ،ولأن الجار والمجرور " منا " عائد إلى صدر الحديث في قوله " نحن "الواردة في قوله : بينما نحن جلوس عند رسول الله . والضمير الواقع مبتدأ " نحن " يعود إلى الصحابة فقط دون الرسول (ﷺ) .

4 . تقديم الجار والمجرور على المفعول :

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ح(8) .
(2) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 82 .
(3) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 83 ؛ دليل الفالحين : 1 / 215 .
(4) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 132 .
(5) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 132 . 133 .
(6) ينظر : دور الرتبة في الظاهرة النحوية ، 125 .

ورد هذا التقديم بحديث يرويه لنا أبو هريرة (ﷺ) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((**إنّ اللهَ تَعَالى قالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ...**)) [1] .

الله . تبارك وتعالى . يتكفل بعباده المؤمنين الأولياء له ، ونظراً لمكانة الولي عند الله . تعالى . ، أضافَهُ إليه بقوله : " لي " مما جعل المعاداة تحصل أوّلاً لله قبل حصولها عليه، فأفاد تقديم الجار والمجرور" لي " على المفعول : " ولياً " الاختصاص ، أي مَنْ عادى ولياً لي لا لغيري .إذ لو قال مَنْ عادى ولياً لي؛ لكان الإخبار ،بأن المعاداة له ولكن دون نفيه عن غيره ،أي له ولغيره ، فتقديم الجار والمجرور: " لي " أفاد قصره عليه واختصاصه به دون غيره [2] .

ب . تقديم الألفاظ بعضها على بعض :

هناك أنواع من التقديم ، يكون التقديم فيها؛ لأغراض تفهم من سياق الحديث وأهمها : الترتيب والسبق والتقديم بالمناسبة أو مراعاة اشتقاق اللفظ [3] .
وهذا ما سنتناوله بعون الله . تعالى . ، بدراسة أحاديث الكتاب .

1 . الترتيب :

ورد ذلك التقديم ، بسؤال جبريل (عليه السلام) لرسول الله (ﷺ) عن الإيمان ، فأجابه : ((**أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخر ، وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشرِهِ**)) [4] .

المتأمل في لطائف نظم هذا الحديث وبدائع ترتيبه ، عَلِمَ أن الحديث النبوي ، كما أنه معجز بفصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضاً معجز بترتيبه ونظم قرائنه ، فالرسول (ﷺ) عندما أراد أن يجيب جبريل (عليه السلام) ، عن الإيمان ، أراد أن يبدأ الأهم فالأهم ، ويكمن في هذه الظاهرة الأسلوبية البلاغية بعدٌ نفسي آخر وهو أن النفس تُعنى وتتطلع إلى تقديم معرفة الذي بيانه لها أهم ، وهي بشأنه أعنى ، فإنَّ أموراً مهمة

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق: باب التواضع، ح(6137) .
(2) شرح الطيبي : 1 / 86 .
(3) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 3 / 239 .
(4) سبق تخريجه .

تترتب عليه، فحينئذٍ ، ولكي يكون التعبير أكثر قدرة وقابلية على التأثير والاثارة ، يقدم فيه ما انعقد القلب به : " الإيمان بالله " ، حتى تطمئن النفس وتستقر [1] ، فالإيمان بالله في الإسلام قاعدة التصور . وقاعدة المنهج الذي يحكم الحياة . وقاعدة الخلق وقاعدة الاقتصاد وقاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا وهناك ، فكانت معرفة الله هي الأصل [2] ، فلما كان " الأصل في ترتيب ألفاظ المتكلم ، أن يكون قائماً على ملاحظة معانيها من ترتيب وجودي في الذهن ، فمن المؤكد أن يكون بعضها أسبق تصوراً ووجوداً في الذهن من الآخر ، والنفس تميل وتتشوق لذكر ما تسبق معرفته ووجوده في الذهن أولاً ، وهذا يعني استدعاء تطابق الترتيب اللفظي بمفردات معاني الجملة ، مع ترتيبها الذهني ... " [3] ؛ لذا كان من المؤكد تقديم الإيمان بالله على قواعد الإيمان الأخرى ، فقال ابن حجر العسقلاني : الإيمان بالله : التصديق بوجوده وكونه متصفاً بصفات الكمال ومنزهٌ عن صفات النقص [4] ولما كانت الملائكة الواسطة ما بين الله والرسول ، عندما أوحى إلى الأنبياء بوساطتهم ، جعل ذكر الملائكة بالمرتبة الثانية [5] ، ولأنَّ سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول (ﷺ)، قدّم الإيمان بالكتب على الإيمان بالرسل ؛ لأنهم يقتبسون أنوار الوحي من الملائكة، فيكونوا متأخرين في الدرجة عن الكتب المشتملة على الشرائع التي تعبَّد بها عباده [6] ، فلهذا السبب جعل الله . تعالى . ، ذكر الرسل في المرتبة الرابعة " ... لأنهم المبلغون لعبادة ما نزل إليهم " [7] ، ولابد من الإشارة إلى أن هذا الحديث قد جاء مقتبساً من قوله . تعالى . : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ...** ﴾ [8] .

وأطلق الزركشي على الترتيب الحاصل في الآية مصطلح : سبق تنزيه ، وقال : بدأت الآية بالإيمان بالله ؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل ، والعقل سابق في الوجود على الشرع ، ثم قال وملائكته ، مراعاة لإيمان الرسول ، فإنه يتعلق بالملك جبريل أولاً ، ثم

(1) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغية العربية ، ص 133 .
(2) ينظر : التفسير الكبير ، الرازي : 7 / 113 ؛ فتح القدير : 1 / 516 .
(3) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 127 .
(4) ينظر : فتح البارئ : 1 / 156 .
(5) ينظر : التفسير الكبير : 7 / 113 ؛ فتح القدير : 1 / 516 .
(6) ينظر : م . ن : 7 / 13 ؛ م . ن : 1 / 516 .
(7) فتح القدير : 1 / 516 .
(8) سورة البقرة ، الآية (285) .

بالكتاب الذي أنزله إلى رسوله ، وإن كان الكتاب أقدم من الملك ، ولكن رؤية النبي (ﷺ) للملك ، كانت قبل سماعه الكتاب . وأما إيماننا نحن فبالعقل آمنا بالله ، إي بوجوده ، ولكن الرسول (ﷺ) عرفنا اسمه ووجوب النظر المؤدي إلى معرفته ، فآمنا به ثم بالكتاب المنزل عليه ، وبالملك النازل به ، فلو ترتب اللفظ على حسب إيماننا ؛ لبدأ بالرسول قبل الكتاب ؛ ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول (ﷺ) الذي هو امام المؤمنين [1] .

وقيل أيضاً : إن في هذا الترتيب ، " سِرَّاً لطيفاً ، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف إلى الله تعالى ، والوسائط في ذلك الملائكة، والمقابل لتلك الرحمة هم الأنبياء والرسل ، فلابدَّ أولاً : من أصل ، وثانياً : من وسائط ، وثالثاً : من حصول تلك الرحمة،ورابعاً : من وصولها إلى المقابل بها؛ والأصل المقتضى للخيرات والرحمة هو الله ، ومن أعظم رحمة رحم بها عباده إنزال كتبه إليهم،والموصل لها هم الملائكة ، والمقابل لها المنزلة عليهم هم الأنبياء ، فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع " [2] .

أما الإيمان باليوم الآخر ، قيل لهُ ذلك ؛ لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة ، ولا ليل بعده [3] ، والمراد بالإيمان به التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار ... " [4]،ثم تأتي المرتبة الأخيرة من مراتب الإيمان بالقدر خيره وشره ، والحكمة في تكرار لفظ " تؤمن " إشارة إلى ما يقع فيه من الاختلاف ، فحصل الاهتمام بشأنه بإعادة " تؤمن " مزيداً من التنبيه،علماً أن الترتيب الحاصل في الحديث ، جاء وقد سيطر عليه العطف فيما بين تلك الجمل ، ليناسب الترتيب المذكور [5] ، لأن السياق واحدٌ والفكرة واحدة ،فلا فرق بين الإيمان بالكتب أو بالرسل؛لأن بمجرد الإيمان بأحد تلك المراتب ، سيؤدي حتماً إلى الإيمان بالمراتب الأخرى .

2 . التقديم بسبق الزمان والإيجاد وسماهُ بعضهم : التقديم بالشرف [6] :

(1) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 3 / 287 .
(2) البرهان في علوم القرآن : 3 / 288 ؛ فتح البارئ : 1 / 157 .
(3) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 220 .
(4) فتح البارئ : 1 / 157 .
(5) ينظر : توكيد مضمون الجمل بتتبيع الترادف في القرآن الكريم ، حسن طه ، ص 34 .
(6) ينظر : معترك الأقران في اعجاز القرآن : 1 / 144 ؛ البرهان في علوم القرآن : 3 / 280 .

فقد ورد هذا التقديم بحديث قدسي يرويه لنا رسول الله (ﷺ) عن ربه بقوله : ((**يا عِبادِي : إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ والنَّهَار ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيعَاً ، فَاسْتَغْفُرِونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**)) [1] .

لقد ورد تقديم الليل على النهار في مواضع عدة في القرآن الكريم [2] ، فلما كانت الظلمة غالبة لضوء النهار وأن النهار يعقبها قدم الليل على النهار [3] ، فالنور طارئٌ عليها يسترها ، إذ إن ظلمة الليل هي أصل أحوال الأرض وجميع العوالم المرتبطة بالنظام الشمسي وإنما أضاءت بعد أن خلق الله الشمس [4] ، وقرن الزركشي ذلك التقديم بالتشريف ، لذلك اعتبروا التاريخ في البدء بالليالي ثم طرأ عليه التاريخ بالأيام [5] ، فقدم الليل ؛ لشرفه وأصالته ؛ ولأنه وقت الخلوة إما بانشغال الناس بالعبادة أو بانشغالهم بالمعاصي[6] ، والباء في قوله : " بالليل " تفيد الظرفية ، إذ أن من معاني الباء ، انها ترد للظرفية ، فتكون بمعنى : في [7]، أي في الليل والنهار، وقيل أن قوله : تخطئون بالليل والنهار ، هو من باب التغليب ؛ لأنه مستحيل أن يقع الذنب من قبل العباد ليلاً ونهاراً ، فيكون المعنى : يصدر منكم الخطأ لا دائماً بل من بعضكم ليلاً ومن بعضكم نهاراً [8] .

وحتى لا يقنط العباد من رحمة الله ـ تعالى ـ ؛ لعظم ذنوبهم جاء التأكيد بغفرانها بقوله : ((**وأنا أغفر الذنوب جميعاً**)) وذلك بشيئين :

الأول : أل الاستغراقية في قوله " الذنوب " ، والثاني : قوله جميعاً ، فأفاد كل منهما العموم وهو غاية الرجاء للمذنبين [9] .

3 ـ التقديم بالمناسبة ، أي مناسبة لفظ هو من التقدم والتأخر :

(1) سبق تخريجه .
(2) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 836 ـ 837 .
(3) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : 30 / 378 .
(4) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : 30 / 378 .
(5) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 3 / 282 .
(6) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 328 .
(7) ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ص 145 .
(8) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 328 .
(9) ينظر : فيض القدير : 4 / 626 ؛ دليل الفالحين : 1 / 328 .

ورد هذا النوع من التقديم في الحديث السابق نفسه بقوله . تعالى . : **((يَا عِبادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُم ، وَأَنسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانوا عَلى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئَاً ، يَا عِبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلكم وآخركُم ، وَأنسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئَاً))** [1] .

لقد أراد الله . تبارك وتعالى ، إثبات أن ملكه تعالى على غاية الكمال ،فهو لا يزيد بطاعة جميع الخلق كونهم على أكمل صفات البر والتقوى ، ولا ينقص بمعصيتهم ؛ لأنه تعالى ، الغني المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ، الكامل فلا نقص يلحقه بأي وجه من الوجوه [2] . فناسب ذلك المعنى ، باستخدام حسن المقابلة بين الضدين : " الأول والآخر " ؛ لدرجة شمول العباد جميعهم، " أنسهم وجنهم " منذ أصل خلق الإنسان بآدم (عليه السلام) وإلى آخر خلق لله تعالى ؛ لذا كان من المؤكد تقديم لفظ الأول على الآخر ، فلو رجعنا إلى كتب اللغة لوجدنا أن المراد بالأول : الرجوع إلى أصل الشيء [3] ، أي أصل خلق الإنسان ، أما الآخر ، فقال ابن منظور : إنما يكون في نهاية مطاف الدنيا ، وآخر الشيء ، غير الأول ؛ لأنه نقيضه [4] ، ومثل هذا التقديم ، يسميه علماء البلاغة : بالمناسبة ، أي مناسبة لفظ من لفظ من التقدم أو التأخر [5] ، إلاّ أن الزركشي ، أطلق عليه تسمية : مراعاة اشتقاق اللفظ [6]،عندما تكلم عن آيات عِدَّة ، تحمل ذلك المعنى . فالله . تبارك وتعالى . أضاف الضمير : " الكاف " إلى قوله: " أولكم وآخركم " ؛ لأن لفظ الأول والآخر ، مرتبط بقدرته وإرادته . تبارك وتعالى . وهما باقيتان ذاتيتان ، لا انقطاع لهما ؛ لذا ارتبط بهما دون العباد ، " لذا قيل أنه لا يجوز إطلاق لفظ الأول والآخر ، إلاّ بالإضافة : كقولنا : الخلق في أوَّلكم وآخركم ، ولا يجوز أن نقول : الخلق في الأول والآخر، لأن كلاهما من أسماء الله الحسنى ، والله أعلم " [7] . ولأن الأول والآخر ، " ... مرتبط بقدرته وإرادته وهما باقيتان ذاتِيَّتَان ، لا إنقطاع لهما ، فكذا ارتبط بهما ، وعائد التقوى والفجور [في الحديث] على فاعلهما " [8] .

---

(1) سبق تخريجه .

(2) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 329 .

(3) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن، ص99، لسان العرب : 11 / 32 . 33.

(4) ينظر : لسان العرب : 4 / 14 .

(5) ينظر : معترك الأقران في اعجاز القرآن : 1 / 145 .

(6) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 3 / 306 .

(7) فيض القدير : 4 / 627 .

(8) م . ن : 4 / 627 .

ثانياً: الإيجاز الإطناب :

القسم الأول: الإيجاز

من دقائق لغة الحديث النبوي وبديع نظمه وجمال أسلوبه ، هو التعبير عن المعاني الكثيرة بقليل من اللفظ وهو ما يعرف بالإيجاز ، وهذا عائد بالطبع إلى البيئة العربية الأصيلة التي نشأ فيها (ﷺ) ، المعروفة بالفصاحة والبلاغة ، فضلاً عن الموهبة الربانية التي أعطاها له . تبارك وتعالى . ؛ لغرض توصيل الرسالة الإسلامية إلى الناس بأوجز لفظ يقتضيه المقام ، خصوصاً وأن الرسول (ﷺ) ، كان يكرهُ أن يجاوز الكلام مقدار القصد به [1] .

الإيجاز لغةً واصطلاحاً :

الإيجاز لغةً : التقصير [2] ، أما اصطلاحاً : " فهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلَّ عن الصنعة ونزه عن التكلف " [3] ، وقد قسّمه البلاغيون إلى قسمين، هما : إيجاز القِصَرِ وإيجاز الحذف [4] .

أ . إيجاز القِصَر :

هو اندراج المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل ومن غير حذف [5] ، وقد ورد في أربعة مواضع أحد تلك المواضع ورد في حديث يرويه سعد بن مالك (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) : ((**لا ضَرَرَ ولا ضِرار**)) [6] .

فهذا الحديث بإيجازه الشديد ، قد اندرج تحته الكثير من المعاني السامية ، " فأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه " [7] .

---

(1) ينظر : البيان والتبيين : 1 / 273 ، 2 / 18 .
(2) لسان العرب : 3 / 531 .
(3) البيان والتبيين : 2 / 17 .
(4) ينظر : المثل السائر : 2 / 114 ؛ الطراز : 2 / 119 .
(5) ينظر : الطراز : 2 / 126 .
(6) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام: باب من بنى في حقهِ ما يضر بجارِه، ح(2341) .
(7) البيان والتبيين : 1 / 87 .

فمقابلة المساءَة بالمساءَة ؛ مما نهى عنه الإسلام ؛ لأنه يعمم الفوضى بين أفراد المجتمع ، وهذا مالا يرضي الله ورسوله (ﷺ) ؛ لذا ورد اجتناب الضرر بأسلوب النكرة ، ليعمم اجتناب كُلَّ مُسَبِّباته .

وقد تكلم البلاغيون على الحديث ، فوضعه العلوي في إيجاز القِصَر ، وقال : " لا ينبغي لأحد أن يضرَّ غيره ، ولا ينبغي لك أن تضرُّ أحد ، ولا ينبغي له أن يضرك ... " [1] ، ولما كانت مُسَبِبات الضرر ، كثيرة ولا يمكن حصرها ولو ذُكرت لاحتاج صفحات عدة ؛ لبيانها ، اختار لنا الرسول (ﷺ) ، بذكائه وفطنته خير ما يعبر عن تلك المسببات ، وبلفظ لا يتجاوز كلمتين ؛ توفيراً لوقت المخاطب أو المتلقي ومنعاً من إجهاده ، حتى يسهل حفظها وتذكرها دوماً منعاً من المواقف التي تؤدي إلى الضرر أو الضرار .

ب . إيجاز الحذف :

هو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة أقل منها ، وذلك بحذف شيء من تراكيبها ، مع عدم الاخلال بمعانيها [2] .

ولقد ورد هذا النوع من الإيجاز في ثلاثة وثلاثين موضعاً توزعت على الشكل الآتي :

1 . حذف الحرف : أربعة مواضع .

لقد ورد في أحاديث الكتاب،ما يدل على حذف الحرف،كحذف حرف العطف وحرف النداء،أما فيما يخصُّ حذف حرف العطف ، وستناولهُ في مبحث الفصل* ، أما حذف حرف النداء ، فقد تحذف تلك الأداة ، تخفيفاً وإيجازاً أو ملاطفةً ومُؤانسةً بالمخاطب ، وذلك عندما يقتضي الموقف ذلك ، وكان المنادى قريباً [3] .

(1) الطراز : 2 / 128 ؛ وينظر أيضاً : من بلاغة النظم العربي : 2 / 222 .

(2) ينظر : الإيضاح ، ص 105 ؛ الطراز : 2 / 119 .

* ينظر : ص 114 . 119 .

(3) ينظر : أساليب الطلب في الحديث الشريف ، هناء محمود شهاب ، أطروحة دكتوراه ، ص 150 .

وقد ورد حذف حرف النداء في حديث يرويه لنا ، أبو هريرة (ﷺ) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : ((**لا تَحاسَدُوا وَلا تَدابَرُوا ، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلى بِيعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْواناً ...**)) [1] .

نلاحظ أن الحديث قد مهّد لنا شروط التآخي ما بين العباد ، ثم ينقلنا الحديث من أسلوب النهي إلى الأمر الدال على الوجوب بقوله : " كونوا عباد الله أخواناً " ، فقال النووي : أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الأخوة ومعاشرة المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ، مع صفاء القلوب [2] .

ولما كان الخطاب لاستمالة قلوب السامعين له (ﷺ) وتوجيههم إلى الطريق الصحيح ؛ اقتضى حذف حرف النداء : " يا " في قوله : " كونوا عباد الله إخواناً " والتقدير : كونوا يا عباد الله ، أو كونوا عباد الله يا أخوانا . مع التنويه بأن الاعتراض هنا للتنبيه والتأكيد فهو أبلغ [3] .

أما علاقة قوله : كونوا إخوانا بالمنادى المحذوف الأداة " عباد الله " ؛ أن الأخوة هنا تشمل كل عباد الله على مستويين :

الأول : الأعم ، وهو كل البشر الذين هم في الحقيقة عباد الله [4] ، فقد أفاد التعريف بالإضافة في قولهِ: "عباد الله" العموم وشمول الحكم على جميع العباد .

الثاني : الأَقل عموماً ، وهم الذين يعبدون الله على أية مِلَّة [5] .

2 . حذف الكلمة :

قيل إن الإيجاز بحذف المفردات أوسع مجالاً من حذف الحرف أو حذف الجملة أو الجمل ، لأن المفردات أخفُّ في الاستعمال [6] ، ولعل هذا هو السبب في كثرتها في أحاديث الكتاب ؛لذا سنركز اهتمامنا بهذا النوع من الحذف . الذي قسمهُ

(1) سبق تخريجهُ .
(2) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 5 / 2511 .
(3) ينظر : حاشية حسن بن علي على كتاب الفتح المبين ، ص 293 .
(4) ينظر : م . ن ، ص 293 .
(5) ينظر : م . ن ، ص 294 .
(6) ينظر : الطراز : 2 / 101 .

البلاغيون إلى حذف : الفعل والفاعل والمفعول والمضاف والمبتدأ والخبر والموصوف والجملة . [1] وذلك أمام طائفة من أحاديث الكتاب .

. **حذف الفعل** : ستة مواضع .

الأصل أن يُذكر فعل الفاعل ، ولكنه قد يُضمر إذا دلَّ عليه قرينة ، فقال ابن يعيش : " اعلم أن الفاعل ، قد يُذكر وفعله الرافع له ، محذوف لأمر يدلُّ عليه " [2].

وقد ورد حذف الفعل في حديث قدسي عن رسول الله (ﷺ) عن ربِّه . تعالى . قال : **((يَا عِبادِي لَوْ أَنَّ أوَّلكم وآخركُمْ ، وأنسكم وجنكم ، كانوا عَلى أتقى قَلْبِ رَجُل واحد منكم ، ما زادَ ذلكَ فِي مُلْكي شَيْئاً))** [3] .

فهنا نجد أن هناك حذفاً في الحديث ، وهذا الحذف راجع إلى الفعل ، إذ تقدير الحديث : لو حدث أنَّ أوَّلكم وآخركم ، فالقاعدة عند النحاة تقول : تُشَبَّه : " لو " بأن الشرطية في الاختصاص بالفعل ، فلا يليها إلاّ فعل مضمر أو معمول يُفَسِّرَهُ ظاهر ما بعده [4] . فتدخل عليه،ان واسمها وخبرها، وتكون الجملة: فاعلاً لفعل محذوف تقديره : " لو ثبت " [5] . وهناك نكتة بلاغية ، فضلاً عن تلك القاعدة النحوية ، فلما كان خطاب الحديث مُركزاً على ابراز حدث تعاقب التقوى والفجور وتصعيد الحَدَثِ ؛ لدرجة شمول الثقلين إنساً وجناً وقيل حتى الملائكة * ، استدعى المقام إلى حذف الفعل ؛ لإبراز ذلك الحدث ؛ إذ أن " إبراز الحدث مع إسقاط متعلقه : [الفعل] يكون مدعاة لِلَفْتِ انتباه المتلقي إليه وتركيزه فيه، إذ هو المهم في نظر المتكلم ، وهو الذي يريد توكيده في نفس المتلقي ... " [6] ، فوقعت الجملة : " أن أنسكم وجنكم " في تأويل مصدر فاعل لفعل محذوف تقديره : حدث أو ثبت ، حسب القاعدة النحوية السابقة .

---

(1) ينظر : الطراز : 2 / 101 . 118 .

(2) الإيضاح في شرح المفصل 1 / 80 .

(3) سبق تخريجه .

(4) ينظر : الجنى الداني ، ص 290 .

(5) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 387 .

* قيل أن الخطاب عام وشامل لذوي العلم من الملائكة والثقلين ، فيكون ذكر الملائكة مطوياً مدرجاً في قوله : " جنكم " ؛ لشمول الاجتنان لهم ، أولا يكون كذلك ؛ لأنَّ الإضافة في " جنكم " تقتضي المغايرة ، فلا يكون تفصيلاً بل إخراجاً للثقلين اللّذين يصح اتصاف كل منهما بالتقوى والفجور . ينظر : شرح الطيبي : 5 / 100 ؛ دليل الفالحين : 1 / 329 .

(6) الأُسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 135 .

ـ **حذف الفاعل** : موضع واحد.

قد تكون غاية حذف الفاعل تعظيماً له [1] ، أو لغرض بلاغي كالاختصار عندما يكون هناك دليل على حذفه [2] ، فيكون معلوماً لا حاجة لذكره . وقد ورد ذلك الحذف في حديث يرويه لنا ابن عمر (رضي الله عنهما) ، أن رسول الله (ﷺ) قال : ((**أُمِرْتُ أنْ أُقاتل الناس حتى يشهَدُوا أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأنَّ مُحَمَداً رسول الله ، ويُقيموا الصلاةَ ، ويُؤتُوا الزكاةَ ، فإذا فَعَلوا ذلك ، عَصِموا مِنّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّ الإسْلام ، وحِسابهُم عَلى الله**)) [3] .

من المعلوم أنه لا آمِرَ يأمر رسولنا الكريم (ﷺ) ، إلاّ خالقه ، فلا رتبة تعلوهُ سِواهُ . تبارك وتعالى . ، لذا حذف الفاعل ،وقد اختلف في سبب الحذف ،فقيل تعظيماً لله وقيل اختصاراً [4] ؛ لكونه معلوماً في الكلام فلا حاجة إذن لذكره وهو الأقرب إلى الصواب ، فضلاً عن أن حذف الفاعل من الحديث ،قد استدعى إبراز الحدث إلى القارئ وشدُّ انتباهه إلى الخبر المراد توصيله إليه ، وذكر الطيبي تعليقاً على حذف الفاعل من الحديث فقال : ومعلوم أنه إذا قال رسول الله (ﷺ) أُمرت ، وغيرها من الأفعال الدالة على الأمر : فهم منه ، إن الله تعالى أمره ، وإذا قاله الصحابي فهم أن الرسول (ﷺ) قد أمرهُ ، فإن مَنْ اشتهر بطاعة رئيس إذا قال ذلك فهم [5] .

وإنما خصصت الصلاة والزكاة بعد الشهادة بالذكر والمقاتلة عليها ؛ لأنهما أمَّاً للعبادات البدنية والمالية والمعيار على غيرهما والعنوان له [6] .

(1) ينظر : المقتضب ، المبرد : 2 / 79 .

(2) ينظر : الشامل ، معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، محمد سعيد ، بلال جنيدي ، ص 441 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان: باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلُّوا سبيلهم، ح(25).

(4) ينظر : إرشاد السارئ : 1 / 157 ؛ عمدة القارئ : 4 / 188 ؛ فيض القدير : 2 / 238 ؛ دليل الفالحين : 3 / 576 .

(5) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 128 ؛ وينظر أيضاً : فتح البارئ : 1 / 128 .

(6) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 128 ؛ ارشاد السارئ : 1 / 157 ؛ عمدة القارئ : 4 / 188 .

. **حذف المفعول** : موضعين .

قيل أن المفعول لما كان فضلة وتستقل الجملة بدونه فينعقد الكلام من الفعل والفاعل ، جاز حذفه وسقوطه [1] ، وعند ذلك يقدر المفعول في الكلام لفظاً ؛ لكنه مراد معنىً وتقديراً فيسمى (الحذف اختصاراً) ؛ لإفادة التعميم ، ولابدَّ مِنْ دليل يشير إلى حذفه [2] ، وقد ورد حذف المفعول في حديث عن رسول الله (ﷺ) عن ربَّه في الحديث القدسي : ((**... ولَئِنْ سألني لأُعطِيَنَّهُ ولَئِنْ استعاذني لأُعيذنه**)) [3] .

لقد جاءت هاتان العبارتان ختاماً للحديث القدسي ، جزاءً لقولٍ سبق الحديث بقوله : ((**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه**)). فعادة الحبيب مع محبوبه أن يسأله كُلَّ ما يُحِبَّهُ وكلَّ ما يريده منه إذا نالَ رضاهُ وإتَّبعَ أوامِرَهُ ؛ لذا استوجب حذف المفعول في كلتا العبارتين ؛ لاستيعاب كلَّ حاجات العبد من ربه ، ودون تحديدها أو تحديد المستعاذ منه ، نظراً لكثرتها ، ولعل القارئ يوافقني بالقول : انه لو ذكر المفعول في كلتا العبارتين فقيل ولئِنْ سألني إطعاماً أو رزقاً أو قيل لئِن استعاذني عذابَ القبر أو النارَ ،أو الشيطان وما إلى ذلك ؛ لما أفاد الحديث ،ما يفيدهُ عموم حذف المفعول به؛ فلو ذكر المفعول في العبارتين ؛ لأقتصر الحديث على تلك الحاجة فقط ، دون الحاجات الأخرى ، فبإمكان المتلقي أن يضع أيَّ حاجة يحتاجها من رَبِّه تحت المفعول المحذوف ، إذ إن الحذف " غاية يقصدها المبدع ... ومهمة المتلقي تأويل المحذوف وتعويض النقص ؛ لأكمال بنية النقص ، وهذا التأويل يعتمد على : وجود قرينة تحيل على المحذوف ، أو على التراكم المعرفي لدى المتلقي " [4] . فحذف المفعول من الكلام يأتي من أجل التوسع في دلالة النص إيحائياً ؛ ليترك الباب مفتوحاً أمام المتلقي حرية التعبير عن ذلك [5] ، وهناك غرض بلاغي آخر ، يمكن استنباطه من الحديث وهو الإيجاز ، فلو ذكر المفعول في كِلتا الجملتين ؛ لاحتاج صفحات عِدة لاستيعاب حاجات العبد ، وهذا ما لم يشر إليه شراح

(1) ينظر : شرح المنفصل : 1 / 362 ؛ همع الهوامع شرح جمع الجوامع : 3 / 12 .

(2) ينظر : همع الهوامع : 3 / 12 ؛ الشامل ، معجم في علوم اللغة العربية مصطلحاتها ، ص 447 ؛ معاني النحو : 2 / 584 .

(3) سبق تخريجهُ .

(4) المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ، ابراهيم محمد ، رسالة ماجستير ، ص 85 .

(5) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 133 .

الحديث ، وإنما اكتفوا بالقول أن حذف المفعول الثاني من الحديث ؛ لدلالة قوله : " سألني " عليه [1] .

ولا تفوتنا الإشارة بأن الخبر المستفاد من العبارتين قد أنزل المخاطب منزلة المنكر لـه ؛ لـذا أُكِّـدَ الخبـر بمؤكـدين : الأَول ، وَرَدَ بـلام الموطئـة للقسـم ، إذ قيـل أن لام " لئن " موطئة لقسم محذوف ، والتقدير : والله لَئِنْ ... " [2] فأفادت التأكيد . ونظراً لاجتماع الشرط والقسم في الحديث ، اقتضى حذف جواب الشرط ؛ لتقدم القسم دليلاً عليه [3] . الثاني : هو نون التوكيد الثقيلة : " لأُعطِيَنَّهُ ، لأُعيذنَّهُ " فنون التوكيد الثقيلة إذا دخلت على مضارع مستقبل ؛ أفادت التوكيد[4] .

. **حذف المضاف** : أربعة مواضع .

" حذف المضاف ضربٌ من الاتساع " [5] ، وهو سائغ حذفه في الكلام ، إذا لم يُشكل ؛ وإنما سوّغ حذفه ، الثقة بعلم المخاطب به ، إذ إن الغرض من اللفظ ، هو الدلالة على المعنى ، فإذا حصل المعنى بقرينة حالٍ ، أو لفظ آخر ، استُغني عن اللفظ الموضوع بإزائه اختصاراً [6] . وقد ورد ذلك الحذف في حديث عن رسول الله (ﷺ) عن ربه في الحديث القدسي : ((**... وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدي بشيءٍ أحَبَّ إليَّ مِمّا افترضتُهُ عليه ، ولا يزالُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حَتّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ ، ويده التي يبطشُ بها ورجلَهُ التي يمشِيَ بِها** ...)) [7] .

لقد أُستشُكِلَ كيف يكون الباري . ﷻ . سمع العبد وبصره ... ؟ وقد ذكر شراح الحديث وجوهاً للإجابة عن السؤال [8] :

---

(1) ينظر : دليل الفالحين : 2 / 267 .
(2) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 384 .
(3) ينظر : م . ن : 2 / 382 .
(4) ينظر : الجنى الداني ، ص 175 . 176 .
(5) شرح المفصل : 2 / 192 .
(6) ينظر : م . ن : 2 / 192 .
(7) سبق تخريجهُ .
(8) فتح الباري : 11 / 418 .

الأول : قيل أنه قد ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى : كنت سمعه وبصره في إيثاره امري ، فهو يحب طاعتي ويؤثِر خدمتي ، كما يُحب هذه الجوارح .

الثاني : أن المعنى أن تكون جوارحه مشغولة بي ، فلا يصغي بسمعه إلاّ بما يُرضيني، ولا يرى ببصره إلاّ ما أمرته به .

الثالث : المعنى ، اجعل له مقاصده ، كأنه ينالها بسمعه وبصره .. الخ .

الرابع : كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على أعدائه .

الخامس : وهو موضوعنا ، انه فيما يظهر على حذف مضاف ،رفعاً لشأنه ، أي " كنت حافظاً سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلاّ ما يحلُّ سماعه ،وحافظاً بصره ، فلا ينظر إلاّ ما يحلُّ إبصاره وحافظاً يده فلا يبطش بها فيما لا يحل،وحافظاً رجلهُ فلا يمشي بها إلاّ فيما يحل المشي إليه إما إيجاباً أو ندباً أو إباحة [1] .

فحذف المضاف في الحديث ، قد مَنَحَ النص شمولية أوسع فأعطاه قدرةً إيحائية أكبر، ففتح المجال أمام المتلقي في الاتساع والتأمل في تخيل كل المعاني المحتملة [2]كما لاحظنا ذلك ، فضلاً عن أن حذف المضاف في الحديث ، كأنه قد أنزل نفسه . تبارك وتعالى . ، من عبده منزلة الآلات والجوارح التي بها يدرك ويستعين [3] ولو ذكر المضاف لما أفاد تلك الفائدة التي أغنت الحديث ، ليصبح كناية عن نصر الله لعبده المتقرب إليه وإعانته له ، وتوليه جميع أموره في الدنيا [4] . ولا بدّ إلى الإشارة بأنَّ ابن حجر العسقلاني، قد وصف هذا الحديث بقولهِ: "هذا حديثٌ فيه نكارة ولولا هيبة الصحيح الّذي انفرد بهِ البخاري، لكان هذا الحديث ضعيف"[5]

أما حذف المضاف إليه ، فلا وجود له في أحاديث الكتاب ، ولعل السبب في ذلك ، هو " قلّة استعماله " [6] ؛ و" لأن المضاف يكتسي منه تعريفاً وتخصيصاً فحذفه يخلُّ

(1) ينظر : فيض القدير : 2 / 305 ؛ دليل الفالحين 1 / 305 .
(2) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 134 .
(3) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 305 .
(4) ينظر : م . ن : 1 / 305 ؛ 2 / 267 .
(5) فتح الباري: 418/11.
(6) البلاغة التطبيق ص189.

بالكلام ؛لإذهاب فائدته بخلاف المضاف نفسه ، فإنه لا يخل حذفه من جهة أن المضاف إليه يذهب بفائدته ويقوم مقامه " [1] .

. **حذف المبتدأ** : تسعة مواضع .

" المبتدأ مع أنه ركن أساسي في الجملة ، إلاّ أنه قد يحذف إن دلّت عليه قرينة ، ولم يتأثر المعنى بحذفه ... " [2]؛احترازاً عن العبث ، بترك مالا ضرورة لذكره [3] ، وبسبب قوة القرائن على حذفه ، صار حذفه كالتلفظ به ، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ ، جاز أن لا يُؤتى به ويكون مراداً حكماً وتقديراً [4] ، " مما يكسب الكلام قوةً وجمالاً " [5] . وسنختار حديثين قد ورد فيهما حذف المبتدأ :

الأول : برواية الحارث بن عاصم الأشعري (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : ((**... كلُّ الناسِ يَغْدو ، فبائعٌ نفسَهُ فمعتِقُها ، أو مُوبقُها**)) [6] .

نلاحظ ، أن في الحديث حذفاً ، وهذا الحذف عائِدٌ إلى المبتدأ ، تاركاً الخبر في سياق الحديث : " بائعٌ " ، وقد أكد الطيبي ذلك ، بقوله : أن قوله (ﷺ) " فبائع " خبرٌ لمبتدأ محذوف ، تقديرهُ ، فهو بائعٌ نفسه [7] ، ولعل السبب البلاغي الكامن وراء حذفه ، هو دلالة سياق الحديث عليه ، بقرينة أن المبتدأ يكثر حَذفهُ بعد فاءَ الجزاء ، كما في الحديث ، ومعلوم أن المحذوف ، إن دَلَّ عليه قرينة تشير إلى حذفه ، كان ذكرهُ في الكلام ، أشبه ما يكون زائِداً عليه ؛ فإحترازاً عن العبث وذكر مالا فائدة منه ، كونه معلوم من السياق ، تَمَّ حذفه ، وبحذفه قد جعل الاهتمام متوجهاً إلى غرض الحديث المرجو إيصاله إلى السامع ، وذلك أن الإنسان إما مُنَجِّياً لنفسه من عذاب النار أو مهلكها في النار ، والنتيجة متوقفة على اعماله ، صالحة أو طالحة .

أما الحديث **الثاني** : فهو برواية عبد الله بن مسعود (ﷺ) ، وقد ورد حذف المبتدأ فيه في الأربعين الأخيرة من خلق ابن آدم في بطن أمه ، بعد نفخ الروح فيه، بقوله

([1]) م.ن، ص189

(2) الإيجاز في العربية ، آمال الزين ، بحث منشور في شبكة الأنترنيت على موقع موجات W W W . mojat , Com :

(3) ينظر : الشامل ، معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 444 .

(4) ينظر : شرح المفصل 1 / 239 . 262 .

(5) الشامل ، معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 444 .

(6) سبق تخريجهُ .

(7) ينظر : شرح الطيبي : 2 / 5 .

(ﷺ) : ((**... وَيُؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وأجلِهِ ، وعملِهِ ، وشقيٌّ أو سعيد ...**)) [1] .

لقد تكلم عبد القاهر الجرجاني على حذف المبتدأ عندما حلل بيتاً شعرياً ، مناسباً للحديث الذي نحن في صدده . أعني حذف المبتدأ في الحديث . والبيت الشعري كان لبكر بن النطاح منشداً :

غَضَبِي وَلا وَاللهِ يَا أَهْلَهَا لا أَطْعِمَ البَارِدَ أو تَرْضَى

إذ يقول معلقاً على البيت : " التقدير هي غضبي أو غضبي هي لا محالة ، إلاّ انك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار المحذوف ،وكيف تأنس إلى إضماره، وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رميت التكلم به " [2] . وكذلك الحال في الحديث النبوي الشريف ، فلو ذكر المبتدأ ، فقيل : وهو شقي أو هو سعيد ، لما أفادهُ ما يفيده حذف المبتدأ من توافق فواصله وجمال إيقاعه وكيف أن النفس سلطت الضوء على حدث كتابة شقاوة الإنسان أو سعادته،وجلبت انتباهها . بحذف المبتدأ . على ذلك الحدث ، لاسيما أنه معلومٌ لدى السامع ، فلا حاجة لذكره ، وقد أشار الطيبي إلى ذلك ، فقال : عدل عن ذلك ، حكاية لصورة ما يكتبه ، لأنه يكتب شقي أو سعيد،فالكلام مسبوق إليهما [3] . وهو يقصد بذلك قوله : " ويُؤمر بأربع كلمات " . أي أمر الله . تعالى . على الجنين قبل الولادة بتلك الكلمات والتي من ضمنها ، كونه شقي أو سعيد .

. **حذف الخبر** : موضع واحد.

كما أن لحذف المبتدأ غرضاً وهو الاحتراز عن العبث في الكلام ، ووجوب أن يكون هناك قرينة على حذفه ، كذلك الحال بالنسبة لِحَذف الخبر [4] ، ومنه ما ورد عن رسول الله (ﷺ) ، مخاطباً مُعاذ ابن جبل (رضي الله عنه) ، قال : ((**أَلا أَدُلُّكَ عَلى أبْوَابِ الخَيْرِ ؟ الصُّومُ جُنَّةٌ ، والصَّدقةُ تُطْفِئُ الخَطيئة ، كَما يُطفي الماءُ النارَ ، وصَلاةُ الرجلِ**

(1) سبق تخريجهُ .

(2) دلائل الإعجاز ، ص 177 .

(3) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 239 .

(4) ينظر : شرح المفصل 1 / 239 ؛ الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 445 .

فِـي جَـوْفِ اللَّيـلِ ، ثُـمَّ تَـلا : ﴿ تَتَجَـافَى جُنُـوبُهُمْ عَـنْ الْمَضَـاجِعِ﴾ حَتَّـى بَلَـغَ : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ " [1] .

فمن الملاحظ أن قوله : صَلاة الرجل في جوف الليل ، كلام منقطع ويحتاج إلى خبر، ولكن المتمعن في الحديث ، يجد أن الخبر قد حذف ؛ لدلالة السياق السابق عليه ، ـ جملة : تطفئ الخطيئة . الواقعة خبراً للمبتدأ : " صدقة " ، فقال الطيبي : " وصلاة الرجل " مبتدأ ، خبره محذوف ،أي : صلاة الرجل في جوف الليل كذلك تطفئ الخطيئة ويجوز أن نقول كذلك من أبواب الخير ، والأول أظهر ؛ لاستشهاده (عليه الصلاة والسلام) بالآية الكريمة ، فهي متضمنة للصلاة والإنفاق . ويقول أيضاً : ويعضدهُ تقيد القرينتين السابقتين أي الصوم والصدقة ، بفائدتين زائدتين ؛ وهي : الجنة وإطفاء الخطيئة ؛ لأن الظاهر أن ينال أبواب الخير : الصوم والصدقة لا غير ، ولما قيدنا ذلك بالقرينتين ،ينبغي أن يقيد قوله " وصلاة الرجل في جوف الليل " بخبر محذوف تقديرهُ : شعار الصالحين [2] . فأجرى خلاف الظاهر ، إذ إن الظاهر أن يقال شعار صلاحه فعدل إلى العموم ؛ للمبالغة [3] ، وحينئذٍ سيفيد فائدة مطلوبة زائدة على القرينتين . وهذا هو سر بلاغة حذف الخبر عندما يفتح لنا مجال التأمل وتأويل الخبر المناسب للمبتدأ ، فلو ذكر الخبر ، لما أفادنا ما يفيدهُ عموم حذفه .

. حذف الموصوف : موضع واحد.

القياس عند النحاة : أن الموصوف يأبى حذفه ؛ لأن الصفة والموصوف كالشيء الواحد من حيث البيان والإيضاح [4] ، إلاّ أنه قد يحذف إذا ظهر أمرهُ ، وقويت الدلالة عليه ، إما بحالٍ أو لفظ [5] ، وقد ورد ذلك في حديث يرويه لنا عبد الله بن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ) ، بقوله : **((بُنِيَ الإسلام على خَمْسٍ : شهادَةِ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأنَّ مَحَمَداً رسولَ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجِّ البيتَ وصومَ رمضانَ))** [6] .

---

(1) سبق تخريجه .

(2) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 176 .

(3) ينظر : التبيان في البيان ، الطيبي ، ص 439 .

(4) ينظر : شرح المفصل : 2 / 253 .

(5) ينظر : م . ن : 2 / 253 .

(6) سبق تخريجهُ .

لقد اختلف في تقدير الموصوف المحذوف ، فقيل أن المراد القواعد ، ويكون التقدير على قواعد خمس [1] ، إذ استبعد شرّاح الحديث أن يكون تقدير الموصوف بـ " أركان " ؛ والسبب في ذلك ، أن قوله : " خمس " ، قد خلت من التاء ، ولو أُريد الأركان ؛ لإلتحقت به [2] .

أما الطيبي ، فقد ذهب إلى أن قوله : " خمس " لا تخلو من أن تكون قواعد البيت ، أي أساسه ، أو أن تكون أعمدة الخباء جمع عمود ، وليس الأول ؛ لكون القواعد على أربع فيتعين الثاني [3] .

وقيل أن " تقدير " خمس " وصفاً ، أقرب من تقديره مضافاً ؛ لجواز حذف الموصوف إذا عُلِمَ بخلاف المضاف إليه " [4] ، وكما بيّنا ذلك . وهكذا أثار حذف الموصوف من الحديث مجال التأمل وتأويل ما يناسب ذلك الحذف ، ليتماشى مع تطورات اللغة على مَرِّ العصور،وكي يكون ذلك الحذف أشد تعلقاً في ذهن المخاطب،ذكر بعد الصفة : " خمس "ما يُفسر الموصوف المحذوف ، " ... فأصبحت الصفة كالعلم الذي يدل عليه وإن اختلفت تقديراً " [5] .

أمّا حذف الصفة ، فقيل لا يحسن حذفها ؛ " لأن الغرض من الصفة إمّا التخصيص ، وإما الثناء والمدح ، وكلاهما من مقامات الإطناب والإسهاب ، والحذف من باب الإيجاز والاختصار ... " [6] ، وهذا ما لم نجده في أحاديث الكتاب .

3 . حذف الجملة : ثلاثة مواضع .

يقول سيبويه (ت 180 هـ) : " ان العرب تترك في مثل هذا الخبر ـ [وهو يقصد بذلك جواب الجملة] . في كلامهم ؛ لعلم المخبر لأي شيءٍ وضع هذا الكلام " [7] . وهو يقصد بذلك علم المخاطب بالمحذوف ودلالة السياق عليه ، لغرض

(1) ينظر : فيض القدير : 3 / 271 .
(2) ينظر : فيض القدير : 3 / 271 .
(3) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 105 .
(4) فيض القدير : 3 / 271 .
(5) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، ص 94 .
(6) شرح المفصل : 2 / 253 .
(7) الكتاب : 1 / 283 .

الاختصار[1]. " فقد تحذف الجملة من الكلام ... ، كالجواب عن سؤال : هل أنت سعيد ؟ تقول نعم ... " [2] .

وقد وجدنا ذلك الحذف في أحاديث الكتاب ، على الرغم من تحديد بعض الباحثين ذلك الحذف بكتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فقيل : " ... ولا نكاد نراهُ إلاّ في كتاب الله تعالى " [3] . وهم يعللون السبب في ذلك بأن الجملة لما كانت ذات فائدة مستقلة ، فإن حذفها سيحدث خللاً في المعنى ونقصاً في الغرض المقصود ، لذلك حُدِّدَ في كتاب الله تعالى [4] .

ومثل هذا القول يجعلنا نتساءل : أليست أحاديث نبينا (ﷺ) ـ والتي عجز البشر عن الاتيان بأسلوب فصاحتها وبلاغتها ، وباحتوائها على أمور غيبية أخبرنا بها (صلوات الله وسلامه عليه) ـ بقادرة على اتيان الجملة ، وقد حذف صدرها أو عجزها ؟ .

وهذا السؤال ، يجعلنا نختار أحاديثاً من الكتاب ؛ لتؤكد لنا ورود ذلك الحذف في أحاديثه (ﷺ) .

ولِنبدأ أولاً بما يدلل على حذف جواب الشرط وقد ورد ذلك في سؤال جبريل (عليه السلام) لرسول الله (ﷺ) عن الإحسان ، فأجابه بالقول :((**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**)) [5] .

فقد يتوهم القارئ : أن قوله " فإنه يراك " جواب شرطٍ لفعل الشرط : " إن لم تكن تراهُ " ، وهذا بالتأكيد ، ليس هو المراد ؛ لأن فعل الشرط ، ينبغي أن يكون سبباً لوقوع الجزاء ، كما نقول : إن جئتني أكرمتك ، فإنَّ المجيء هو السبب للإكرام [6] وعدم المجيء سبب لعدم الإكرام ، وفعل الشرط في الحديث : " إن لم تكن تراه " لم يكن سبباً لوقوع جواب الشرط " فإنه يراك " ؛ لأن الرؤية ـ أي رؤية العبد لربِّه ، ليست محققة بسبب رؤية الله ـ تعالى ـ ، فإن الله تعالى يراهُ، سواء أكان هناك رؤية من العبد لربه أم لا ، ومعلوم أن

(1) ينظر : تأويل مشكل القرآن ، ص 284 .
(2) الحذف والإضمار في العربية ، آمال الزين ، بحث منشور في شبكة الأنترنيت على موقع موجات :
W W W . mogat , Com
(3) البلاغة والتطبيق ، ص 195 .
(4) ينظر : البلاغة والتطبيق ، ص 195 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 360 .
(5) سبق تخريجه .
(6) ينظر : شرح المفصل : 2 / 235 .

القاعدة عند النحاة : " إذا كان الجواب ، لا يصلح أن يكون شرطاً وجب اقترانه بالفاء ، وذلك كالجملة الأسمية ... " [1] كما في الحديث الذي نحن في صدده ، لذا يكون تقدير الحديث بحذف جوابه المقدر ، كما قال ابن حجر العسقلاني : " فإن لم تكن تراهُ فاستمر على احسان العبادة فإنه يراك [2] . وقدّر الطيبي الحديث " ... فاعلم قولي ؛ فإنه يراك " [3] .

وهكذا يكون " حذف اعجاز الكلام ، مع المحافظة على سلامة النص من الخلل ، والإبقاء على وحدته وتماسكه ووضوحه ، من شأنه أن يفتح مجال الاتساع أمام المتلقي في تخييل الدلالة الإيحائية وتصوير المعاني المحتملة ، والذي يؤدي بالتأكيد إلى تحقيق الغرض الذي يرمي إليه ... " [4] الرسول (ﷺ) في توكيد المعنى وترسيخه في نفس المتلقي ، ومثل هذه الحقائق قد سبق الإشارة إليها من قبل البلاغيين وأكَّدوها ، عندما ذهبوا إلى أن الإتساع بالأعجاز أولى منه بالصدور [5] .

ومثل هذا نجده أيضاً في حديث يرويه لنا جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنهما):أن رجلاً سأل رسول الله (ﷺ) ، فقال : ((**أَرَأَيْتَ إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوباتِ ، وَصمْتُ رَمَضانَ ، وأَحَلَلْتُ الحَلالَ ، وَحرّمْتُ الحَرّامَ ، وَلَمْ أَزِد عَلى ذَلِكَ شَيْئاً ، أَدخُلَ الجَنةَ ؟ . قالَ : نَعَمْ**)) [6] .

إذ ورد حذف الجملة هنا إختصاراً في قوله (ﷺ) : " نعم " والمحذوف هنا هو جملة فعلية ، تقديرها : " تدخل الجنة " ، فالحذف ، كان لأجل توصيل الإجابة وبأسرع ما يمكن ؛ لأن السائل جاء متلهفاً لدخول الجنة ، وحتى لا يتعسر عليه ذلك أو يستثقل عليه طول الإجابة،جاء الرد بلفظ واحد ؛ ليترك ما يكمل البشارة النبوية بحذف الجملة ، متعلقة في ذِهنِهِ ، وبإمكان العبد أن يعمل بأعمال الحديث فقط وينال البشارة النبوية بدخوله الجنة .

أمّا فيما يخص حذف الجمل ، فلا وجود لَهُ في أحاديث الكتاب .

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 2 / 375 .
(2) فتح البارئ 1 : 159 .
(3) شرح الطيبي : 1 / 95 .
(4) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 131 .
(5) ينظر : المثل السائر : 2 / 313 . 314 ؛ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 131 .
(6) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان الّذي يدخل به الجنة، ح(15) .

القسم الثاني . الإطناب :

الإطناب لغةً واصطلاحاً : الإطناب : مصدر أطنب ، إذا بالغ في كلامه وطال ذيولهُ لإفادة المعاني [1] . أما **إصطلاحاً** : " فهو زيادة اللفظ على المعنى لِفائدة جديدة " [2] .

فالإطناب يتخذ طرقاً ومسارات عديدة ؛ لأجل الوصول إلى عرض المعنى بصور مختلفة ، فكل طريقة ، إنما يتوارى خلفها مقصدية ذهنية تضيف إلى المعنى الأول بُعداً جديداً وترسخُ من فاعلية المعنى الأَول بالدلالة الأولى [3] . لذا وقف العلماء وقفة المتأمل في تلك الطرق ؛ لاستنباطها من نظم الكلام ، باحثين عن أسباب زيادة اللفظ على المعنى وما تؤدِّيه من أغراض بيانية . والناظر في أحاديث الكتاب ، يجد أن الإطناب قد ورد في اثني عشر موضعاً توزعت بين الطرق الآتية :

1 . الإيضاح بعد الإجمال : موضع واحد .

يمكن القول بأن هذه الطريقة ، تُعَدُّ من أبرز طرق الإطناب ، وذلك لما تحمله من بنية نحوية، تُبرز المعنى بطريقتين مختلفتين ، تتمثل الأولى ، بإبراز المعنى بصورة مجملة ، تدفع السامع متشوقاً إلى الطريقة الثانية ، التي تبرز لَهُ المعنى مفصلاً وموضحاً لذلك المعنى المجمل؛لإبرازه بصياغة أفضل وأقرب إلى المراد ، وبذلك يتحقق سرعة إيصال المعلومات وانطباعها في ذهن المتلقي،لأنها ذكرت (مَرَّتين) ، وهذا بالتأكيد أفضل مما لو ذكر المعنى ، دفعةً واحدة ، وهذا هو أسلوبه (ﷺ) في توصيل المعاني إلى السامعين ،ونظراً لما تحمله هذه الطريقة ، من بلاغة ، تبرز لنا روعة أسلوب الرسول (ﷺ) ، وتفننه في توجيه المعنى ، سنختار حديثاً يرويه ابن عباس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ): ((**إِنَّ الله كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَيِئاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذلك ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلَها، كَتَبَها اللهُ عندَهُ حسنةً كاملةً، وَإِنْ هَمَّ بِها فَعَمِلَها،كَتَبَها الله عندهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ،إلى سَبْعِمِأئَةِ ضعفٍ،إلى أضعاف كثيرة.وإِنْ هَمَّ بسَيئِةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها ، كَتَبَها اللهُ عِندهُ حَسَنَةً كاملةً ، وإنْ، هَمَّ بِها فَعَمَلِها ، كَتَبَها اللهُ سَيِئَةً واحدة**)) [4] .

---

(1) ينظر : أساس البلاغة : 2 / 81 ؛ لسان العرب : 2 / 617 .

(2) المثل السائر : 2 / 129 ؛ الطراز : 2 / 230 .

(3) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم . أنماطه ودلالاته ، وفاء فيصل ، أطروحة دكتوراه ، ص 100 .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق: باب من همَّ بحسنةٍ أو سيئة، ح(6126).

هذا الحديث ، يتضمن أخباراً ، تحدث في عالم الغيب وهي حقائق ربانية ينقلها لنا الرسول (ﷺ) ، فهي بالتأكيد تُقدم إلى المخاطب . وهي تحتاج لمؤكدات تُأكدها . كونه لا علم لَهُ فيها ، فكانت بداية الحديث بأداة التوكيد : إنَّ " ؛ لتنزيل المخاطب منزلة الشاك أو المتردد في قبول الخبر .

ولما أراد الرسول (ﷺ) اثبات أن حدث كتابة الحسنات والسيئات ، قد فرغ منه ، بلا تبديل أو تعديل ، اتبع أداة التوكيد : " إنَّ " بأفعال تدلُّ على المضي : " كتب " . " بَيَّنَ " ؛ لتأكيد وقوع الخبر المراد توصيله إلى السامعين . لا سيما وأن اقترانه باسم الاشارة : " ذلك " قد أكد لنا،بيان أحكام كتابة الحسنات والسَّيِّئات للملائكة ، " ... حتى عرفوهُ واستغنوا به عن الاستفسار كُلَّ وقت كيف يكتبونه " [1] .

ولا شك أن القارئ ، بحاجة إلى تفصيل ما أُجمِلَ في مقدمة الحديث ، متشوقاً لما تبديه من قول ينطوي تحتها ، ولتضعه في موقف المتسائل عن تلك الأحكام وبيانها . وهذه خِصِّيْصَة تدل على بلاغة الرسول (ﷺ) وتفنُّنِهِ في صياغة مقدمة حديثه ، وقد أكَّد القزويني : أن المعنى إذا ألقاه المتكلم على سبيل الإجمال ،تشوق السامع إلى معرفته تفصيلاً وإيضاحاً ، فيصغِيَ إلى ما يرد بعدهُ ، وإذا ما ألقاهُ إليه تفصيلاً ، تمكن فيه فضل تمكن، فكان شعوره به أتمُّ [2] . لا سيما وأن سيطرة أسلوب الشرط والجزاء في حكم فاعل الحسنة أو السيئة ، على الحديث ، قد وضع النفس أمام الشرط ، مُتخَيِّرةً لتنال عن طريقه الجزاء الإلهي ، مُعززاً ذلك ، تعاقب حرف العطف : " الفاء " في الجمل بين الحين والآخر ؛ ليُؤَدي مهمته في ربط الجمل التي لا تصلح أن تكون جواباً للشرط ، مِمَّا أضفى على الحديث سرعة في إيقاع حدثه صعوداً أو نزولاً وبالعكس ، فضلاً عن " استخدام الترغيب والترهيب ، في حديثه ، وكما استخدمه القرآن الكريم ، لإثارة الدافع إلى طاعة الرسول(ﷺ)وضرورة العمل بالعبادات والتكاليف المفروضة، وتجنب المعاصي ، والابتعاد عن كلِّ ما نهى عنه الله ورسوله " [3] ،فهو يخبرنا لإفادة معرفتنا،أن الهمَّ بالحسنة حسنة كاملة وإن لم يعملها الإنسان؛"لأن الهم بالحسنة سبب إلى عملها ، وسبب الخير خير " [4] . وهذا بالتأكيد دافع قوي ، يدفع بنا إلى عمل الحسنة ، وما يزيد ذلك الدافعُ قُوةً

(1) دليل الفالحين : 1 / 68 .
(2) ينظر : الإيضاح ، ص 111 . 112 .
(3) الحديث النبوي وعلم النفس ، ص 172 .
(4) دليل الفالحين : 1 / 69 .

، هو البشارة الإلهية ، في تَضَاعف عمل الحسنة إلى عشر أمثالها وإلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة ، وقيل أن الاستفادة من ذكر الحسنة هنا والمضاعفة في عملها ، هو اختصاص المضاعفة بمن عمل دون من نوى ، فهما في الأصل سواء وإن اختص العامل بالتضعيف [1] . وقيل أيضاً " أن العمل الذي يضاعف إلى سبعمائة ، خاص بالنفقة في سبيل الله ... " [2] ، أمّا قوله : " إلى أضعاف كثيرةً " ، فلقد استفيد منه أن " كثيرة " هنا : " وإن كانت نكرة ؛ إلاّ أنها أشمل من المعرفة ، فتقتضي لهذا ، أن يحسب توجيه الكثرة على ما يمكن " [3] ؛ لقوله . تعالى . : ﴿ **وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [4] ، وهنا يَتَآزَرُ الإطناب مع التأكيد ، والذي ورد بقوله : " عنده " إشارة إلى الشرف ومزيد من الاعتناء ، وقوله : " كاملة " إشارة إلى تعظيم الحسنة وتأكيد أمرها،ودفع توهم نقصها [5]؛ لكونها نشأت عن الاهم المجرد ، فكأنه قيل بل هي كاملة ، لا نقص فيها ، " وعكس ذلك في السيئة ، فلم يصفها بكاملة ، بل أكَّدها بقوله : " واحدة " ، إشارة إلى تخفيفها ، مبالغة في الفضل والإحسان " ؛ وفي الحديث إخبارٌ وبإسلوب الإيماء *، بأن " المَلِكَ يطلع على ما في قلب الآدمي، إمّا بإطلاع الله إياه ، أو بأن يخلق له عِلْماً يدرك به ذلك، وقيل بل يجد الملك للسيئة رائحة خبيئة ، وللحسنة رائحة طيبة ... " [6] ، ولمزيدٍ من تحقير عمل الإنسان للسيئة ؛ لم يقل " عنده "، كما في عمل الإنسان للحسنة؛ لذا كان من المؤكد ، انحسار الإطناب ، بل وحتى انعدامه ، عندما ذكر السيِّئَةَ ؛ وهذا يوحي بضرورة تجنبها والابتعاد عنها ، كما ابتعد عن الإطناب في ذكرها .

---

(1) ينظر : م . ن : 1 / 69 .

(2) فتح البارئ : 11 / 394 .

(3) دليل الفالحين : 1 / 68 .

(4) سورة البقرة ، الآية (261) .

(5) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 5 / 131 ؛ فتح البارئ : 11 / 394 .

* هو نوع من أنواع الكناية، الذي قلت وسائطهُ ، مع وضوح الملزوم . ينظر: مفتاح العلوم ، ص 543 ؛ فنون بلاغية ، ص 377 .

(6) فتح البارئ : 11 / 394 ؛ فيض القدير : 2 / 313 .

2 . عطف الخاص على العام : خمسة مواضع .

غرضٌ يرميه المتكلم ، بتنويع ذكر الخاص بعد العام ، اهتماماً به وتنبيهاً على فضله ، وقد ورد ذلك الفن الإطنابي في حديث يرويه لنا معاذ (ﷺ) ، عندما سأل الرسول (ﷺ) عن عملٍ يُدخله الجنة ، فأجابه بقوله : ((**لقد سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وإنَّه لَيَسيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليه : تَعبدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وتُقيمُ الصلاة، وتُؤتي الزكاةَ ، وتَصومُ رمضان ، وتحجُّ البيتَ**)) [1] .

من الوسائل التي إعتاد عليها رسول الله(ﷺ) هو التمهيد للإجابة بمقدمة قصيرة تعجل بالحكم ، وتنبه السائل ، على فخامة المسؤل عنه ؛ لذا أَكَّدَها تأكيداً بليغاً وعظّمها غاية التعظيم ، وكذا كلما قصد أن يجيب عن سؤال ، جعل له تمهيداً وتوطئة؛ ليمكنه في الذهن ويوطنه فيه [2] ؛ إذ أخرج قوله : " لقد سألتني عن عظيم " مخرج الخبر الإنكاري لما رأى (ﷺ) في معاذ شائبة الإنكار من التهاون في السؤال [3] ، فتوالت التأكيدات في قوله : " وانه ليسير على من يسره الله عليه " ، بينما أخرج قوله : " تعبد الله لا تشرك به شيئاً " مخرج الخبر الابتدائي لأن معاذاً كان خالي الذهن غير عالم بالخبر المقدم لهُ [4] ، ومما يزيد الحديث بلاغةً ، هو حُسْن استخدام الظاهر والمضمر فيه ، فقوله : لا تشرك به ، إما عائد إلى الله . تعالى . أو على ما دَلَّ عليه قوله " تعبد الله " ، لكن الثاني أولى ؛ بينما أقام الظاهر مقام المضمر في قوله : " تعبد الله " إشعاراً باستحقاقه لها أو بتعظيم الأمر [5] . وقرن قوله : " لا تُشرك به شيئاً " ، بقوله : " تعبد الله " ودون العطف بالواو ؛ " ... لأن الكفار كانوا يأتون بصورة عبادة الله ـ تعالى . في بعض الأشياء ويعبدون أيضاً الأوثان وغيرها ، ويزعمون أنهم شركاء فنفى ذلك " [6] . وهنا يظهر دور الإطناب ، وذلك بتواشج عطف الجمل تخصيصاً بذكر أهم موجبات العبادة وأفضل ما ينوي به التقرب إلى الله . تبارك وتعالى . في عبادته، بَعْدَمَا عَمَّمَ بالعبادة ، فقال النووي : يُحتمل أن المراد بالعبادة هو معرفة الله ، فيكون عطف الصلاة والزكاة والصوم والحج ؛لادخالهم في الإسلام، ويحتمل أن يراد بالعبادة ، الطاعة

(1) سبقَ تخريجهُ .
(2) ينظر : التبيان في البيان ، ص 441 .
(3) ينظر : م . ن ، ص 436 .
(4) ينظر : م . ن ، ص 436 .
(5) ينظر : م . ن ، ص 437 .
(6) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 7 / 157 .

مطلقاً . وهو الأصح . فيكون عطف الصلاة والأمور الأخرى على العبادة من عطف الخاص بعد العام [1] ؛ لكونها أظهر شعائر الإسلام [2] ، وتنبيهاً على عظمتهم ورفعاً لمنزلتهم عند الله ﷻ . أوردهم بصيغة الفعل المضارع ، ليشير إلى ضرورة تجدُّد واستمرار العبد في تأديتهم دون انقطاع .

ومنه أيضاً ، نطالع حديثاً يرويه لنا العِرباض (ﷺ) ، عن رسول الله (ﷺ) ((**... أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، والسَّمعِ والطَّاعةِ ...**)) [3] . فتقوى الله ، هو شعور في الضمير ، وحالة في الوجدان ، ينبثق منها اتجاهات وأعمال عديدة تتوحد بها المشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة ، وتصل الإنسان بالله في سره وجهره [4] ، مما تجعل الإنسان ،ممتثلاً بأوامره ، مُجتنباً نواهيه، ومن ثَمَّ أراد الرسول (ﷺ) تخصيص أهم موجبات التقوى وذلك بعطف " السمع والطاعة " على التقوى ، كما يعطف الخاص بعد العام لمزيد من الاهتمام [5] ،ومن هنا قال ابن جني : عطف الخاص بعد العام ، يأتي لميزة يتمتع بها ذلك الخاص ؛ لأنه يدخل في جملة العام [6] .

3 . التكرار : تسعة مواضع .

التكرار من أقوى طرق الإقناع عند علماء النفس [7] ، وخير الوسائل التي تركز الرأي والعقيدة الإسلامية في النفس البشرية ، فالتكرار : هو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أم مختلفاً أو يأتي بمعنى ثم يعيده [8] . ومنه ، حديث يرويه لنا أبو هريرة (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) ، قال :

(1) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 7 / 157 ؛ شرح الكرماني : 1 / 195 ؛ إرشاد الساري : 1 / 204 .

(2) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 217 .

(3) ح (28) ، ص 196 .

(4) في ظلال القرآن ، سيد قطب : 1 / 41 .

(5) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 414 .

(6) ينظر : المحتسب : 2 / 53 .

* هذا الحديث قد سبق تحليله في صفحة : 43 و 72 .

(7) ينظر : الحديث النبوي وعلم النفس / ص 176 .

(8) ينظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية ، ص 111 ؛ المثل السائر : 2 / 156 . 157 .

((مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخر ، فليقُلْ خَيْراً أوْ لِيَصْمُتْ ، ومن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فليُكرم جارهُ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخر ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)) [1] .

من سنن الرسول (ﷺ) أن يبدأ أحاديثه ، بمقدمة تستثير السامع لكلامه ، وبخطاب مباشر يوجه لهُ ، إبتدأ بأداة الشرط " مَنْ " ؛ ليسيطر على الحديث أسلوب الشرط والجزاء في العمل ، وتصعيد الحدث ، لدرجة شمول جملة فعل الشرط لأهم ما يقتضي الإيمان به ، فقال ابن حجر العسقلاني : " وخصه بالله واليوم الآخر ، إشارة إلى المبدأ أو المعاد ، أي مَنْ آمن بالله الذي خلقه وآمن بأنه سَيُجازيه بعمله ... " [2] ، مِمّا يوقظ النفس ويحرك الهمة إلى المبادرة إلى امتثال وتأدية الغرض الذي يريده (ﷺ) في حديثه وأول هذا الغرض هو القول خيراً أو السكوت عنه ، فقال النووي : معناهُ إذا أراد أن يتكلم بخير محقِّقٍ يثاب عليه، واجباً أو ندباً ، فليتكلم به، وإن لم يظهر لَهُ أنه خيرٌ فليمسك عن الكلام ، سواء أظهر أنه حرام أو مكروه أو مُباح [3] ؛ولعل السبب في مجيء الأفعال المضارعة وسيطرتها على الحديث ؛ لتأكيد ضرورة استمرار وتجدد إيمانه بالله واليوم الآخر، بتجدد حدوث الأمور المخصصة في الحديث ، لا سيما وإنها قد اقترنت بلام الأمر ، للدلالة على الوجوب في التعامل مع تلك الأمور . وأراد الرسول (ﷺ) تقرير مَبْدَأ إكرام الضيف ، فكان من الممكن ، الاقتصار على جملة فعل الشرط مَرَّة واحدة والاكتفاء بها ، تعبيراً عن جُمَلِ الشرط الثلاث ، ولكن تكرارها جعل كل جملة من جمل الشرط " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر "، مستقلة بنفسها، فإستحضار المعنى المستنبط من جملة فعل الشرط وتكرارها أكثر من مرة ، قد عظم شأن ، " الجار " ، وكذا في تكراره مرة ثالثة بشأن " الضيف " ، مما يخلق موقفاً شعورياً وانفعالياً [4] تجاه صاحب الجار ومكرم الضيف ، وخصوصاً وأنهما قد اقترنا بمدى إيمانه بالله واليوم الآخر ، وبذلك يمكن تحقيق أكبر قدر من الاستجابة بتلك الأداة اللغوية التي أفادت تقرير المعنى في النفس وإنطباعه في الذهن .

وهكذا كان التكرار ، مُلبياً لحديثٍ قيل عنه ، انه من جوامع الكلم ، لأن الأمور الثلاثة المخصصة في الحديث ، هي الأصول ، فالأول منهما إشارة إلى القولية ، في

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأدب: باب إكرام الضيف وخدمتهِ، ح(5784) .

(2) فتح البارئ : 10 / 548 .

(3) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 1 / 189 .

(4) ينظر : التكرار في الشعر الجاهلي . دراسة أسلوبية . ، موسى ربابعة ، (مجلة مُؤتة للبحوث والدراسات ، مج 5 ، ع 1 ، 1990) : 160 .

ضرورة التخلي عن الرذائل إما قولاً بالخير أو سكوتاً عن الشر، والثاني والثالث منهما، إشارة إلى الفعلية ، وذلك في ضرورة التحلي بالفضائل والشفقة على خلق الله ، أما فعلاً لما ينفع أو تركاً لما يضر الجار ويؤذيه [1] .

وقد يخرج التكرار ، إلى أغراض بلاغية ، كالتلذذ في ذكر المكرر ، ومنه ما ورد عن عمر (رضي الله عنه) ،قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ((**إنَّما الأعْمالُ بالنِيَات ، وإنَّما لِكُلِّ إمرِئٍ مَا نَوى ، فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله ، وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصِيبُها أو إمرأَةٍ يَنْكِحُها فهجرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إليه**)) [2] .

فالتكرار النبوي ، له دلالته الفنية التي لا يسبر غورها ، إلاّ صاحب الفهم الثاقب والذوق السليم في استنباط جماليات النص المكرر ، ولعل القارئ يتبادر في ذهنه : لماذا كَرَّرَ قوله : " فهجرته إلى الله ورسوله " في حينَ لم يكرر عندما ذكر الهجرة إلى الدنيا أو المرأة ؟، ولنبدأ الإجابة أولاً بعلماء النفس وما استنتجوه بدراساتهم النفسية وما توصلوا إليه ، مِنْ أن التكرار خيرُ وسيلة يُثَبَّت بها المعلومات والمهارات ، ويساعد على جودة التذكر ، سواء أكان التكرار بالألفاظ أم بالأعمال [3] .

وهذا القول هو قريب من قول علماء البلاغة ، أن التكرار هو خير وسيلة لتثبيت المعنى وانطباعه في النفس ، فالرسول (ﷺ) ، عندما أراد أن يرفع شأن المهاجر إلى الله ورسوله ، أعاد اللفظ مرة أخرى ؛ ليثبت جزاء من قصد ذلك في نفسه استلذاذاً بذكره وتعاطفاً معه "، " ولم يقل ... فهجرته إليهما، وإن كان أخصر، بل أتى بالظاهر ، فقال فهجرته إلى الله ورسوله " وأجيب : بأن ذلك من آدابه(ﷺ) ، وفي تعظيم اسم الله ﷻ ، أن لا يجمع مع ضمير غيره ... " [4] . ويمكننا استنباط غرض آخر يفرزه لنا التكرار " ... فالجملة اللاحقة مؤكدة للسابقة ، فيكون ذكر الحُكم بالأولى وتأكيده بالثانية ؛ تنبيهاً على سرِّ الاخلاص وتحذيراً من الرياء المانع من الخلاص ، وقد علم أن الطاعات في أصل صحتها وتضاعفها مرتبطة بالنيات ، وبها ترجع إلى خالق

(1) ينظر : شرح الكرماني : 1 / 156 .
(2) سبق تخريجهُ .
(3) ينظر : الحديث النبوي وعلم النفس ، ص 186 .
(4) عمدة القارئ : 1 / 59 .

البريات " [1] ، لذا عَدَّ شراح الحديث [2] هذه العبارة ، كناية عن شرف الهجرة وكونها بمكانة مرموقة عنده . تعالى . أو كونها مقبولة مرضية ، فلا اتحاد بين الشرط والجزاء ؛ لأنهما وإن اتحدا لفظاً لكنهما مختلفا معنىً .

في حين لم يكرر اللفظ بعينه عندما ذكر الهجرة للدنيا أو المرأة ، حَثّاً على الإعراض عنهما وعدم الاحتفاء بشأنهما ، وتنبيهاً على أن العدول عن ذكرهما ابلغ في الزجر عن قصدهما [3] . وثمة إشارة في حكمة التغاير في التعبير هنا بـ " اللام وإلى " والذي استفيد منه ، أن مَنْ كانت هجرته لأجل تحصيل ذلك كان هو نهاية هجرته لا يحصل له غيره ، حتى عُدَّت هذه العبارة ،كناية عن تحقير الهجرة وعدم قبولها .

أمّا عن سبب تخصيص المرأة مع العلم أنها داخلة في مسمى الدنيا ؛ فأجيب : من وجوه [4] :

الأول : أنه لا يلزم دخولها في هذه الصيغة ؛ لأن لفظة " دنيا نكرة ، وهي لا تعم في الإثبات ، فلا تقتضي دخول المرأة فيها .

الثاني : أنه للتنبيه على زيادة التحذير، لأنها أعظم أسباب فتنة الدنيا ، فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام . وهذا القول يحتاج إلى وقفة للنقاش ، إذ إن عطف الخاص بعد العام يختص بحرف العطف : الواو ، ولا يختص بالحرف الوارد في الحديث : " أو " ؛ لذلك ذهب بعضهم إلى أن الأجود ، جعل " أو " للتقسيم دون العطف لجعلها قسماً مقابلاً للدنيا ، إيذاناً بشدة الافتتان بها [5] ، وبهذا القول يخرج قول القائل أن العبارة من عطف الخاص على العام .

(1) ارشاد الساري : 1 / 77 .
(2) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 44 .
(3) ينظر : فيض القدير : 1 / 43 .
(4) ينظر : عمدة القارئ : 1 / 60 .
(5) ينظر : فيض القدير : 1 / 42 .

4 . التتميم : موضع واحد .

من طرق الإطناب ، التتميم ، " وهو أن يؤتى في كلام ، لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة " [1] لتقرير المعنى في النفس البشرية [2] . وقد ورد التتميم في حديث يرويه لنا وابصة بن معبد (رضي الله عنه) ، قال : أتيتُ رسول الله (ﷺ) ، فقال : ((**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قال : إستَفْتِ قلبكَ ، البِرُّ ما إطْمَأَنَّتْ إليه النفسُ ، واطمَأنَّ إليه القلبُ ، والإثمُ ما حَاكَ في النَّفسِ وَتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ، وإنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وأفتوكَ**)) [3] .

من الملاحظ أن هذا الحديث . كما هو مبين . يُمجد لنا الحكم القلبي عند الإنسان وجعله الآمر والناهي بمؤازرة النفس في اتخاذ الأمور والتدابير التي تطرأ على المسلم، وبتحديد علامات توجِّهَهُ إلى برِّها أو إثْمِها ، وتصعيد المعنى ، لدرجة دحض الفتوى ، وانكارها إذا كان القلب لا يميل لها والنفس لا تطمأن لها ، فكثرة الفتوى ، قد تعسر على السائل ما يُريد الوصول إليه لاسيما في زمن تكثر فيه الفتاوى ، مما يؤدي إلى تضارب في وجهات النظر لسؤاله ، مما يحدث قلقاً نفسياً ، نتيجة لتصارع تلك الوجهات مع ما يميل إليه القلب أو تَطْمَئِنُّ له النفس ، وهنا يظهر دور التتميم في حسم النتيجة لصالح القلب والنفس في اتخاذ الأمور التي ينبغي اتخاذها ، فقال الطيبي : " وإن أفتاك الناس وأفتوك ... شرط قطع عن الجزاء ، تتميماً للكلام السابق وتقريراً له على سبيل المبالغة " [4] ، إذ يصف لنا الطب النبوي علاجاً مناسباً ، يُثلجُ فيه صدور السائلين، فعن طريق القلب والنفس تتلاشى فيه جميع الفتاوى ؛ لأن الناس إنما يَطَّلعون على ظواهر القلوب المتمثل باللسان ،لا خباياها وأسرارها الكامنة فيها والتي لا يَطَّلع عليها،إلاّ صاحبها بعد خالقها؛ لذا كان من الأَولى تغليب أوامرها ونواهيها على سائر الفتاوى ، فقيل أنَّ على قلب المؤمن نوراً يتقد ، فإذا ورد عليه الحق التقى هو ونور القلب حتى يمتزجا ويأتلفا ، فيهش القلب حتى يَطْمَئِنَّ له ، وإذا ما ورد عليه الباطل ، نفر نور القلب ولم يُمازجه حتى يضطرب في عدم الطمأنينة لَهُ [5]،ومما يزيد من بلاغة التتميم ، هو اقترانه بالتأكيد

(1) الإيضاح ، ص 116 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 388 .

(2) ينظر : الفوائد المشوق في علوم القرآن وعلم البيان ، ص 90 .

(3) سبقَ تخريجهُ .

(4) شرح الطيبي : 6 / 22 .

(5) ينظر : فيض القدير : 3 / 285 .

اللفظي ؛ لتقرير المعنى ، إذ وحَّد الفعل الأول " أفتاك " ؛ لإسناده إلى ظاهر ، واعادَهُ مَرَّة أُخرى بصيغة الجمع : أفتوك ؛ لإسناده إلى ضمير الجمع [1] .

والتتميم يبرز لنا أيضاً أدب الخطاب النبوي مع العلماء ، إذ إنه لم يصرح بذكرهم ، مع أن مقام الحديث لهم ؛ لأن ذلك مشعر بإنحطاط منزلتهم في نظر الناس ، وعدم الاقتداء بتعاليمهم والامتثال بأوامرهم ، وهذا مالا يُريده الرسول (ﷺ) ، وإنما خص الناس بالذكر ؛ لأن الفتوى مرض اجتماعي يُصاب به كثير من العامة التي تصدر الفتوى دون علم مسبق لها .

5 . التذييل : ثلاثة مواضع .

التذييل : هو تعقيب الجملة ، بجملة تشتمل على معناها للتوكيد ، ولتحقيق دلالة المنطوق الأول ومفهومه ؛ فيكون معه كالدليل عليه [2] . ومنه ما ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : ((**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمن كُربَةً مِنْ كُرَب الدُّنيا ، نَفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً من كُربِ يومِ القيامةِ ، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُنْيا والآخرة ، ومَنْ سَتَرَ مُسلِماً ، سَتَرَهُ الله في الدنيا والآخرة ، والله في عونِ العبد ما كانَ العبدُ في عون أخيه ...**)) [3] .

لمّا كان محور الحديث وأساسه يدور حول جزاء مَنْ قام بتنفيس أو تيسير أو ستر المسلم ؛ أحكم على جمل الحديث أسلوب الشرط والجزاء ، ؛ ولتجسيد تلك الأعمال وغرسها في نفوس المسلمين ، ينقلنا السياق إلى ما يدلُّ على الثبوت والدوام باستخدام الجملة الأسمية ؛ ليُشير إلى ثبوت ودوام الحكم الإلهي على العبد في قوله : " والله في عون العبد " ، إذا ثبت دوام الخبر وهو المصدر المؤول في قوله : " ما دام العبد في عون أخيه " ، لا سيما وان هذه الجملة قد وقعت موقع التذييل لجمل الشرط السابقة ، لتأكيد العناية الإلهية بضمون تلك الجمل ، فقال الطيبي : " والله في عون العبد " تذييل للسابق ؛

(1) ينظر : شرح الطيبي : 6 / 24 .

(2) ينظر : البرهان في علوم القرآن : 3 / 68 ؛ الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، ص 278 .

(3) سبق تخريجهُ .

لاشتماله على دفع المضرة عن أخيه المسلم ، وعلى جلب النفع له ... " [1] . فالجملة التذييلية في الحديث ، قد أغنت الحديث من جانبين :

الأول : أنها مثّلت تركيباً جملياً تام المعنى ، يقدم حقيقة إخبارية جديدة إلى المتلقي .

الثاني : التذييل بجملة تتمتع ببناء تركيبي دلالي تام المعنى ، ترسخ الفهم لدى المتلقي ، وتضم معلومات تعزز المعنى السابق لها وتؤكِّدهُ من خلال عقد الترابط الدلالي فيما بينهما [2] .

ولمّا كان التذييل ، يمكن أن يجري مجرى المثل ، جاءت تلك الجملة وقد أجريت ذلك المجرى ، فإذا ما مَرَّ المسلم بموقف يعين فيه أخاه المسلم ، جاءت تلك الجملة التذييلية مُشجعة ذلك الموقف ومحفزة للقيام به ، فأخرجت مخرج المثل التي تُردِّدَهُ الألسنة في مثل تلك المواقف ، وهذا ما يحقق الأهداف السامية وترسيخها في نفوس المسلمين ، إذ إن من الوظائف الأساسية للتذييل الجاري مجرى المثل ، هو تقرير حقيقة المعنى العام وتوجيهه على نحوٍ يحقق الترابط بالمتقدم [3] مما يضفي عليه وظيفة نصحية وإرشادية .

(1) شرح الطيبي : 1 / 238 .

(2) ينظر : الإطناب في القرآن الكريم . أنماطه ودلالاته ، وفاء فيصل ، أطروحة دكتوراه ، ص 242 .

(3) ينظر : م . ن ، ص 243 .

المبحث الأول

التشبيه

المبحث الأول

التشبيه

التشبيه لغةً : قيل أن التشبيه يعني المماثلة ، كما جاء في لسان العرب : أن الشِّبْه والشَّبه والشَّبيهُ : المِثلُ ، وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثلهُ ، والجمع أشباه [1] .

التشبيه اصطلاحاً : للتشبيه مفاهيم عِدَّة ، وهي وإن اختلفت لفظاً؛ إلاّ أنها متفقة معنىً، وأشهر هذه المفاهيم جرياً على اللسان أنه : " الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنىً " [2] ، أو أكثر من المعاني . فَحّدُّ التشبيه أن تُثبت للمشبَّه حُكماً من أحكام المشبه به قصداً للمبالغة " [3] .

ولا شك أن للتشبيه أثراً عظيماً في التعبير عن المعاني ، ونقل الأفكار وإمتاع النفوس بالصور والأخيلة ، وفخامة أمره في فنون البلاغة ، وتقريب الكلام إلى الأذهان والسُّمو به من أرض الواقع إلى فضاء الخيال [4] . فلما كان الرسول (ﷺ) مبعوث لحمل رسالة عامة لأُمه ، تعتز بفصاحتها وبلاغتها ، اعتمد الوسائل الفنية في البيان ، وخصوصاً التشبيه ، كونه من أبرز وسائل الإيضاح والتأثير في نفوس المخاطبين ، يلائم فيه مقتضى الحال في مهمته الإيلاغية والتعليمية ؛ لذلك كثر في أحاديث الكتاب ، فالناظر في تلك الأحاديث ، يجد أنه قد ورد في ثلاثة عشر موضعاً . وقد اعتمدنا مبدأ الانتقاء من تلك المواضع، لنحيل الأخرى في جدول إحصائي لها،آخذين بنظر الاعتبار، منهج البلاغيين في تقسيمهم لهُ ، فاعتمدت التسلسل نفسه وكما يأتي :

1 . التشبيه المفرد .
2 . تشبيه الجمع .
3 . التشبيه البليغ .
4 . التشبيه التمثيلي .

---

(1) ينظر : لسان العرب : 13 / 503 .
(2) الإيضاح ، ص 120 .
(3) جوهر الكنز ، نجم الدين بن الأثير ، ص 55 .
(4) ينظر : الإيضاح ، ص 121 ؛ علم اساليب البيان ، غازي يموت ، ص 183 .

1 . التشبيه المفرد :

وهو ما كان طرفاه مفردين ، إذ ينتج من تشبيه شيءٍ واحدٍ بشيء واحد ، وذلك بأن تقصد نفس تلك الحقيقة المجردة مع قطع النظر إلى غيرها [1] .

وقد ورد هذا النوع من التشبيه في موضعين من أحاديث الكتاب ، وقد اخترنا أحدهما للدراسة إذ نطالعه بسؤال جبريل (عليه السلام) لرسول الله (ﷺ) عن الإحسان فأجابه : ((**أنْ تعبُدَ الله كأنَكَ تَراهُ ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ ، فإنَهُ يراك**)) [2] .

قبل البدء بدراسة التشبيه النبوي ، يجدر بنا أولاً أن نعرف ما المراد بالإحسان والآراء التي قيلت عنه . إذ جاء في لسان العرب ، أن الإحسان : " ضد الأساءة " [3] . وهو مصدر، تقول : أحسن يُحسن إحساناً ، وأحسنت العمل إذا أتقنته [4] . وقيل أيضاً ، أن الإحسان : هو " التحقق بالعبودية على مشاهدة الربوبية بنور البصيرة " [5] . فلما كان التشبيه هو فتح باب على المجهول من خلال المعلوم[6]،نلاحظ أن الرسول (ﷺ) عقد لنا معادلة تشبيهية تجسد لنا أمراً معنوياً وهو الاحسان الذي هو الاخلاص في نية العبادة [7] ، لينقل السامع عبر مشبه به محسوس ومعلوم ، مبتدئاً بأداة تفيد التأكيد : " أن " مستخدماً ما يدل على حضور وتجدد العبادة بفعل المضارع : " تعبد " ، الذي جاء منسجماً ومتناسقاً مع الحديث . ولعل تأويل التشبيه " بأن تعبد الله مشبهاً بمن يراه " [8] هو أمر مردود؛لأن الإنسان بطبيعته البشرية،لا يستطيع رؤية الله . تبارك وتعالى . ، " فهو يراهُ يقيناً ولا يراه حقيقة ولهذا قال : " كأنك تراه " [9] .

(1) ينظر : المثل السائر : 2 / 137 ؛ الطراز : 1 / 354 ؛ البلاغة والتطبيق ، ص 293 .
(2) سبق تخريجهُ .
(3) لسان العرب : 13 / 117 .
(4) ينظر : فتح البارئ : 1 / 159 ؛ عمدة القارئ : 1 / 445 .
(5) التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، ص 19 .
(6) ينظر : من أساليب البيان ، ص 56 .
(7) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 7 / 158 ؛ المثل السائر : 2 / 341 ؛ فيض القدير : 1 / 702 .
(8) شرح الكرماني : 1 / 196 .
(9) التعريفات ، ص 19 .

فضلاً عن أن الرسول (ﷺ) ، قد أحسن اختيار أداة التشبيه : " كأن من بين أدوات التشبيه الأخرى،لأنها تمنع رؤية الله تعالى. وهكذا يتضح لنا أن الرسول (ﷺ) . والله أعلم بالمراد . قد قصد من رؤية الله هنا الرؤية العقلية وليست البصرية ، فليس هناك إنسان يرى الله . تبارك وتعالى . ، أمام عينيه حتى نشبه آخر به . وهذا ما يذكرنا بطلب موسى (عليه السلام) برؤية الله . تعالى . كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي** ﴾ [1] ، فأجابه إجابة قاطعة بأنه لن يستطيع ذلك . وعليه يكون تقدير جملة التشبيه : " الإحسان عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك ،مثل حال كونك رائياً له،وهذا التقدير أحسن وأقرب للمعنى ... " [2]. والرسول (ﷺ) عندما أحسَّ أن هناك مَنْ يفتقد لمرتبة الإحسان الأولى المستنبطة من جملة التشبيه ، هبط إلى المرتبة الثانية بإستخدامه جملة الشرط ، فهناك مَنْ يعبدَ الله لا لكونه يراهُ يقيناً، بل لكونه مراقب منه ، مطلع عليه في السر والعلانية .

2 . تشبيه الجمع :

" هو تعدد المشبه به دون المشبه " [3] ، ويمكن أن يُعَدَّ هذا النوع من التشبيه ، مظهراً من مظاهر الاستيعاب والتقصي لعناصر المشابهة ، فضلاً عن قوة الملاحظة والبراعة في الجمع بين الأشياء المناسبة والقدرة على نظمها في سلك قصير [4] .

ولابدَّ من الإشارة ، بأن تشبيه الجمع ، لم يرد إلاّ في موضع واحد من أحاديث الكتاب ، نطالعه فيما يرويه لنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال : أخذ رسول الله (ﷺ) بمنكبي فقال : ((**كُنْ في الدُنْيا كَأَنَكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ**)) [5] .

---

(1) سورة الأعراف ، الآية (43) .

(2) عمدة القارئ : 1 / 445 .

(3) معجم المصطلحات البلاغية : 2 / 188 .

(4) ينظر : فن التشبيه ، علي الجندي : 2 / 147 .

(5) سبق تخريجهُ .

لنبدأ برواية الحديث وما تشيره لنا دلالة أخذ المنكب من شدة اتصال الرسول (ﷺ) بالمخاطب عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) تعبيراً عن المحبة والمودة القائمة بينهما " وهكذا عادته (صلوات الله عليه) في مؤانسة جُلسائه " [1] .

فالحديث النبوي ، يرسم لنا بالصورة والكلمة الدنيا وحال المقيم فيها ، مبتدئاً بفعل الأمر : " كن " الذي أضفى على الحديث ، إيقاعاً بنبرة شديدة ، يهجم على القلب فيهزه هزّاً عنيفاً ، يجعل السامع أكثر انتباهاً ومتشوقاً في الوقت نفسه " لمعرفة مفعول " كُنْ " الذي يأتي تشبيهاً " [2] ، للدنيا والواقع جملة لمقول القول المتكونة من " كأنك غريب أو عابرُ سبيلٍ " .

ولنقف متأملين لتلك الجملة التي احتضنت طرفي المشبه بهما ، وما لها من دلالات نفسية، فالغريب : " هو البعيد عن وطنه ،وهو النفي من البلد " [3]. والرسول (ﷺ) ، عندما أحسَّ أن الغريب ، قد يسكن دار الغربة ، أعقب الحديث بمشبه به ثانٍ وهو عابر السبيل " وهو المسافر الذي انقطع به وهو يريد الرجوع إلى بلده، ولا يجد ما يتبلغ به ، فله في الصدقات ، نصيب " [4] . فالعبور لا يستلزم الغربة والمبالغة فيه أكثر ، ولأن تعلقاته أقل من تعلقات الغربة ، فعابر السبيل يكون قاصداً للبلد الشاسع ، وبينه وبينها أودية مهلكة ، فهل له أن يقيم لحظة أو يسكن لمحة ؟ والتقدير حينئذٍ يكون : بل كن كأنك عابر السبيل وليس كالغريب [5] .

ويبدو لي أن الجامع ما بين المشبه (الإنسان) والمشبه بهما (غريب وعابر سبيل) هو عدم التعلق بالدنيا إلى درجة الاغترار بها ونسيان الآخرة التي هي الأوْلى بالتعلقِ بها.

أما إذا لم يجد مصدر رزقٍ ، رجع إلى موطنه خائباً ، فكذلك الدنيا ، يجب أن تكون مصدر رزقٍ للآخرة ولكن ليس بالمال بل بالأعمال الصالحة والتزود بالتقوى فهي طريق موصل للآخرة التي تنتظرنا ، إلاّ أن الفرق ما بين تلك الحالتين ، أن المسافر يعلم كم

(1) من كنوز السنة . دراسات أدبية ولغوية في الحديث النبوي ، محمد علي الصابوني ، ص 60 .
(2) التشبيه في الحديث النبوي ، سعد عبد الرحيم ، رسالة ماجستير ، ص 130 .
(3) لسان العرب : 1 / 639 .
(4) م . ن : 1 / 639 .
(5) ينظر : شرح الطيبي : 3 / 341 ؛ فتح الباري : 1 / 281 .

مضى من وقته وكم يبقى له للرجوع ، فذلك أمر متروك لهُ ، أما الإنسان في الدنيا يعرف كم مضى من عمره لكنه لم يعرف كم بقي منهُ فذلك أمر متروك لله وحده ، لذلك كان هذا الحديث جدير بأن يطلق عليه اسم " قصر الأمل " [1] .

3 . التشبيه البليغ :

تشبيه ، يحذف فيه وجه الشبه والأداة [2] ، وبلاغة هذا التشبيه ، تقتضي الاختصار من جهة والتأمل والتأويل في إيجاد معنىً يناسب فيه وجه الشبه المحذوف ؛ من جهة أخرى لذا سُمِّيَ بليغاً ، وهو من أعلى مراتب التشبيه بلاغةً عند السكاكي [3] .

وقد ورد هذا النوع من التشبيه في ستة مواضع من أحاديث الكتاب . وسنختار حديثاً للدراسة ، يرويه لنا الحارث بن عاصم (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : **((الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ ، والحمد لله تملأُ الميزانَ ، وسُبحان اللهِ والحمدُ للهِ تملآن ما بين السماءِ والأرضِ ، والصلاةُ نورٌ والصدقةُ برهانٌ ، والصبرُ ضياءٌ ...))** [4] .

فقوله (ﷺ) : " الصلاة نورٌ ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء تشبيه بليغ حذف فيه وجه الشبه والأداة ، مما جعل المشبه والمشبه به متساويين متحدين، فلا حدود أو فواصل تفصلهما . وهذا ما يفسح المجال أمام المتلقي؛ ليبحث عن الصفات المشتركة التي تربط المشبه بالمشبه به،فلما كان النور يهدي الإنسان إلى طريق الصواب ، فيجنبه الوقوع في عثرات الطريق ، فكذلك الصلاة فهي تهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم وتجنبه عثرات الشياطين ، ولما كانت الصلاة هي : " سبب لإشراق أنوار المعارف ، وانشراح القلب ، ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيها ، وإقباله على الله ظاهراً وباطناً " [5] ، شبّهت بالنور مبالغة في التشبيه . ولما كان البرهان هو الحجة الفاصلة القاطعة لِلَدَدِ الخصم[6] يثبت بها براءته أمام القاضي وقت مُحاكمته، فتنجيه من العقاب ، فكذلك الصدقة هي حجة و " دليلُ على صحة إيمان صاحبها " [7] أمام الله يوم القيامة ، فتنجيه

(1) ينظر : ارشاد الساري : 13 / 416 .
(2) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : 2 / 180 .
(3) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 584 .
(4) سبق تخريجهُ .
(5) شرح الطيبي : 2 / 4 .
(6) ينظر : لسان العرب : 13 / 51 .
(7) م . ن : 13 / 51 .

من عذاب النار، " فإذا سُئِلَ العبد يوم القيامة عن مصرف ماله ، كانت صدقاته ، كبراهين لهُ في الجواب " [1]. وقيل أيضاً أن الصدقة توسم المتصدق بسيماء يعرف بها، فتكون برهان ، فلا يسأل عن المصرف [2]، ولما كان الصبر يعني الحبس وهو نقيض الجزع [3] ، وهو بلا شك شاق مؤلم لصاحبه حتى نجده قد قدم على الصلاة في القرآن الكريم ؛ لعظم أجره وثوابه عند الله . تبارك وتعالى . * فأراد الرسول (ﷺ) أن يشبِّهَهُ بالضياء " لأن الصبر، به تتجلي المصائب والكربات، وتتكشف كما إنَّ للضياء ضوء يكشف الأشياء ويبينها.

وتتضح بلاغة التشبيه النبوي ،بإختياره النور والضياء،لأنهما يقعان على الابصار في كل زمان ومكان ، وهذا ما أكد عليه عبد القاهر الجرجاني عندما قال : " إنَّ مما يقتضي كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دورانه على العيون، ويدوم تردُّدَهُ في مواقع الأبصار وأن تدركه الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات ... " [4].

وقد ورد التشبيه البليغ أيضاً في قوله (ﷺ) : ((**الصَّومُ جُنَّةٌ**)) [5] ، خطاباً لمعاذ (رضي الله عنه) عندما سأله عن أبواب الخير .

إذ نلاحظ أن هذا التشبيه ، لا يختلف ببنيته التركيبية عن بنية التشبيه السابق من حيث صياغته بجملة اسمية متكونة من مبتدأ وخبر ، تفيد الثبوت والدوام في الأحكام المستنبطة منها . فالرسول (ﷺ) ، أراد أن يبين لمعاذ ، فضيلة الصوم والمزايا التي يتمتع بها الصَّائم ، فشبهه بالجنة والتي تعني في اللغة : السترة [6] ، ومما يعزز بلاغة هذا التشبيه ، هو حذف أداتَهُ ، فكان من الممكن أن يقول (ﷺ) : الصوم كالجنة ، ولكن حذف الأداة ، أبلغ ، إذ يجعل المشبه عين المشبه به ، ومن ثم يتيح للطرف الثاني

(1) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 1 / 405 .
(2) ينظر : شرح الطيبي : 2 / 4 .
(3) ينظر : لسان العرب : 4 / 438 .
* كقوله تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ﴾ . سورة البقرة ، الآية (5) .
(4) أسرار البلاغة ، ص 143 .
(5) سبق تخريجهُ .
(6) الصحاح ، الجواهري : 5 / 2094 ؛ مفردات ألفاظ القرآن ، ص 203 ؛ مختار الصحاح ، الرازي ، ص 114 .

من التشبيه ، أن يأتي أشهر من الأولى وأقوى إثارة في النفس [1] . فضلاً عن أن حذف وجه الشبه منه ، قد فتح باب التأويل على المتلقي في إيجاد جامع يجمع الصوم بالجنة . فلما كانت الجُنة ، هي السترة ، كأن يستتر بها الجندي في المعركة ؛ لصد العدو ومنع ضرباته فهي حصن مَنيع له ، فكذلك الصوم سلاح صاحبه الجوع وهو حصن منيع له من سهام الشيطان ومعاصيه،مِمّا يحول دخول الشيطان إلى مجاري الدم ؛ لقوله (ﷺ) : ((**إنَّ الشَّيْطان يَجْري مَجْرَى الدَّم مِنَ ابن آدم ، فَضَيِّقوا مَجاريهِ بِالصُّوم**)) [2] . فالجامع إذن ما بين الصوم والجنة هو " منع من إصابة المكروه ، إذ التقدير : الصوم كجنة في الوقاية " [3] .

4 . التشبيه التمثيلي :

وهو ما كان وجه الشبه فيه مركباً أو منتزعاً من أمور متعددة ، حسياً أو عقلياً، وهو ما ذهب إليه الخطيب القزويني وجمهور البلاغيين ، إذ أنهم لا يشترطون في التشبيه التمثيلي غير الوجه ، وهذا هو المذهب المشهور [4] . والناظر في أحاديث الكتاب يجد أن نصيب هذا النوع من التشبيه قد ورد في أربعة مواضع من تلك الأحاديث ، وسنختار ثلاثة منها للدراسة .

فمن وسائل الإيضاح التي يتذرع بها المعلم لتقرير دراسته ، بما لا يدع للتلميذ مجالاً للنسيان ، أن يسلك مسلك التشبيه التمثيلي [5] . وهذا ما كان يسلكه (صلوات الله عليه) أمام أصحابه لتقرير مبادئ الشريعة الإسلامية .

ولنبدأ دراستنا لهذا النوع من التشبيه ، بحديث عظيم ، عُدَّ من جوامع كلمه (ﷺ)، وأحد الأحاديث الذي عليه مدار الإسلام ، كما يقول الطيبي (ت 743 هـ) [6] ، إذ نطالعه فيما يرويه لنا أبو عبد الله بن بشير * (رضي الله عنهما) ، قال : سمعت رسول

(1) ينظر : الرمزية والأدب العربي الحديث ، أنطوان غطاس محرم ، ص 160 . 161 .

(2) ينظر : الجمع بين الصحيحين ، محمد بن فتوح ، ح (2130) .

(3) التبيان في البيان ، ص 442 .

(4) ينظر : الإيضاح ، ص 127 ؛ معجم البلاغة العربية ، بدوي طبانة : 3 / 8 . 9 ؛ معجم المصطلحات البلاغية : 2 / 185 .

(5) ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 155 .

* هو النعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي المصري، له ذكر في تأريخ مصر، روى عنه عبد الله بن هبيرة الشيباني. ينظر: الإصابة: 116/4.

(6) ينظر : شرح الطيبي : 6 / 7 .

الله (ﷺ) ، يقول : ((**إنَّ الحَـلالَ بَـيّن وإنّ الحرام بَـيّن ، وَبَيْنَهُما أمورٌ مُشْتَبِهات لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ الناس ، فَمَنِ اتقى الشُّبُهات فَقَدْ استبرأ لِدينِهِ وعِرضِهِ ، ومَنْ وَقَعَ في الشُبُهاتِ وَقَعَ في الحَرامِ ، كَالراعي يَرْعى حَوْلَ الحِمى يُوْشِك أنْ يَرْتَع فيهِ ، ألا وإنّ لِكُلِّ ملكٍ حِمَى ألا وإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ . ألا وإنَّ في الجَسَدِ مَضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، ألا وهِيَ القَلْبُ**)) [1] .

فالرسول (ﷺ) ، يحدثنا في هذا الحديث بأوجز لفظ وأبين عبارة عن المعنى الذي يريد توصيله للسامعين ، مستخدماً ما يؤكد كلامه ويقرِّرَهُ عن طريق حرف التوكيد " إنَّ " الذي جاء مُكَرَّراً ومنسجماً في جمل متناسقة أخذت أطراف بعضها البعض ، فـ " الحلال والحرام إما بَيِّنٌ لا خلافَ فيه عند العلماء ، وإما أن يكون خافياً يتجاذبه وجوه التأويلات ، فكل منهم يذهب فيه مذهباً [2] ؛ لذا عرف علماء اللغة ، " المشتبهات " بالمشكلات والمتماثلات [3] في الأمور لتشابهها ، فيجب على المسلم ، أن يكون يقظاً في التعامل معها . ولنركز على هذا القول الذي أخذ طرف المشبه من التشبيه ؛ لنلحظ فيما بعد ما العلاقة التي تربطه مع المشبه به .

فمن الملاحظ إنَّ الرسول (ﷺ) ، لم يقل : لا يعلمها جميع الناس ؛ وإنما قال " لا يعلمها كثير من الناس " ؛ وذلك لأنَّ بعض الناس من يعرفها، ألا وهم العلماء، إما بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك ، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ، ولم يكن فيه نص ولا اجتماع ، اجتهد المجتهد ، فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي ، فإذا ألحقه به صار حلالاً ، وقد يكون دليله غير خالٍ عن الاحتمال البيّن ، فيكون الورع تركه ، ويكون داخلاً في قوله(ﷺ): " فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه "، " أي : حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي ، وصان عرضه عن كلام الناس فيه " [4] ، وإنما عطف العرض على الدين ؛ " ليفيد أن طلب براءته منظور إليه كالدين " [5] .

أما قوله (ﷺ) ، : " فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام " ، فقد قيل أنه يحتمل وجهين :

---

(1) أخرجهالبخاري في كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه، ح(52) .

(2) المثل السائر : 2 / 134 .

(3) ينظر : لسان العرب : 13 / 503 .

(4) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 3 / 1648 .

(5) فيض القدير : 3 / 563 .

الأول : أنه " من كثرة تعاطيه الشبهات ؛ يصادف الحرام ، وإن لم يتعمده ، وقد يأثم بذلك إذا نُسب إلى تقصير " [1] .

الثاني : قول الشريف الرضي (ت 406 هـ) : " أنه يريد به التحذير من الالمام بشيءٍ من صغائر الذنوب لِئلاّ يكون مجرياً على الوقوع في كبائرها والتهويل في مكاضمها ... " [2] . فالمعاصي بريد الكفر ، أي تسوق إليه ، كما يقول الإمام النووي (ت 676 هـ) [3] .

فالرسول (ﷺ) لم يكتف ببيان تلك الأمور المعنوية التي يريد توصيلها إلى السامعين ، بل أراد ان يُجسم تلك الأمور بلفظ وجيز قريب لأذهان الجالسين معهُ ، لا سيما وإن هذا اللفظ جاء مستقاة من حياة المخاطبين الرعوية الذين كانوا يعرفون أوصاف الراحلة . بقوله (ﷺ) : " كالراعي يرعى حول الحمى " وهي جملة مستأنفة وردت على طريقة التمثيل للتنبيه بالشاهد على الغائب ، وقوله " كراع " ، خبر مبتدأ محذوف تقديره : مثله كراع [4] .

وهنا تكمن بلاغة التمثيل التي كما يراها الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت471 هـ) " في أنه يجيء في أعقاب المعاني ، فيضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعوة القلوب لها ... " [5] .

فالرسول (ﷺ) ، " كان معلماً لأصحابه ومربياً ، وقد سبق في تعليمه لهم أحدث ما توصل إليه علماء التربية الحديثة من طرق ووسائل ، فهو يغتنم الفرص والمناسبات ويضرب لهم الأمثال ، وينقل لهم المعنى المجرد إلى محسوس ومشاهد ويتخولهم بالموعظة ويخاطبهم بما تقتضيه حاجتهم وتدركه ... " [6] .

والتمثيل بالرعي حول الحمى نكتة وهي " أن ملوك العرب تحمي مراعي لمواشيها، وتتوعد على من يقربها بالعقوبة الشديدة ، والخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته خوف

(1) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 3 / 1649 .
(2) المجازات النبوية ، ص 270 .
(3) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 3 / 1649 .
(4) ينظر : فتح البارئ : 1 / 170 ؛ إرشاد الساري : 1 / 209 ؛ عمدة القارئ : 1 / 463 .
(5) أسرار البلاغة ، ص 93 .
(6) (أنترنيت) ، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد ، دون مؤلف ، وعلى الموقع :
W W W . islamic Start. Ovg .

الوقوع ، وغير الخائف يقرب منها ويرعى في جوانبها ، فلا يأمن من أن يقع فيها من غير اختياره ، فيعاقب على ذلك [1] .

ويبدو لي أن وجه الشبه الحاصل ما بين المشتبهات من الأمور والرعي حول الحمى هو قوله (ﷺ) : " ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإنّ حمى الله محارمه " . فكما أن الراعي إذا جَرَّهُ رعيه حول الملوك ، استحق العقوبة بسبب ذلك ، فكذلك من يقرب حدود الله التي حدّها لهم من امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، لأن الحد : " هو النهاية ، التي إذا بلغها المحدود له امتنع " [2] ، فَمَنْ أكثر المُشتَبهات وتعرض لمقدماتها وَقَع في الحرام ، فاستحق العقوبة بسبب ذلك . ثم يختم الرسول (ﷺ) حديثه بجمل شديدة الصلة بجملة التشبيه ، عُبّر عنها بأسلوب الاستعارة . وهذا ما سنتناوله في المبحث القادم .

وقد ورد التشبيه التمثيلي أيضاُ ، في قوله (ﷺ) : ((**الصدقة تُطفئ الخطيئة ، كما يُطفئ الماءُ النارَ**)) [3]،فمن أبواب الخير التي يقررها الرسول (ﷺ): " الصدقة " وهي نوع من أنواع التكافل الاجتماعي ، يساعد الإنسان الغني بها ، الإنسان الفقير المحتاج لها .

ولما كان الإنسان ، دائم التعرض لمعاصي الشيطان ، جعل الله لنا ما يمحو تلك المعاصي ، عن طريق الصدقة ، لا سيما وإنَّ اقتران حكم ذهاب الخطيئة بالفعل المضارع : " تطفئ " قد جعل ذهابها متحققاً ومتجدّداً كلما أعطيت الصدقة . الرسول (ﷺ) عندما أراد أن يجسد لنا ذلك المعنى ، استخدم تصوير مقنع ، يعمل على هَزْ شعور المتلقي ، عبر ضرب المثل بالماء والنار، وهو مثل يضرب في تنافي الشيئين [4] . فقال الطيبي : " أنه من التشبيه الواقع على التمثيل ، شبهت الحالة المتوهمة للصدقة الموجبة لإذهاب الخطيئة ، بحالة الماء المطفئ للنار ... " [5] . فوجه الشبه يتضح من خلال الجامع الذي يجمع ما بين أطراف التشبيه ، وهو حصول الإطفاء ، بجامع المقصود ، فكما أن الماء يطفئ النار ولا يبقى منه شيئاً ، فكذلك الصدقة ، تمحو خطايا الإنسان ولا

(1) ينظر : فتح البارئ : 1 / 170 ؛ عمدة القارئ : 1 / 468 .
(2) معترك الأقران : 2 / 143 .
(3) سبق تخريجه .
(4) ينظر : أسرار البلاغة ، ص 106 .
(5) التبيان في البيان ، ص 442 .

تبقي منها شيئاً . وهذا سر بلاغة التشبيه التمثيلي عندما جعل الخطيئة في الدنيا ، تحرق صاحبها يوم القيامة ، ولا يطفؤها إلاّ ضدها عن طريق الصدقة .

وهذا ختام طرف من حديث يرويه لنا الرسول (ﷺ) عن ربّه في الحديث القدسي ، نختتِمُ به دراستنا لهذا المبحث ، فقال ﷻ : ((**ياعِبادي لَوْ أَنَّ أولكمْ وآخِركُمْ ، وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُم قاموا في صَعيدٍ واحدٍ ، فَسَأَلُوني فَأَعْطَيْتُ كُلَّ واحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، ما نَقِصَ ذلكَ مِمّا عِنْدي إلاّ كَما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحْرَ**)) [1] .

ولنقف وقفة المتأمل الذي يقرأ هذه الكلمات الربّانية وكيف عبّر الله . تعالى . عن تلك المعاني الروحية والخطرات النفسية التي تجسدت في صور وأشكال يعانق بعضها البعض ، تحضيراً لنسق الصورة التمثيلية ، مُبتدِئاً بأسلوب النداء ، مُقيداً " السؤال بالاجتماع في مقام واحد ؛ لأنَّ تزاحم السؤال وازدِحَامُهم مما يدهش المسؤول ويبهته ، ويعسر عليه إنجاح مَآربهم ، والاسعاف إلى مطالبهم ... " [2] . مُصَوِّراً " عدد السائلين وهم الخلق جميعاً منذ بداية الخليقة إلى أن تقوم الساعة ... " [3] . مستخدماً أداة من أدوات التشبيه التي تتناسب مع سياق النص وهي الكاف التي " من خصائصها أنها تجعل البعيد قريباً ، والأدنى منزلةً مرتفعاً إلى منزلة الأعلى ... " [4] مشبهاً في الهيئة الحاصلة من ادخال الأبرة في البحر . آخذاً بنظر الاعتبار ، ما توحيه لنا دلالة البحر والأبرة من معانٍ عديدة منها :

1 . قال ابن منظور (ت 711 هـ) : " سمي البحر بحراً، لاستبحاره ،وهو انبساطه وسعته " [5] .

2 . أنه غالباً ما يُضرب به المثل للرجل الجواد والكريم في الخيال العربي [6] .

3 . أن البحر هو " جزء من الوجود الذي يحياه الإنسان حيث يكون " [7] .

---

(1) سبق تخريجهُ.

(2) شرح الطيبي : 5 / 103 .

(3) التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص 100 .

(4) الصورة البيانية في الحديث النبوي ، ص 113 .

(5) لسان العرب : 7 / 43 .

(6) ينظر : المثل السائر 1 / 107 ؛ البيان العربي ، بدوي طبانة ، ص 274 ؛ فن التشبيه : 2 / 231 .

(7) التصوير البياني ، محمد أبو موسى ، ص 51 .

4 . والبحر غالباً ما يُضرب به المثل بعظمته وعلو شأنه وبصورته المحببة للنفوس [1] .

ويتضح لنا مما سبق أن البحر ، غالباً ما يُضرب به المثل بالكثرة ؛ لأنه أكبر المرئيات وجوداً على الأرض مقارنةً بالإبرة التي غالباً ما يُضرب فيها المثل بالقلة .

أما وجه الشبه الذي يجمع ما بين المشبه وهو أسئلة الخلق جميعاً إنساً وجنّاً ، والمشبه به وهو الهيئة الحاصلة في إدخال الأبرة البحر. فهو عدم النقص لكلتا الحالتين، فلو نتخيل أنفسنا ونحن ندخل الأبرة الملساء التي لا يستقر فيها الماء ، في البحر الذي أحاط الكرة الأرضية ، فماذا ينقص منه ؟ إنه لا يكاد ينقص منه شيئاً ، فكذلك الله تبارك وتعالى ، دائم العطاء ، كثير الرزق في الليل والنهار ، لا يتوقف عطاؤهُ ولا ينقطع رزقه ، قال تعالى : ﴿ **مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾ [2] ؛ " فخزائن الله لا تنفد ، والإنسان يمسك عادةً عن الإنفاق خشية النفاد " [3] ، لذلك قال النووي : " إنّ ما عند الله لا يدخله نقص ، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني " [4] .

تلك هي بلاغة التشبيه التمثيلي ، خصوصاً وأن الأمثال قد جاءت مستمدة من ظواهر الطبيعة . وهذا ما أكده البلاغيون عندما انتبهوا إلى أن صور التشبيه المستمدة من عناصر كونية أو نفسية عامة يشترك في إدراكها والإحساس بها كافة المتذوقين ، إنما تكون من العناصر التي هي أحفظ لبقائها وحيويتها ، وتأثيرها في أجيال الناس والأمم [5] .

(1) ينظر : البحر في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، صالح محمود محمد ، رسالة ماجستير، ص 22 .

(2) سورة النحل ، الآية (96) .

(3) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ص 231 .

(4) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 5 / 2522 .

(5) ينظر : التصوير البياني ، ص 157 . 158 .

المبحث الثاني

المجاز

المبحث الثاني

المجاز

المجاز لغةً : قيل أن المجاز هو السير في الطريق وقطعهُ ، فهو مأخوذ من جزت الموضع ، أي سرت فيه، وهو ضد الحقيقة التي تعني في اللغة الشيءُ الثابت[1] . أما المجاز : فهو تعدي الشيء إلى غيره [2] .

المجاز اصطلاحاً : هو " الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع " [3] .

فالمجاز من الوسائل التي بها تتسع اللغة وفن التعبير التي تعطي الكلام مزيةً وجمالاً . " فالألفاظ لا حياة لها إلاّ في التجدد ومجاذبة المعاني والتنقل بينهما على ما يستوجبه قصد القائل أو مجازاً [4] ." والعرب كثيراً ما تستعمل المجاز وتعده من مفاخر كلامها ، فإنه دليل على الفصاحة ورأس البلاغة وبه بانت لغتها عن سائر اللغات " [5] . والمجاز إما عقلي أو لغوي،واللغوي إما مرسل أو استعارة،لذا ستكون دراستنا للمواضع التي ورد فيها المجاز في أحاديث الكتاب ، حسب تلك الأقسام .

أ . المجاز العقلي :

ويسمى أيضاً المجاز الحكمي ومجاز الاثبات ومجاز الاسناد . " وهو أن يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ويكون معناها مقصوداً في نفسه ومراداً من غير تورية ولا تعريض " [6] . مع ضرورة أن يكون هناك علاقة وقرينة تمنع من إيراد المعنى الحقيقي .

---

(1) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 1 / 494 .

(2) ينظر : أسرار البلاغة ، ص 342 .

(3) مفتاح العلوم ، ص 589 ؛ الإيضاح ، ص 154 .

(4) فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث ، لطفي عبد البديع ، ص 18 .

(5) العمدة في محاسن الشعر : 1 / 178 .

(6) دلائل الإعجاز ، ص 200 .

وسُمِّي عقلياً ؛ لأن العقل هو الذي حكم بذلك لا اللغة [1] ، إذ أن التجوز إنما يقع " في الإسناد والنسبة الحكمية بين المسند والمسند إليه " [2] .

لذلك فإنَّ للمجاز العقلي بلاغته وأثرهُ في النفس ، فحين نتأمل صور هذا المجاز ، نجد أنها تثير في النفس خيالاً طريفاً من حيث اننا نرى فيه الأحداث والأفعال مضافة إلى غير فاعليها المألوفين في الوجود [3] .

أما علاقات المجاز العقلي ، فهي : المفعولية والفاعلية والمصدرية والزمانية والمكانية والسببية .

وما يهمنا من تلك العلاقات ، هي العلاقة السببية ؛ وذلك " فيما بُني للفاعل وأسند للسبب مجازاً " [4] . فهي العلاقة الوحيدة الواردة في أحاديث الكتاب والتي توزعت في ثلاثة أحاديث سندرسها حسب مضامينها .

. إسناد محو السيئة للحسنة :

مِنْ فضل الله علينا ، أنه قد جعل لنا ما يمحو ذنوبنا بفعل الحسنة ، وهذا ما أكده لنا الرسول (ﷺ) بحديث يرويه أبو ذرٍّ جُنْدُب بن جناذة ، ومعاذ بن جبل (رضي الله عنهما) : ((**إتَقِ اللهَ حَيْثُما كُنْتَ ، واتْبِعِ السَيِئَةَ الحَسَنَة تَمْحُها ، وخالِقِ الناسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**)) [5] ، فهذا الحديث ، أصبح . كما يقول الميداني . مَثَلاً يُضْرَبُ في الإنابَةِ بعد الإجترام [6] . ولما كانت التقوى سَبَبَاً في فِعل الحَسَنة وإجتناب السيئة ، إبتدأ حديثهُ (ﷺ) بفعل الأمرِ " اتق " والأمر هنا للوجوب ،ولكي يُعَمِّمْ الأمر بالتقوى ، دون التقيد بمكان أو زمانٍ ، استخدم عبارة توحي لنا بإتساع الرقعة الجغرافية ، إبتدأت بأداةٍ قيل أنها " نادرة في كلام العرب ، وهي ظرف مكان ، تتألف من حيث ، وما الزائدة " [7] . وهذا لا يمنع من أنها قد تُردُّ للزمان أيضاً،فقال الأخفش : وقد ترد للزمان والغالب كونها

(1) ينظر : التبيان في البيان ، ص 209 .
(2) البلاغة الاصطلاحية ، ص 190 .
(3) ينظر : خصائص التركيب ، محمد أبو موسى ، 105 . 106 .
(4) معجم البلاغة العربية : 1 / 334 .
(5) سبق تخريجهُ .
(6) ينظر : مجمع الأمثال : 1 / 145 .
(7) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ، ص 539 .

في محل نصب على الظرفية أو خفض بمن وقد تخفض بغيرها ، وإذا اتصلت بها (ما) الكافة ضمنت معنى الشرط وجزمت الفعلين [1] . والحديث واردٌ على ذلك ،فالفعل الأول " كنت " والثاني هو جوابهُ المحذوف،والتقدير: "حيثما كنت اتق الله ".

ولما كانت النفس أمارة بالسوء ، فقال . تعالى . في سورة يوسف : ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ [2] وصف لنا طِبُّ القلوب ودواؤها ، علاجاً نفسياً للمذنب ، ونصيحة لكل من ارتكب معصية بقوله : " واتبع السيئة الحسنة ، والأمر للوجوب أيضاً فإذا ما أذنب الإنسان ، عانى في الوقت نفسه بما يمكن أن يُسمِّيه علماء النفس بوخز الضمير والندمِ مما يورث الأمراض النفسية . ولما كان الشيء يزول بضده ، جُعلت الحسنة بمثابة محو للسيئة ، وهنا يبرز اسلوب المجاز العقلي ليؤدي أثره البلاغي في سياق الحديث بقوله : " تمحها " ، إذ أسند محو السيئة للحسنة ، بينما نجد أن الفاعل الحقيقي لذهاب السيئة هو الله ﷻ ، ولا يخفى علينا ما لدلالة المحو من اذهاب أثر السيئة ، فقال الخليل بن أحمد الفراهيدي : المحو " لكلِّ شيءٍ يذهب أثرهُ . تقول : أنا أمحوه وأمحاهُ " [3] .

والقيمة الجمالية من اسناد محو السيئة للحسنة دلالات منها ، أن الإنسان سيسعى جاهداً لفعل الحسنة، لا سيما وأن جملة " تمحها " ، قد وردت فعلية، مما يكسبها خاصية التجدد المستمر في محو السيئة عن طريق الحسنة . ولما كانت الحسنة هي السبب في ذهاب السيئة ، فقال . تعالى . : ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [4] ، اطلقنا على نوع علاقة المجاز العقلي في الحديث بالعلاقة السببية .

ولكون أكثر السيئات تأتي من سوء الأخلاق ، ينقلنا الرسول (ﷺ) من لهجة شديدة الإيقاع إلى لهجة تتسم بإيقاع هادئ وحكمة عظيمة يأمر بها التخلق مع الناس ليختم الحديث بها بقوله : " وخالق الناس بخلقٍ حسن " .

(1) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : 1 / 140 .
(2) الآية (53) .
(3) كتاب العين : 3 / 314 .
(4) سورة هود ، الآية (14) .

. إسناد دخول الجنة إلى العمل الصالح :

قال رسول الله (ﷺ) : ((**لَنْ يدخُل أحدٌ منكُم الجنةَ بِعَملِهِ ، ولكِنْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحمَةٍ ، قيلَ وأنتَ يا رسولَ الله ، قال ولا أنا ، إلاّ أن يَتَغَمدْني الله بفضل مِنْهُ ورَحمته**)) [1] .

هذا الحديث أردت أن ابتدئ الكلام به ، ليؤَكِّد أن هناك عبارة لراوي حديث ، قد وردت بطريقة المجاز العقلي،وذلك في سؤال معاذ بن جبل (رضي الله عنه) لرسول الله (ﷺ) بقوله : يا رسول الله أخبرني بعملٍ يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ، قال : ((**لَقَد سَألتَ عَن عظيمٍ ، وإنَّهُ ليَسيرٌ عَلى مَنْ يَسَّرَهُ الله عليه ...**)) [2] .

فقال شرّاح الحديث في تحليل قوله : " عمل يدخلني الجنة " : " الإسناد فيهما مجاز عقلي " [3] ، والمقابلة في الثانية . أي يُبعدني عن النار ، للمبالغة في البعد [4] . وفي الكلام ، إيجاز حذف ، فقيل أن في قوله : " أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار : " إما جواب الأمر على تقدير الشرط والجزاء ، أي تخبرني بعمل يدخلني الجنة بمعنى أن الخبر يكون وسيلة إلى العمل،والعمل إلى الادخال،وإما جزاء الشرط محذوف أي إن عملته يدخلني ، والجملة صفة عمل ... " [5] .

وأسلوب المجاز العقلي يتضح من خلال إسناد الدخول إلى الجنة إلى العمل ، لكون الفاعل الحقيقي معروف وهو فضل الله وَمَنِّهِ على عباده وهدايته للعمل الصالح ، فإذا هدى الله الإنسان عمل عملاً صالحاً ، وإن أَضَلَّهُ عمل عملاً سيئّاً ؛ لأن العمل ، مُتصلٌ إتصالاً وثيقاً بالقلب ، والقلب لا يهديه ولا يضله إلاّ خالقه ، لذلك كان الرسول (ﷺ) ، يكثر من دعائه بقوله : " يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله ، أَوَأن القلوب تتقلب ؟ قال : " نعم ما من خلق خلق الله من بني آدم من بشر إلاّ أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله . ﷻ . فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ... " [6] .

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب المرضى: باب تمني المريض الموت، ح(5349) .

(2) سبق تخريجهُ .

(3) دليل الفالحين : 4 / 355 .

(4) ينظر : م . ن : 4 / 355 .

(5) التبيان في البيان ، ص 440 .

(6) أخرجه الترمذي في كتاب القدر: باب ما جاء أنَّ القلوب بين إصبعي الرحمن، ح(2140)، وقال حديثٌ حسنٌ صحيح .

وهكذا يكون دخول الجنة بهداية الله ورحمته ، التي تهدي الإنسان للعمل الصالح ، فعبارة الراوي إذن مجازية ولو أراد أن تكون حقيقة ؛ لقال : أخبرني بعمل ان شاء الله ، هداني به لأدخل الجنة . ولما كان العمل الصالح من أسباب الدخول إلى الجنة أُسند إليه الإدخال ، لنطلق على علاقة المجاز العقلي في الحديث بالسببية .

. إسناد الإعتاق والإيباق من النار إلى النفس :

الإنسان إمّا هالك لنفسه في نار جهنم يوم القيامة أو منجيها من النار ، والحديث الآتي يُبيّنُ لنا تلك الحقيقة ، فيما يرويه لنا أبو مالك الحارث بن عاصم الأشعري (رضي الله عنه) ، ختمهُ بحكمة عظيمة بقوله (ﷺ) : ((**كُلُّ الناس يَغْدو ، فَبائع نَفْسه ، فمعتقها أو موبقها**)) [1] .

ابتدأت حكمة الحديث ، بأداة تفيد العموم . " كل " . ؛ لأن كل هنا ، قد وردت توكيداً لمعرفة (الناس) فأفادت العموم [2] .

والرسول (ﷺ) استخدم لفظ " الغدو " في الحديث ؛ للدلالة على السير دون توقف ما دامت هناك آخرة تنتظرنا . فاللفظة مأخوذة من الغداوة . بالضم . ما بين الصبح وطلوع الشمس ، والغدو : يعني الذهاب أو الانطلاق أو السير من أول النهار [3] . فالإنسان إذا اغتنم ذلك السير في طاعة الله واجتناب معاصيه ، فقد باع نفسه لله ، وإذا اغتنم ذلك السير بالمعاصي والانشغال عن طاعة الله فقد باعها للشيطان ، فيكون العقد إما مع الرحمن ، فالعاقدان هما العبد البائع ، والله سبحانه وتعالى هو المشتري والمعقود عليه هو (نفسه)،أو أن يكون العاقدان هما: العبد والشيطان ، فيكون العبد هو البائع والشيطان هو المشتري والمعقود عليه (نفسه) " [4].ثم تأتي عبارة المجاز العقلي بقوله: " فمعتقها أو موبقها " ؛ لإسناد الإعتاق والإيباق إليه ، وأصل " العتق " هو " صلاح المال . وعتق المال عتقاً : صلح " [5] . وقيل أن العتق هو الخروج من الرِّق وهو الحرية [6] .

(1) سبق تخريجهُ .
(2) ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن : 2 / 191 .
(3) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 4 / 15 ؛ المعجم الوسيط : 2 / 646 .
(4) الأساليب الإنشائية غير الطلبية في أحاديث رياض الصالحين للنووي ، أحمد محمد أمين ، رسالة ماجستير ، ص 160 .
(5) لسان العرب : 10 / 237 .
(6) ينظر : معجم متن اللغة : 5 / 697 .

أما قوله : " موبقها " من وبق يَوْبِق " وبقاً . وأوبقهُ : أهلكهُ [1] . " فالذنوب موبقات والهالك مُوْبق " [2] . وقيل انهُ من أودية جهنم [3] . " فنسبة الإعتاق والإيباق إليه لتسببه فيها ، والمعتق والموبق على الحقيقة هو الله ﷻ " [4] .

والقيمة الجمالية من إسناد الإعتاق والإيباق إلى النفس ، أن صاحبها ، سيسعى جاهداً للحيلولة دون الوقوع في الحكم الثاني من الحديث . فموبقها . ما دام باستطاعته ذلك.

ب . المجاز اللغوي :

هو الكلمة المستعملة على الوجه المذكور ، مع مصاحبة قرينة دالّة على عدم إرادة المتكلم للموضوع لهُ وصفاً حقيقياً،فقرينة المجاز مانعة من إرادة الأصل [5] . ولمّا كان للمجاز اللغوي قسمان وهما: المجاز المرسل والاستعارة ؛ لذا سنحاول دراسة أحاديث الكتاب حسب القسمين المشار إليهما .

القسم الأول . المجاز المرسل :

هو الكلمة المستعملة في غير ما وضع له في إصطلاح التخاطب على وجه يصح بعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي [6] " وسُمِّي مرسلاً ؛ لإرساله عن التقيد بعلاقة مخصوصة ، بل رُدِّدَ بين علاقاتٍ عدة " [7] .

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة ، أبرزها : السببية والمسببية والجزئية والكلية والمحلية والحالية والماضوية والمستقبلية والآلية [8] .

وتأتي أهمية المجاز المرسل ، بأنه يطوي وراءه جليل المعنى وشريفه ، وذلك عند تركيز الرسول (ﷺ) على مفردات معينة ، يكشف دلالتها السياق أحياناً،فيكون المجاز

(1) ينظر : لسان العرب : 10 / 370 .
(2) معجم متن اللغة : 5 / 697 .
(3) ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن : 2 / 344 .
(4) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 324 .
(5) ينظر : مواهب الفتاح ، ضمن شروح التلخيص : 4 / 25 .
(6) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 153 .
(7) حاشية الدسوقي ، مواهب الفتاح ، ضمن شروح التلخيص : 4 / 29 .
(8) ينظر : أساليب علم البيان ، ص 218 .

المرسل ، ملائماً للسياق [1] . والناظر في أحاديث الكتاب يجد أن مواضع المجاز المرسل ، والبالغ عددها عشرة مواضع توزعت بين العلاقات : (الجزئية والكلية والملزومية) فقط . وهذا ما سنحاول دراسته في بيان دور تلك العلاقات في إغناء سياق الحديث .

1 . العلاقة الجزئية :

" وهي تسمية الشيء باسم جزئِهِ ... " [2] وذلك إذا كان اللفظ المستعمل جُزءاً من المعنى المراد " [3] . وقد وردت تلك العلاقة في خمسة مواضع من أحاديث الكتاب ، وسنفصل القول في اثنين منها :

الأولى : وردت في حديث لرسول الله (ﷺ) مخاطباً عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) بقوله : ((**إحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أمامكَ ، تَعرّف إلى الله في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِدَّة**)) [4] .

ولعل السؤال الذي يطرأ هنا : كيف خُصِّصَتْ الجهة في حقه . تبارك وتعالى . ونحن نعلم أن وجوده قد شمل جميع الجهات ؟ والإجابة عن ذلك قولان :

الأول : أن سبب تخصيص جهة الامام ،دون الجهات الأخرى ؛ إشعار بشرف المقصد ، وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة والمسافر إنما يطلب أمامه لا غير ، فكأن المعنى : تجده حيثما توجهت وتيممت من أمر الدنيا والآخرة [5] .

الثاني : قول الشريف الرضي : إنه مجاز ؛ لأن الله . سبحانه . أمامنا وخلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا من طريق الحفظ لنا والإحاطة بنا فليس يختص ذلك مِنّا بجهة دون جهة وبحالة دون حالة [6] . وواضح أن ما كان يقصده الرضي ، هو المجاز المرسل ، فذكر الجزء : " أمامك " وأراد به الكل : جميع الجهات ، لاستحالة الجهة في حقه . تبارك وتعالى . وهو الأقرب إلى الصواب من القول السابق .

---

(1) ينظر : المجاز المرسل في القرآن الكريم " علاقاته ودلالته ، ياسر محمد ، رسالة ماجستير ، ص 28 .
(2) فنون بلاغية ، ص 111 .
(3) البلاغة فنونها وأفنانها : 2 / 151 .
(4) سبق تخريجه .
(5) ينظر : فيض القدير : 1 / 330 .
(6) ينظر : المجازات النبوية ، ص 239 .

أما الثانية : فقد وردت عند التعبير بالإقامة عن الأداء ، ولابدَّ من الإشارة ، إلى أنَّ ليس كل جزءٍ صالحاً لأن يكون بدلاً من الكل،وإنما لابُدَّ أن يكون هذا الجزء المراد تعبيره عن الكل ، هو الجزء المهم والأساس فيه ، فالقرآن الكريم،وكذلك السنّة النبوية يسميان الصلاة قياماً ؛ لأن القيام من أهم أركانها [1] . وهذا ما أكده الزمخشري بقوله : قد يراد بالقيام الأداء ، فيعبر عن الأداء بالإقامة ؛ لأن القيام بعض أركانها ، كما عبّر عنه بالقنوت [2] . والناظر في أحاديث الكتاب ، يَجِد أَنَّ الرسول (ﷺ) قد استخدم ذلك التعبير في قوله : " إقام الصلاة " [3] و " تقيم الصلاة " [4] و " يقيموا الصلاة " [5] ، فعبّر عن الكل : الأَداء بالجزء : القيام؛لأن المراد هنا بالقيام الأداء وهذا ما اتفق عليه ، شرّاح الحديث [6] . وتتجلى بلاغته، بالهتمام بالشيء لأننا لا نقومُ إلا لأمرٍ مهم.

2 . العلاقة الكلية :

وهي تسمية الشيء باسم كلِّهِ ؛ مبالغة في توضيح الجزء وتقريره في الذهن [7]. وقد وردت هذه العلاقة بموضعين من أحاديث الكتاب. نأخذ أحدهما للدراسة، وذلك عند التعبير بالناس عن البعض في حديث يرويه لنا ابن عمر(رضي الله عنهما)، أن رسول الله (ﷺ) قال : ((**أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ ، حَتَّى يَشهدوا أن لا إله إلاّ اللهُ، وأن محمداً رسول اللهِ ، وَيُقِيْمُوا الصلاةَ ، ويُؤتوا الزَّكاةَ . فإذا فعلوا ذلك ، عَصَمُوا مِنّي دِماءهُمْ إلاّ بِحَقّ الإسلامِ ، وحسابُهُم على اللهِ تعالى**)) [8] .

يبدأ النبي (ﷺ) " بحديث المتكلم عن النفس ، ثم يلتفت إلى اسمه الظاهر العلم ، ليقرر ما قرره الله في قوله . تعالى . : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـهِ** ﴾ [9] ؛ وليدفع أدنى الشك عن الاسم الذي وجبت له الشهادة بالرسالة بعد الشهادة لله الحق بالإنفراد بالألوهية "[10] ،

---

(1) ينظر : روح المعاني ، الآلوسي : 1 / 98 . 99 ؛ التصوير البياني ، ص 355 .

(2) ينظر : الكشاف : 1 / 98 .

(3) سبق تخريجهُ .

(4) سبق تخريجهما .

(5) سبق تخريجهُ .

(6) ينظر : فتح الباري : 1 / 104 ؛ عمدة القارئ : 1 / 287 .

(7) ينظر : شرح السعد ، ضمن شروح التلخيص : 4 / 34 ؛ البلاغة التطبيقية ، ص 212 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها : 2 / 149 .

(8) سبق تخريجهُ .

[9] سورة الفتح/آية 29.

(10) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 349 .

لا سيما وأن بدء الحديث بصيغة المفاعلة والتي وضعت لمشاركة الأثنين في القتال ، قد أفاد " أن الدين إنما ظهر بالجهاد والجهاد لا يكون إلاّ بين اثنين ... " [1] ، ويبرز المجاز المرسل بقوله : " الناس " ، فقال ابن حجر العسقلاني : أن لفظة الناس : " من العام الذي أريد به الخاص " [2] ، فذكر الكل : " الناس " وأراد به الجزء ، وهم عبدة الأوثان بدون أهل الكتاب؛لأنهم يقولون: لا إله إلاّ الله " [3]، " وإذا ما تهيأ ذهن السامع بهذه النقلة في (عصموا مني) يرشد إلى إحساسه بالتبعة ، وتيقظة لما كَلَّفه من إراقة الدماء الكافرة ، ومصادرة الأموال الفاجرة ، ما لم تجد من الإسلام شافعاً " [4] إذ إن " عصموا " في اللغة : تعني : المنع ،فإن عصم الله عَبْدهُ ، دفع عنه السوء مما يوبقه [5] ، وحتى لا يفهم من الحديث غير الحق ؛ استخدم الرسول (ﷺ) أداة الاستثناء " إلاّ " التي من وظائفها: " إخراج ما بعدها مما دخل فيه ما قبلها ، فهي تنفي عَمّا بعدها ما ثبت لما قبلها ، وتثبت لما بَعْدَها ما نفي عمّا قبلها " [6] . والباء في قوله : " بحقها " جاءت تحمل معنى السببية؛ لِيُجَنِّبْ الدماء والأموال التي تقيم تلك الأركان . ولما شعر الرسول (ﷺ) . والله أعلم . أن هناك مِنَ الناس ، مَنْ يُظهر إسلامه وإيمانه بتلك الأركان ، ويسرُّ الكفر في قلبه ، ختم حديثه بمن هو يعلم ما في قلوب الناس بقوله : وحسابهم على الله ، والحساب كما جاء في كتب اللغة : " عدك الأشياء " [7] ، " يقال أحسبت فلاناً ، إذا أعطيته ما يرضيه " [8] ، فحسابه . تعالى . واقع لا محالة، فهو لا يشغله حساب واحد عن محاسبة الآخر [9] .

3 . العلاقة الملزومية :

" وهي اطلاق اسم الملزوم على اللازم " [10] ، وذلك في كون الشيء ، يجب عند وجوده شيء آخر ، كقولنا : طلع الضوء ، أي الشمس [1] . وقد وردت هاتان العلامتان في موضعين من أحاديث الكتاب .

---

(1) عمدة القارئ : 1 / 288 .
(2) فتح البارئ : 1 / 105 .
(3) ينظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : 150/1 ؛ فتح البارئ : 105/1 ؛ فيض القدير : 238/2.
(4) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 349 .
(5) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 4 / 331 ؛ لسان العرب : 12 / 403 .
(6) في النحو العربي . قواعد وتطبيق . ، ص 406 . 407 .
(7) كتاب العين : 3 / 149 .
(8) معجم مقاييس اللغة : 2 / 60 .
(9) ينظر : لسان العرب : 1 / 314 .
(10) فنون بلاغية ، ص 114 .

الأول : عندما استعمل الرسول (ﷺ) لفظ نَفَّس بدلاً من أزال أو فرج بقوله : ((**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِنٍ كُربَةً من كُربِ الدُنيا ، نَفَّسَ اللهُ عنهُ كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامة**)) [2] . فلو رجعنا إلى كتب اللغة ، لوجدنا أن أصل لفظة " نَفَّسَ " مأخوذ من النَّفس : الفرج من الكرب ، يقال : اللهم نَفّس عَنّي ، أي فَرِّج عني ووسّع عليَّ... " [3].

فالرسول (ﷺ) لم يقل : مَنْ فَرَّجَ أو أزالَ عن مؤمنٍ ، وإنما " استعمل نَفَّسَ في أزال وفرَّجَ استعمال مجازي من اطلاق الملزوم وإرادة اللازم ، فإنه يلزم من ارخاء الخناق الازالة ، أي ازالة اليد عنه والتفريج عليه " [4] . أما قوله : " كُربة " فهي " تدل على الشدّة والقوة أو الغم الشديد " [5] . والتنوين فيها للتعظيم ؛ لأنَّ الكربة تقارب أن تُزهق النفس ، كأنها لشدة عملها عطلت مجال التنفس منه ، وبه يعلم حكمة إيثار نَفَّسَ على رديف أزال وفرّج [6] .

و " الرسول (ﷺ) يُكرر لنا قاعدة في الشريعة الإسلامية ، ألا وهي الجزاء من جنس العمل " [7] ،. وذلك من خلال بَثَّ البشرى التي تثلج صدور المفرجين عن كرب المسلمين ، فمن المعلوم أن كرب القيامة هي أشدُّ كرباً وعذاباً من كرب الدنيا لشِدَّة أهوال يوم القيامة ، فتأتي بشارة النبي (ﷺ) ، بإعادة أسلوب المجاز المرسل مَرَّة أخرى بقوله : " نَفَّسَ الله عنهُ كُرْبَةً من كُرب يوم القيامة " ، وفي هذا الحديث ، فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو جاه أو نصح [8] ، أو ما شابه ذلك من الأمور الخيرية التي يساعد بها المسلم أخاهُ المسلم .

وقد وردت العلاقة الملزومية أيضاً ، عند إطلاق الحرب وإرادة لازمه ، في حديث قدسي نأخذ منه عبارة المجاز المرسل بقوله . تبارك وتعالى . : ((**مَنْ عَادى لِي وَلِياً فَقَدْ آذنتهُ بالحَرْب ...**)) [9] .

---

(1) ينظر : جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، ص 293 .
(2) سبق تخريجه .
(3) لسان العرب : 6 / 236 .
(4) حاشية حسن بن علي على كتاب الفتح المبين ، ص 227 .
(5) معجم مقاييس اللغة : 5 / 174 .
(6) ينظر : دليل الفالحين : 2 / 34 .
(7) م . ن : 2 / 34 .
(8) ينظر : م . ن : 2 / 34 .
(9) سبق تخريجه .

من الملاحظ ، أن الآيات القرآنية * ، قد أفاضت في وصف الولي وبيان حقيقته ، والحديث القدسي الذي ندرسهُ ، يحذرنا من مغبة التعرض لأولياء الله ؛ لذلك بدأ سياق الحديث ، بالتوعد والعقوبة ، وذلك باستخدام جملة الشرط والجزاء ، التي تنبني بالتحليل العقلي على جُزأين :

الأول : مُنَزَّل منزلة السبب ، كما في قوله : " مَنْ عادى لي ولياً " .

الثاني : مُنَزل منزلة المسبب ، كما في قوله : " فقد آذنته بالحرب " .

ويتحقق الثاني إذا تحقق الأول ، وينعدم إذا انعدم الأول ؛ لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول [1] . ولقد استشكل وقوع المحاربة بين الجانبين ، ونحن نعلم أن المخلوق في أسر الخالق ، فكيف تحدث المحاربة ؟ وهذا السؤال يُجيب عليه ابن حجر العسقلاني بقوله : هو من المخاطبة بما يفهم ، فالحرب غالباً ما تنشأ عن العداوة ، والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك ، ومن المؤكد أن الله لا يغلبه غالب ، فأطلق الحراب وأراد لازمه ، أي : اعمل به ما يعمله العدو المحارب في المعركة وكأن المعنى ، فقد تعرض لإهلاكي إياه [2] .

فإذا أراد الله عقاب الظالمين ، سلّط عليهم جنوده ، لقوله . تعالى . : ﴿ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [3] ، وهذا ما نراه أمام أعيننا للدول الغربية التي تحارب الدول الإسلامية وأولياء الله ، فَسَلَّطَ عليهم البراكين والزلازل والطوفان والجراثيم والفيروسات التي تفتك بالبشر ولا وجود لعلاجها إلاّ مُحْدِثُها .

القسم الثاني . الاستعارة :

الاستعارة لغةً : الاستعارة مأخوذة من العارية ، ومن إعارة الثياب والأدوات ، واستعارة شخص من شخص آخر لمعرفة بينهما [4] .

---

* منها قوله . تعالى . : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ سورة يونس ، الآية (62) .

(1) ينظر : في النحو العربي . قواعد وتطبيق . ، ص 56 .

(2) ينظر : فتح الباري : 11 / 416 .

(3) سورة الفتح ، الآية (7) .

(4) ينظر : لسان العرب : 4 / 624 . 625 .

الاستعارة اصطلاحاً : هو أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك ، بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به [1] . مع ضرورة وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي [2] .

ولقد وردت الاستعارة في أحاديث الكتاب في ثمانية عشر موضعاً ، تنوعت بين استعارة تصريحية ومكنية من جهة الإفراد وتمثيلية من جهة التركيب ، وهذا ما سنتناوله في تقسيمنا للمبحث .

1 . الاستعارة التصريحية :

وهي : " أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه ،هو المشبه به " [3].
وقد تسمى أيضاً بالمصرحة ؛ لأن لفظ المصرحة ، مأخوذ من مادة التصريح ، ويدل على ما تدل عليه من أن المستعار مذكور ومنصوص عليه [4] . ومن الملاحظ أن هذا النوع من الاستعارة قد ورد في موضعين فقط ، أحدهما ، ورد في حديث لرسول الله (ﷺ) بقوله : ((**ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً ، إذا صَلَحَتْ ، صَلَحَ الجَسَدُ كله ، وإذا فَسَدتْ ، فَسَدَ الجسدُ كُله ، ألا وهيَ القلبُ**)) [5] .

من المؤكد أن الدراسات النفسية ، قد أوضحت أن صلاح الإنسان ، يبدأ بإصلاح النفس من داخلها ،وهذا الإصلاح يبدأ بالقلب عن طريق الإيمان بالله وتوحيده ، والتقرب إليه بالتقوى والعبادات والطاعات [6] .

والرسول (ﷺ) ، يبين لنا ذلك في حديثه ، بتسلسلٍ منطقي ، يبرز المعنى فيه ، بتناسق دقيق يدور بدوران العلة والمعلول ، واصفاً القلب بالمضغة منكراً إياها ليفيد تعظيمها مع صغرها في جسم الإنسان ، مُقدماً الجار والمجرور عليها ، لكونها نكرة لا يجوز الإبتداء بها عند النحاة . مُستدعياً التعبير بأداة قيل إنها

(1) مفتاح العلوم ، ص 599 .
(2) ينظر : جواهر البلاغة ، ص 303 .
(3) مفتاح العلوم ، ص 576 ؛ التبيان في البيان ، ص 40 .
(4) ينظر : البلاغة والتطبيق ، ص 351 .
(5) سبق تخريجه .
(6) ينظر : الحديث النبوي وعلم النفس ، ص 305 .

" موضوعة للمستقبل ، مضمنة معنى الشرط غالباً " [1] ، فوضعت الشرط النبوي أمام خيارين ورد بأسلوب الاستعارة التصريحية ، عندما استعار للمضغة الفساد والإصلاح ، إذ شبّه أعمال الإنسان السيئة بالفساد أو المرض الذي يصيب القلب حقيقة فيعطل وظائفه بصورة صحيحة ، بينما شبّه أعمال الإنسان الصالِحة بصلاح القلب وخلوّه من الأمراض التي تعطل وظائفه . وحذف المستعار له في كلا الاستعارتين والتصريح بالمستعار منه ، قد جعلنا نطلق على الاستعارتين بالتصريحية .

وهذا ما أكده الزمخشري بجواز استعمال المرض والفساد في القلوب حقيقةً ومجازاً ، فالحقيقة أن يراد الألم ، والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها ، وغير ذلك ، مثل ما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك [2] .

وواضح أن بلاغة الاستعارة التصريحية في الحديث قد اقتضت توجيه المرض والفساد أو الصلاح على غير ما وضع له في اللغة " وهو أولى لما فيه من الإيحاء على المعاني التي ذكرها الزمخشري " [3] .

أما الحديث الثاني فقد ورد في حديث قدسي يرويه لنا رسول الله (ﷺ) عن ربه بقوله : ((**يا عِبادي إنّي حَرّمْتُ الظلم على نَفْسي وجَعَلْتُهُ بَيْنَكمْ مُحَرّماً ، فلا تَظالَمُوا ...**)) [4] .

لقد أجمع العلماء ، على تحريم الظلم الذي هو وضع الشيء في غير محله لغةً [5] . " والتصرف في حق الغير بغير حق ، أو مجاوزة الحدِّ ،عرفاً " [6] . والحديث القدسي يتسلسل بعبارات تبرز المعنى أو الغرض الذي عُدَّ من أجله الحديث وهو تحريم الظلم بين العباد ، مُبتدأً الحديث أولاً بتحريم الظلم عن نفسه . تبارك وتعالى . ، حتى ينقلنا ثانياً بجعله محرماً بين عباده ، ليختم عبارة الحديث بالنهي عن ظلم العباد فيما بينهم .

---

(1) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : 3 / 177 .

(2) ينظر : الكشاف : 1 / 59 .

(3) الاستعارة في القرآن الكريم ، أحمد فتحي رمضان ، رسالة ماجستير ، ص 188 .

(4) سبق تخريجه .

(5) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 4 / 59 .

(6) دليل الفالحين : 1 / 325 .

ولعل السؤال الذي يطرأ هنا : لما كان الظلم ، مستحيل في حقه . تبارك وتعالى . فكيف حرمه على نفسه ، ونحن نعلم أن ليس فوقه من يطيعه . تعالى . حتى يجد له حداً فيقال أنه قد جاوزه ؟

إنّ هذا السؤال يقودنا إلى بيان دقة الحديث القدسي في استعارة ألفاظ ، ترسم لنا بالصورة والكلمة درجة تقبيح الظلم ، فقال الطيبي : وفي الحديث استعارة تصريحية ، عندما شبّه تنزهه تعالى عن الظلم ، بتحريم المكلف عمّا نهي عنه شرعاً في الامتناع عنه . وكأنه . تبارك وتعالى . أراد أن يقول : أني تقدست عنه وتعاليت ، فهو في حقي كالشيء المحرم على الناس [1] . فاستعار اللفظ " حرّم " من التحريم وحذف المستعار له. هذا وان دقة الاستعارة في الحديث ،قد جعلت النفس المؤمنة أكثر اجتناباً للظلم خصوصاً بعد معرفتها اجتناب الظلم وتحريمه عن خالقها بتنزيله . تبارك وتعالى . منزلة العباد وشمول حكم التحريم عليهما .

2 . الاستعارة المكنية :

ويطلق عليها أيضاً : الاستعارة بالكناية ، وهي التي يحذف منها لفظ المشبه به ، واكتفي بذكر شيءٍ من لوازمه ، دليلاً عليه [2] .

ومن ميزات هذه الاستعارة أن مستخدمها ، بإمكانه أن يُشخص الأشياء الجامدة ، ويضفي عليها المزيد من الحيوية والحركة ، وهذه وسيلة من وسائل الرسول (ﷺ) في أحاديثه . والناظر في أحاديث الكتاب يجد ما يؤيد ذلك ، فكثرت عدد مواضعها في تلك الأحاديث عن سابقتها ، إذ وردت بسبعة مواضع ، وسنفصل القول في نماذج منها .

إذ نطالع في حديث جرى بين الرسول (ﷺ) وبين معاذ (رضي الله عنه) الذي استهان من أمر اللسان بقوله : يا نبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ((**ثَكِلَتْكَ أُمَّكَ ! وهل يَكُبُّ النّاسَ في النَّارِ عَلى وُجُوههِمِ . أو قال : عَلى مَنَاخِرِهِم . إلاّ حَصَائدُ ألْسِنَتِهِمْ**)) [3] .

(1) ينظر : شرح الطيبي : 5 / 101 .
(2) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : 1 / 145 .
(3) سبق تخريجه.

قبل البدء بتحليل الحديث ، يجدر بنا أولاً ، أن نعرف ما قيل عن اللسان ، حتى يستعار الحصائد له ، " فكثيراً ما يُقالُ : " إيَّاك وأن يضرب لسانك عنقك " إذ نسب الضرب إلى اللسان ؛ لأنه السبب في هلاك الإنسان " [1] . فرب كلمة تصدر من الإنسان ، لا يلقى لها بالاً ، تهوي به إلى النار ؛ لأن اللسان من أكثر الأعضاء عملاً ، وما مِن مصيبةٍ إلاّ وَلَهُ فيها مجال ،فمن أهمله مطلق العنان ينطق بما شاء من البهتان ، سلك به الشيطان في كل ميدان في الخطايا والطغيان ، وما ينجي شَرَّهُ إلاّ مَنْ يقيده بلجام الشرع والإيمان [2] . فأنشد الشافعي (رضي الله عنه) يقول [3] :

إِحْفَظْ لِسانَكَ أَيُّهَا الإِنْسانُ لايَلْدَغَنَّكَ إِنَّه ثُعْبَانُ
كَمْ فِي المَقابرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانُهُ كَانَتْ تَهَاب لِقائِهِ الشُّجْعَانُ

والحديث النبوي يبين لنا تلك اللحظة ، التي استهان بها معاذ من أمر اللسان ، فكان ردّه (ﷺ) بلغة شديدة الإيقاع ، تدل على انفعاله في تلك اللحظة ، فقيل أن لغة المتكلم ، إذا كانت تحمل في طياتها الغضب والانفعال ، وَجَبَ عليه ، أن يستخدم ألفاظاً تناسب غضب وانفعال منشئِها [4] . وفي الحديث ألفاظ تدل على ذلك باستخدامه عبارة ، ظاهرها دعاء على المخاطب بالموت ولكن في حقيقتها المعجمية،تحمل في طياتها معنى الفقدان إذ قيل أن الثَّكْلَ : " يدل على فقدان الحبيب " [5] ، وفقدان الأم وَلَدَها [6] .

لقد كانت إجابة الرسول (ﷺ) إجابة ألم وحزن لأُولئك الذين لا يُلقون بالاً لألسنتهم ؛لذلك كان الخطاب بصيغة العموم . " الناس " ، " وجوههم " ، " ألسنتهم " . وليس بصيغة الإفراد ، ليصدر حكم الحديث على جميع الناس دون استثناء .

والذي زاد الحديث بلاغةً،بروز أسلوب الاستعارة،لا سيما وإنه قد جاء في موضع القصر بقوله : " وهل يكب الناس في النار على وجوههم . أو قال على مناخرهم . إلاّ حصائد ألسنتهم " .

---

(1) مجمع الأمثال : 1 / 417 .
(2) ينظر : فيض القدير : 2 / 101 .
(3) ديوان الشافعي ، ص 28 .
(4) ينظر : النقد الأدبي الحديث ، ص 121 .
(5) كتاب العين : 5 / 349 .
(6) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 1 / 383 .

فلجرس الكلمة : " يكب " إيقاع مصور للمعنى ، جسّد لنا حالة الرعب والفزع التي يعيشها الكافر في تلك اللحظة.إذ لا يخفى علينا ما لدلالة " الكب " التي جاءت في اللغة ، حاملة معنى الصرع ، من كَبَّه الله على وجهه بمعنى صرعَهُ [1] . أو قلبه [2] ، وقد وردت في القرآن ، تحمل تلك الدلالة ، لشدة العقاب [3] ، فقال . تعالى . : ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ** ﴾ [4] ، وخصَّ الوجه أو المنخر دون سائر الأعضاء الأخرى ؛ " لأنهما أول الأعضاء سقوطاً " [5] .

ولعل استعارة لفظ الحصائد للسان ما أثار الإعجاب ، فقال أبو منصور الثعالبي : " أنها من أحسن استعارات النبي (ﷺ) وحكمة سارت بين الناس " [6] . وقال الشريف الرضي : وهذه من الاستعارات العجيبة والمراد بها أن أكثر معاثر الأقدام ومصارع الأنام ، إنما تكون بجرائر ألسنتهم وعواقب أقوالهم السيئة [7] .

لقد استخدم الرسول (ﷺ) تصوير مقنع ، يجسم فيه تلك المعاني بصورة حسية متحركة ، نتخيل فيها آلة الحصاد : " المنجل " وهي تقطع الزرع وتجرف خضرة ويابسة ، جميلة ورديئة ، واستعارته للسان ، نظراً للجامع الذي يجمع بينهما فللسان أيضاً حاسة تصدر الكلام القبيح والحسن والخير والشر . فذكر المستعار له : اللسان ، وحذف المستعار منه : المنجل وترك شيءٍ من لوازمه : " الحصائد " فتكون استعارة مكنية ، وباضافة الحصائد إلى اللسان تكون تخيلية [8] ؛ " لأن قرينة المكنية استعارة تخيلية " [9] .

---

(1) ينظر : الصحاح : 1 / 207 .

(2) ينظر : معجم تهذيب اللغة : 1 / 180 ؛ لسان العرب : 1 / 694 .

(3) ينظر : المثل السائر : 2 / 252 .

(4) سورة الشعراء ، الآية (94) .

(5) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي ، محمد عبد الرحمن المباركفوري : 7 / 364 .

(6) التمثيل والمحاضرة ، ص 25 . 27 .

(7) ينظر : المجازات النبوية ، ص 98 .

(8) وهو أن يكون اللفظ المتروك شيئاً متوهماً . التبيان في البيان، ص 191؛ البلاغة فنونها وأفنانها : 2 / 175 .

(9) البلاغة الاصطلاحية ، ص 64 .

وقد وردت الاستعارة المكنية في حديث يرويه لنا عمر بن الخطاب (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) قال : ((**بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ ، شهادة أن لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ،وإقامِ الصلاةَ وإيتاءِ الزكاةِ ، وحجِّ البيتِ ، وصومِ رمضانَ**)) [1] .

دقة فنية ، يتخذها الرسول (ﷺ)، لِيُقَرِّب بِها معاني حقائق الإسلام،متخذاً أسلوب الاستعارة المكنية ، وسيلة له لتجسيم الأركان التي يعتمد عليها ، فابتدأ سياق الحديث ، بلفظ يشير إلى التماسك والقوة والشرف [2] ، لا سيما إن بناء اللفظ " بني " بناءً للمجهول ، قد أعطاه جرساً موسيقياً ، يسهم إسهاماً فعالاً في إغناء النص بعبارات تجلب انتباه السامع لوضع علاقات أو مشابهة تجمع بين المستعار له : بناء البيت المرتكز على أعمدة خمسة ،وبين المستعار منه : الإسلام بأركانه الخمسة . وحذف أحد طرفي الاستعارة . المستعار له . وإبقاء شيءٍ من لوازمه : البناء ، قد جَعَل عبارات الحديث ، مجسدةً تجسيداً يبعث الحياة فيها ، باستمرار وتتجدد براعة أسلوبها بتجدد الأجيال التي تسر سماعها بدقة تصويرها ، إذ إن تشبيه المعنويات بالمحسوسات يقربها إلى الذهن ويرسمها رسماً جميلاً ، ويطبعها بطابع التجدد والخلود على مر العصور . " فاللفظة تستعار من حيث مدلولها في حقيقة اللغة ؛ لتؤدي معنى خارجاً عن الحقيقة في سياق معين ودلالة معينة ثم تعود بعد ذلك ؛ لتمارس وظيفتها في حقيقة اللغة "[3] .

وعلى أي حال فإن الجامع ما بين بناء البيت والإسلام . فيما اعتقد . هو التحصن من جميع المخاطر ، فالبيت بمثابة تجمع للأسرة ، فهو مُلِمٌ للأحباب ، يقيهم المخاطر الكونية من شدة بردٍ أو حرٍ، فكذلك الحال مَنْ دخل الإسلام ،فبه يتحقق السلام والتسامح والأخوة بين المسلمين . ولما كان سقوط أحد أعمدة البيت ، قد يحدث اضطراباً في باقي أعمدته الأخرى مِمّا يكون عرضةً للسقوط فكذلك الحال بالنسبة لأركان الإسلام المستند إليها ، فتارك ركن الصلاة مثلاً ، يكون عرضةً للسقوط في مزالق الشيطان ومعاصيه التي تهدم الأركان الأخرى [4] .

وقد ذهب بعضهم إلى أن في الحديث استعارة تمثيلية وهو ما يتنافى مع قانونها الذي وضعه البلاغيون والذي ينصّ على أن المثل يضرب بجمل لا بُدَّ فيها من أن

(1) سبق تخريجه.
(2) ينظر : تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي : 1 / 46 .
(3) علم أساليب البيان ، ص 130 .
(4) ينظر : عمدة القارئ : 1 / 199 .

يتقدمها مذكور يكون مشبهاً به ولا يمكن حذف المشبه به والاقتصار على ذكر المشبه ونقل الكلام إليه حتى كأنه صاحب الجملة ... " [1] .

فالحديث وأن تطابقت فيه صورة بناء البيت مع صورة أركان الإسلام ، إلاّ أننا نجد أن المستعار منه أو المشبه به محذوف من الكلام . كما أشرنا إلى ذلك . لتبقى الاستعارة المكنية هي الواردة في الحديث بأسلوبها الفني الرائع .

ونختم موضوعنا بتعابير وردت في الحديث السابق نفسه ، وبأسلوب الاستعارة المكنية ، عندما سأل الرسول (ﷺ) معاذ ، بقوله : ((**أَلا أُخبِرُكَ برأسِ الأمرِ وعمودِهِ وذروةُ سَنامِهِ** ؟ قُلتُ بلى يا رسول الله ، **قال : رأسَ الأَمرِ الإسلامُ وعمودُه الصلاةُ وذروةُ سَنَامِهِ الجهادُ**)) .

إنّ حرص الرسول (ﷺ) على أداء مبادئ الشريعة الإسلامية قد جعله يستخدم كافة الوسائل لبيانها والإفصاح عنها ، فها هي أوصاف الراحلة والبيئة النبوية ، تتضح عندما جَسَّمَ لنا أمر ديننا بألفاظ محسوسة ، تدل على العلو والرفعة في المنزلة،فالرأس : " هو أصل يدلُّ على تجمع وارتفاع " [2] . أما العمود : فهي الخشبة التي يقوم عليها البيت " [3] ، أما الذروة : فهي أعلى السنام والجمع ذُرى [4] .

ولابُدَّ من الإشارة ، أن صاحب المجازات النبوية ، قد أكد بأن " هذه الألفاظ في الحديث ، كلها مستعارة " [5] ، فتشبيه الإسلام برأس الأمر ، ليشعرنا بأنه من سائر الأعمال ، بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه ، وعدم بقائه دونه [6] .

هذا وإن التصوير الاستعاري في الحديث ، يتحقق أيضاً ، بضمير الشأن : " الهاء " والعائد إلى أمر الدين في قوله : ": عموده ، ذروة سنامه " ، إذ أن ضمير الشأن هنا ، يلفت النظر ويحرك العقل والمخيلة ، لما يحدثه من انسجام يفصل عبارات الحديث فيما بينها، لتتوقف قليلاً في اتاحة الفرصة أمام السامع؛لعقد مشاركة تربط المستعار له (أمر

(1) أسرار البلاغة ، ص 19 .
(2) معجم مقاييس اللغة : 2 / 471 .
(3) لسان العرب : 3 / 303 .
(4) ينظر : الصحاح : 6 / 2345 ؛ معجم مقاييس اللغة : 2 / 352 .
(5) المجازات النبوية ، ص 270 .
(6) ينظر : صحيح الأحاديث القدسية ما حكاه النبي عن رَبِّ البرية، محمد ناصر الدين الألباني ، ص 108.

الدين) بالمستعار منه : المشبه به (عمود وَسنام) مما يحدث الانطباع في النفس وبأسلوب أدق وأبلغ يرفع منزلة الصلاة المقيمة لشعار الدين ، الرافعة لمنار الإسلام ، برفعة العمود الذي عُدَّ الأساس المقيم للخيمة ولا إقامة لها بدونه . ولما أراد (صلوات الله عليه) أن يبين لنا أنه لا رفعة لِلواء هذا الدين ولا إعلاء لكلمته إلاّ بالجهاد ؛ فضلاً عن أن صعوبة وصوله وعلو أمره وتفوقه على سائر الأعمال الأُخرى ، اختار لنا أعلى وأرفع ما في جسم الجمل ، وهو سنامهُ ؛ ليقرن الجهاد به .

3 . الاستعارة التمثيلية :

ضرب من الاستعارة التصريحية يكون الشبه فيها منتزعاً من عدة أمور ، أي من حالة أو هيئة،وفيها نصرح بالمشبه به بدلاً من المشبه،ولا فرق بين الاستعارتين (التصريحية والتمثيلية) ، إلاّ أن واحدة منها تجري في المفرد والأخرى تجري في المركب [1] .

ولم يرد هذا النوع من الاستعارة ، إلاّ في حديثين من أحاديث الكتاب ، الأول منها : يرويه لنا العرباض (رضي الله عنه) بقوله : وعظنا رسول الله (ﷺ) موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصِنا . قال : ((**أوصيكمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، والسَّمعِ والطاعَةِ وإنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكُمْ ، فَسَيرى اختلافاً كثيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتي وسنّة الخُلفاءِ الراشدينَ المهديينَ ،عَضُّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ ، وإيَّاكُمْ وَمُحدَثاتِ الأُمورِ، فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالة**))[2].

لقد كان الرسول (ﷺ) ، يتخول أصحابه بالموعظة الحسنة ، والتذكير بالله دائماً ، خصوصاً إذا كانت هذه الموعظة تحسبنا لواقعة تحدث من بعده . مما استدعى التعبير بكلماتٍ تصدرت الحديث وهي توحي عن قرب وفاة الرسول (ﷺ) ، فتقدمت عبارة : (وجلت منها القلوب) على عبارة : (ذرفت منها الدموع) ؛ لأن وجل القلوب غالباً ما يؤدي إلى سيل الدموع ، أثر الوصية ، وهذا دليل على إخلاص الصحابة (رضي الله عنهم) مع رسول الله (ﷺ) ، " وكان وجه فهمهم لذلك مزيد مبالغته (ﷺ) في تخويفهم وتحذيرهم على ما كانوا يألفون منه من قبل ، فظنوا أن ذلك لِقرب موته ومفارقته لهم ... " [3] .

---

(1) ينظر : البلاغة الاصطلاحية ، ص 62 ؛ الاستعارة في القرآن الكريم ، أحمد فتحي رمضان ، رسالة ماجستير ، ص 148 ،

(2) سبق تخريجه.

(3) دليل الفالحين : 4 / 414 .

إنّ ما أثار أسلوب الاستعارة التمثيلية : " عضوا عليها بالنواجذ " ، تقدم عبارات عدّها شرّاح الحديث من باب الإخبار بالمغيبات أو من باب ضرب المثل بغير الواقع على سبيل الفرض والتقدير [1] . بقوله : وإن تَأَمَّرَ عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم ، فسيرى إختلافاً كبيراً . وبوقفة دقيقة نتأمل فيها اللفظ المستعار : " عضوا " ، تقودنا إلى معرفة السر الكامن في العدول إليه وتوظيفه في الحديث . فالوصف بالعض وما يصاحبه من حركة انفعالية تسهم إسهاماً فعالاً للتمسك بالشيء المراد الحفاظ عنه من الضياع . ومما يزيد بلاغة الاستعارة التمثيلية في الحديث ، أن تكون آلة العض ، بـ " النواجِذِ " وليس أطراف الأسنان فقط . والنواجذ ، لفظ اختلف في الدلالة على معناه ، فقيل أنه مأخوذ من نَجَذ ، وهو " السن بين الناب والأضراس " [2]. وقيل أنها " أقصى الأضراس " [3] . وقيل : أن الأضراس كلها نواجذ ، وهو الأصح [4] عند ابن فارس .

وهكذا استعار الرسول (ﷺ) هذه الحالة ليشبه بها حال مَنْ يتعامل بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ،فقال الشريف الرضي : " المراد ، أن اقطعوا عليها وقفوا عندها ولا تتجاوزوها إلى غيرها " [5] . فالجامع إذن ما بين طرفي الاستعارة ، هو شدة التمسك بشتى الوسائل ، لِئلاّ يضيع الشيءُ المراد التمسك به.وهذه عادته (ﷺ) في نقل المعنى الذهني الذي يجول في فكره وتوظيفه بصورة حسية ، تقرب ذلك المعنى إلى السامع وتشدُّ من انتباهه إليه ؛ ليستجيب له .

وهذا طرف من حديثٍ قدسيٍ ، نختم دراستنا به في هذا المبحث ، يرويه لنا رسول الله (ﷺ) ، عن رَبَّه يقول : ((**يا بْنَ آدم : إنَّك ما دَعَوْتَني ورَجَوْتَني ، غفرتُ لك ما كان مِنْكَ ولا أُبالي**)) [6] .

من أعظم أسباب قبول المغفرة : أن العبد إذا أذنب ذنباً ، لم يَرْجُ المغفرة من غير ربه ، فهو يعلم أنه لا يغفر الذنوب أو يزيل العثرات ، إلاّ الله [7] . وذنوب العبد وإن كثرت فإن عفو الله ورحمته ،أعظم منها. والله ﷻ أراد أن يبين ذلك لابن آدم ،فضرب

(1) ينظر : دليل الفالحين : 4 / 415 .
(2) كتاب العين : 6 / 95 ؛ معجم مقاييس اللغة : 5 / 392 .
(3) لسان العرب : 3 / 513 .
(4) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 5 / 392 .
(5) المجازات النبوية ، ص 110 .
(6) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات: باب فضل التوبة والاستغفار، ح(3540) وقال: حديث حسن صحيح .
(7) ينظر : جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، ص 560 .

المثل بأسلوب الاستعارة ؛ ليشبه حالهُ . تبارك وتعالى . في عدم استعظام الذنوب أو استكثارها بحالة الإنسان الذي لا يستعظم الأمور وإن عظمت ، فلا يبالي لها . وجُعل حرف الواو في قوله : " ولا أُبالي " للحال دون العطف ؛ لأن واو العطف ، لمطلق الجمع ، ولو اعتبرها للعطف ، فَسَيَقْتَضِي أن تكون المغفرة ، تارة تترتب على الدعاء ، وتارة تترتب على الرجاء ، وهو ليس المراد ، بل المراد ، أن المغفرة ، تترتب على الدعاء ، بقيد الرجاء ؛ لذا جعلها للحال ؛ لأن الحال قيد في عاملها ، والمعنى إني غفرت لك مدة دعائك في حال رجائك . وإنما كان الرجاء قيداً في الغفران ؛ لتضمنه حسن الظن بالله والاعتماد عليه [1] .

(1) ينظر : حاشية حسن بن علي على كتاب الفتح المبين ، ص 251 .

الفصل الثانـي

أساليب علم البيان الواردة في أحاديث الكتاب

الفصل الثاني

فنون علم البيان الواردة في أحاديث الكتاب

البيان لغةً : " ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها ، وبان الشيءُ : إتضح ، واستبان الشيء : ظهر ، والبيان : الفصاحة واللسن ، وكلام بين : فصيح ،البيان : إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وأصلهُ الكشف والظهور " [1] .

البيان اصطلاحاً : لو نستعرض مفهوم البيان في التراث البلاغي وصولاً إلى السكاكي (ت 626 هـ) ؛ لوجدنا أنَّ هناك إختلافاً في تحديد معنىً جامعٌ لهُ ، وإنما اكتفيت بمفهوم القزويني (ت 739 هـ) ، الذي استقر عنده وتداولته الكتب البلاغية إذ يقول : " هو العلم الذي يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه " [2] .

مباحثه :

كما اختلف البلاغيون في تحديد مفهوم البيان ، واختلفوا أيضاً في تقسيم مباحثه إلى أن استقر على الشكل الآتي ، إذ يدرس حسب مباحث ثلاثة :

الأول . التشبيه .

الثاني . المجاز ، وهو على ضربين هما :

(أ) المجاز العقلي .

(ب) المجاز اللغوي ، وهو على قسمين هما :

1 . المجاز المرسل .

2 . الاستعارة .

الثالث . الكناية .

وهذا ما سنتناوله بدراسة تحليلية لأحاديث الكتاب وحسب تسلسل تلك المباحث .

(1) لسان العرب : 1 / 300 .

(2) الإيضاح ، ص 120 .

المبحث الثالث

الكنايـة

المبحث الثالث

الكنايـة

الكناية لغةً : يقال : " كنى عن الشيء ، وكنى ولده وكنَّاه بكنية حسنة " [1] ، وقال ابن منظور : هو أن لا نعبر عن الشيء بظاهر ما وضع له من تعابير ، أما إستفحاشاً أو توقيراً أو تعظيماً للرجل [2] .

الكناية اصطلاحاً :

يتبين لنا من خلال التعريف اللغوي السابق ، أن الكناية إصطلاحاً : " أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع لهُ في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئُ إليه ، ويجعلهُ دليلاً عليه " [3] .

فلما كانت غاية الرسول (ﷺ) ، تحقيق التأثير والإقناع بالفكرة التي يريد توصيلها إلى السامعين بأقرب طريقة تنسجم مع متطلباتهم ومتطلبات الغرض المرجو إيصاله إليهم ، اتخذ الكناية وسيلة للوصول إلى ذلك ، لا سيما وأن التعامل مع أمور غيبية تتطلب طريقة تعبر عن ذلك المقصد تعبيراً غير مباشر والكناية وسيلة إلى ذلك . وقد تنوعت بين كناية عن صفة وعن موصوف باعتبار المعنى المكنى عنه . وتلويح وإيماء وتعريض باعتبار الوسائط . وهذا ما سنلتزمه في تقسيمنا للمبحث .

أولاً . الكناية باعتبار المعنى المكنى عنه :

1 . الكناية عن صفة :

وهو أن نذكر الموصوف وننسب له صفة ، ولكننا لا نُريد هذه الصفة وإنما نريد لازمها [4].وقد ورد هذا النوع من الكناية،في سؤال جبريل (عليه السلام) لرسول الله (ﷺ) عن الساعة فأجابه : ((**ما المسؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السائِل**)) . قال

(1) أساس البلاغة : 2 / 322 .
(2) ينظر : لسان العرب : 3 / 305 .
(3) دلائل الإعجاز ، ص 53 .
(4) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها : 2 : 245 .

فأخبرني عَنْ أَمَارَاتِها . **قال : ((أَنْ تَلدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وأَنْ تَرَى الحُفاةَ العُرَاةَ العَالَـةَ رِعَاءَ الشَّاءِ ، يتطاولُونَ في البُنيانِ))** [1] .

من المؤكد ، أن السؤال عن الساعة ، هو أمر غيبي ، لا يعلمه إلاّ الله . تبارك وتعالى . ، فالسؤال عنه ، مضيعة للوقت ، وإجهادٌ للفكر ، ولهذا السبب نلاحظ ، أن الرسول (ﷺ) ، قد صرف أذهان السامعين له، بإلتفاتةٍ فنيةٍ وإجابة دقيقة بقوله : " ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل "

فالرسول (ﷺ) " عندما علم أن المسؤول في الجملة ، ينبغي أن يكون أعلم من السائل ، نفى أن يكون صالحاً لأن يسأل عنه على سبيل الكناية " [2] ، فاستخدم مؤكدين في آن واحد ، هما النفي بـ " ما " و" الباء الزائدة " لتأكيد نفي المعرفة عنهما ، ولكن الله ، قد جعل علامات ، تدل على قربها ؛ لذلك عَدَلَ جبريل (عليه السلام) عن السؤال ؛ لِيُخبرهُ عن اماراتها ، مُحَدِّداً علامتين اساسيتين لها ، الأولى : وردت كنايةً عن صفة ، بقوله : " أن تلد الأمة ربَّتها " والثانية، وردت كنايةً عن موصوف ، بقوله : " وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء ، يتطاولون في البنيان " . وسنتناولها في موضعها القادم .

ولا شك أن الحديث عن علامات قيام الساعة، تتطلب من محدِّثها، أن يأتي بأسلوب خبري مؤكد ؛ ليبيّن تلك العلامات ويرسخها في ذهن السامعين لها ، وهذا ما نلاحظه عند البدء بذكر العلامتين عن طريق أداة التأكيد : " أن " .

ولقد اتفق شرّاح الحديث أن تكون العلامة الأولى ، كناية عن فساد الحال [3] حتى تلد الأَمَةُ . وهي المرأة المملوكة خلاف الحرة [4] ـ إبناً يكون سيداً لها. ولكنهم اختلفوا في تحديد المعنى الكامن وراء العبارة الكنائية وسأعرض تلك الأقوال ، مُرجحاً أحدها ، مبتدئاً بـ :

1 . النووي ، قائلاً : أن تلدَ الأَمَةُ حراً من غير سيدها بوطء ، نُكَاحٍ أَو زنا ، ثم تباع الأَمَةُ في الصورتين ، ثم تدور في الأيدي ، حتى يشتريها ابنها أو ابنتها . أو أن

(1) سبق تخريجه.

(2) شرح الطيبي : 1 / 97 .

(3) ينظر : صحيح مسلم بشرح الامام النووي 117/1 ؛ فتح البارئ : 162/1 ؛ دليل الفالحين : 1/ 223.

(4) المعجم الوسيط : 1 / 28 .

يكـون معنـى العبـارة : أن يكثـر عقـوق الوالـدين ، فيعامـل الولـد أمـهُ معاملـة الـرب المربي لها ، وهو دليل على فساد الأحوال [1] .

2 . قـال الطيبـي : " ومعلـوم أن الأمَّ مربيـةٌ للولـد ، ومـدبرةٌ أمـره ، فـإذا صـار الولـد رَبَّـاً لهـا ومالكـاً . لا سيمـا إذا كانـت بنتـاً . ينقلـب الأمـر ، وهـذا هـو المعنـى بالتشـديد والمبالغـة الموعـود لهمـا ، ثـم وضـع الأمـة ووصـفها بـالولادة ، موضـع الأم ؛ إشـعار بمعنـى الاسـترقاق والاسـتيلاء " [2] . وأضـاف قـائلاً : " أن قولـه : أن تلـد الأمـة ربتهـا دلّ بعبارتـه علـى المقصـود ، وبإشارتـه علـى معنـى آخـر ، وهـو كثـرة المستولدات [3] .

3 . أمـا ابـن حجـر العسـقلاني ، فقـد نقـل الأقـوال السـابقة وأضـاف أن : " تخصـيص بعضـهم بـأن السـبي ، إذا كثـر فقـد يسـبي الولـد أولاً وهـو صـغير ثـم يعتـق ويكبـر ويصـير رئيسـاً بـل ملكـاً ، ثـم تسـبى أمـه مـن بعـده ، يشـتريها عارفـاً بهـا ، أو لا يشـعر أنهـا أمـه ، فيسـتخدمها أو يتخذهـا موطـوءة أو يعتقهـا ويتزوجهـا " [4] ، وهـو أصـح الأقـوال الـذي اسـتند عليـه شـرّاح الحـديث مـن بعـده فجعـل القسـطلاني وابن علان العبارة ، كناية عن كثرة السراري [5] .

والإضـافة فـي قولـه : " ربتهـا " ، جـاءت لعـدم جـواز إطـلاق لفظـة الـرب علـى غيـر الله . تعـالى . إلاّ بالإضـافة ، وحينئـذٍ يجـوز أن يقـال ربـة البيـت أو ربـة الأولاد [6] ، فالرسـول (ﷺ) ، أراد بـالرَّب هنـا مصـحوبة بالإضـافة ، للمبالغـة والتشديد ، إذ إن إضافة الضمير : الهاء ، جاء بسبب مولاة ابنها بعد أبيها .

وهكذا كانت الكناية في الحديث،وسيلة الرسول (ﷺ) في عدم إبراز المعنى الذي قد يسـتفحش مـن ذكـره أمـام جبريـل (عليه السلام) وأمـام الصـحابة الجالسـين معـه (ﷺ) ،

(1) ينظر : صحيح مسلم بشرح الامام النووي : 1 / 117 .
(2) شرح الطيبي : 1 / 99 .
(3) م . ن : 1 / 99 .
(4) فتح البارئ : 1 / 162 .
(5) ارشاد الساري : 1 / 205 ؛ دليل الفالحين : 1 / 223 .
(6) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 97 ؛ المعجم الوسيط : 1 / 28 .

فضلاً عن كونها ، وسيلة من وسائل الإيجاز في القول والتي أدت المعنى المراد إيصاله إلى السامعين بأوجز لفظ وأدق عبارة .

2 . الكناية عن موصوف :

و " ضابط هذا النوع من الكناية ، أن يذكر الصفة والنسبة ولا نذكر الموصوف المكنى عنه " [1] ، وسنتناول العلامة الثانية التي وَرَدَتْ في الحديث السابق بقوله (ﷺ) : ((**أَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ رِعَاءِ الشَّاءِ ، يتطاولون في البنيان**)) .

إذ اتفق شرّاح الحديث على أن العبارة ، كناية عن موصوف " الأسافل " [2] . فالرسول (ﷺ) ، أراد أن يرسم لنا صورة هؤلاء ، فاستخدم صفات ، تأخذنا إلى أفق بعيد ، نتصور فيه ماضي هؤلاء ، والواقع الذي كانوا يعيشونه وهم حُفاة ، عراة عالة ، لا سيما وأن اقتران تلك الأوصاف بأل التعريف،قد أضفى عليهم طابع الفقر منذ النشأة . و" أل التعريف "هنا وإن كانت تحمل معنى الإستغراق ، إلاّ أن العادة القطعية ، دالة على التخصيص ، فالأَولى أن نعدّها للماهية ،وهذا ما قَرَّرَهُ شرّاح الحديث [3] . وخَص رِعَاءِ الشَّاء ، لأنهم أضعف الناس ، ومن ثم قيل أن التعبير برِعَاءِ الشَّاء، أنسب بالسياق من رعاء الإبل ، كما في بعض الروايات ، والسبب في ذلك ، أن رعاء الإبل هم غالباً ما يكونون ، أصحاب فخر وخيلاء وليسوا عالة أو فقراء [4] .

إنّ الوصف الكنائي ، يزداد تناسقاً ، بحسن العرض ، وجمال الأسلوب ، ودقة الصياغة ، لا سيما وأن البدء تعبيراَ بالرؤية وتصدر الأداة : " أن " ، قد أفاد تحقيق فعل الرَّؤية المستقبلية لأصحاب تلك الأوصاف ، حتى ينقلنا سياق الحديث ، بنقلة رائعة ، تصوِّرهم وهم يتطاولون في البنيان والتي عدّت بناطحات السحاب ؛ لعظيم ارتفاعها .

وقد أطلق الطيبي على نوع الكناية في الحديث الشريف مصطلح الكناية الزبدية ، وهذا المصطلح لم يشر إليه دارسو البلاغة فلم أجد له وروداً في كتبهم . ويعلل سبب إطلاقه لهذا المصطلح : أن الكناية الواردة في الحديث ،لا ينظر فيها ، إلاّ على مفردات

---

(1) البلاغة فنونها وأفنانها : 2 / 250 .

(2) ينظر : ارشاد الساري : 1 / 215 ؛ دليل الفالحين : 1 / 223 .

(3) ينظر : دليل الفالحين 1 : 223 .

(4) ينظر : م . ن : 1 / 223 .

التركيب ، ولا يكون النظر فيها حقيقة أو مجازاً ، بل يؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع ، على أن الأَذِلَّةَ من الناس ، ينقلبون أعزة ، ومراعاة المطابقة ، اقتضى أن ينقلب الأعزة أذلة ، كما انقلب الأذلة أعزة [1] . وقال ابن علان : أن العبارة كناية عن اسناد الأمر لغير أهله،وصيرورة الأسافل من ضعفاء أهل البادية ، الغالب عليهم الفقر ، ملوكاً أو كالملوك ، حتى يشرئبون لإنقلاب الأحوال واتساع الدنيا عليهم بعد ضيقها إلى تشييد المباني وهدم أركان الدين ، بعدم العمل بأحكام القرآن الكريم والسنّة النبوية [2] .

ثانياً . الكناية باعتبار الوسائط :

1 . التلويح :

هو الكنايـة التـي بينها وبين المكنى عنه ، مسافة متباعدة ؛ لكثرة الوسائط ... " [3] ، وفيها " يقوم المبدع بالإشارة إلى ما يريد ، دون أن يذكره بل يكنى عنه ، أي يقوم بإضماره ويعمل المتلقي على الإفادة من القرائن المذكورة لتأويل المضمر " [4] . وقد ورد التلويح ، في حديث ترويه لنا أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ، قالت : قال رسول الله (ﷺ) : ((**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ، مَا لَيْسَ مِنْهُ ، فَهُوَ رَدٌّ**)) [5] .

فمن الملاحظ أن الكناية في الحديث ، لا نستطيع إظهارها إلاّ عبر وسائط عديدة ؛ نظراً للمسافة المتباعدة بين اللفظ المكنى . عبارة الحديث جملة . وبين المعنى المكنى عنه ، فالحديث يأخذنا إلى أفق بعيد ، يجعلنا نتطلع فيه إلى معاناة الرسول (ﷺ) والصعوبات التي واجهته من أجل إيصال الرسالة السماوية إلى العباد ، بنشر الإسلام وترسيخ قواعده وأحكامه وأوامره ونواهيه ، وبتوفيق من ربه . تبارك وتعالى . نجح الرسول (ﷺ) في اداء تلك المهمة ، بشهادة : ﴿ **أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [6] ، والرسول (ﷺ) ، عندما أحسَّ . والله أعلم . أن هناك

(1) ينظر : شرح الطيبي : 1 / 99 .
(2) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 223 .
(3) الإيضاح ، ص 327 .
(4) المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ، ابراهيم محمد ، رسالة ماجستير ، ص 78 .
(5) أخرجه الترمذي في كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ح(2550).
(6) سورة المائدة ، الآية (3) .

أحداثاً مستقبلية تقع بعد وفاته، تغير مجرى تلك الأحكام ، استخدم أسلوب التلويح في الحديث ، ليبين لنا أن الدين ، قد كمل وظهر كظهور الشمس [1] ، " بحيث لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة " [2] ، وجيء بالشرط والجزاء ؛ ليرسخ لنا قاعدة مهمة ترد الحدث الذي " هو الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة ، والمحدث ، هو الأمر المبتدع نفسه " [3] . وهناك لطيفة هي حُسن اختيار اللفظ : " أمرنا " بدلاً من ديننا ، تنبيهاً على أن هذا الدين ، هو أمرنا الذي نهتم به والأمر الذي يجب أن لا ننشغل عنه ، فحينئذٍ ، سيكون كل فرد منّا مسؤولاً عن إقامته ورد المحدثات عنه [4] . لا سيما وأن اقتران لفظ " أمرنا " باسم الإشارة " هذا " ، قد أنزل ذلك الأمر . الدين . منزلة المحسوس المشاهد ،الكامل الأوصاف ، دون نقص أو زيادة تعتريه ؛ نظراً لما يثيره اسم الإشارة من دلالة على قرب المشار إليه وتميزه أكمل تميز . وصيغ الرد النبوي على مَنْ يحاول إدخال المحدث الخارج عن الدين ، بصيغة الجملة الأسمية وبأسلوب القصر بضمير الفصل : " هو " ليؤكد ثبوت حكم رد المحدث عنه، ودوامه،لا سيما وأن مجيء الأخبار بالمصدر : " رد " بدلاً من اسم المفعول : " مردود " مع أن مقام السياق له ، قد زاد الأمر تأكيداً أو مبالغة في رد المحدث ؛ لأن مَنْ رام له زيادة على الدين ، فكأنما وجده قاصراً يعتريه النقص ، وهذا من قصور فهمه ، أما إذا شهد له من أدلة الشرع أو قواعده فليس برد بل مقبول [5] .

(1) ينظر : فيض القدير : 6 / 47 .
(2) شرح الطيبي : 1 / 323 .
(3) لسان العرب : 2 / 131 .
(4) ينظر : فيض القدير : 6 / 47 ؛ الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 430 .
(5) ينظر : فيض القدير : 6 / 47 .

2 . الإيماء أو الإشارة :

هو الذي قلّت وسائطه ، مع وضوح الملزوم [1] . وقد ورد هذا النوع من الكناية في طرف من حديث قدسي برواية الرسول (ﷺ) عن ربه : ((**يا عبادي . إنَّما هِيَ أعمالُكُم ، أَحْصِيْهَا لكم ، ثُمَّ أوفِّيكُم إيَّاها ، فَمَنْ وَجَدَ خيراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، ومَنْ وَجَدَ غيرَ ذلك ، فلا يَلُومَنَّ إلاّ نَفْسهُ**)) [2] .

فمن الملاحظ أن الله . تبارك وتعالى . أراد إرجاع الأعمال التي يقوم بها الإنسان . ، نفعها وشرها . إلى أصحابها . فاستخدم أداةٍ " ترد الشيء إلى حقيقته " [3] ، وهي أداة القصر : " إنما " التي وضعت أساساً للشيء الذي لا ينكره المخاطب ولا يجهله [4] . فخطاب العباد بتلك الأداة ، جاء لينبِّههم على قضية حري بهم أن لا يغفلوا عنها وهي إحصاء جميع الأعمال في الدنيا وعدم الإغفال عنها ، لإيفائها إلى أصحابها في الآخرة . وسياق الشرط والجزاء ، يبرز لنا أسلوب الكناية الإشارية بقوله : " فمن وجد خيراً فليحمد الله إشارة إلى المؤمن الصالح الذي اهتدى بهداية الله لهُ ، فنال تلك المنزلة. أما قوله: " وَمَنْ وجد غير ذلك " فهو إشارة إلى أنه، قد حرم من تلك المنزلة ؛ لأنه استمر على ضلاله ولم يَتُب ، فعبر عن الشر بأسلوب الكناية الإشارية ، التي من خصائصها أنها تمنع من استخدام الألفاظ المستهجنة أو المؤذية تنبيهاً لنا كيفية النطق والأدب في الكلام [5] . وهنا يبرز أسلوب القصر بالنفي والاستثناء : " لا وإلا " ؛ ليثبت أن اللَّوم ، يجب أن يحصل من الإنسان المسيء نفسه ونفيه عن غيره . ومن المعروف أن الجملة الفعلية ،تفيد التجدد والحدوث،ونفي فعل اللَّوم . وهو مضارع . يقطع الأَمل في تجدد النظر في هذا الحكم . وخصص اللوم ؛ لأن الإنسان وهو يساق إلى عذاب جهنم ، وقد تخلى عنه الأهل والأقارب والشيطان الذي كان يأمره بتلك الأعمال السيئة التي كانت سبباً لدخول النار ، لم يجد وسيلةً ، إلاّ اللوم ، لدرجة إنكاره تلك الحقيقة ، عساهُ يتجنب العذاب ؛ لذا استدعى مجيء القصر بالنفي والاستثناء والتي تستخدم مع المخاطب الذي ينكر الحقيقة ويجهلها ، لا سيما وأن مجيء القصر بصيغة الإفراد :

(1) ينظر : مفتاح العلوم ، ص 543 ؛ فنون بلاغية ، ص 377 .

(2) سبق تخريجه.

(3) دقائق العربية ، أمين ناصر الدين ، ص 93 .

(4) دلائل الإعجاز ، ص 239 .

(5) ينظر : فيض القدير : 4 / 628 ؛ دليل الفالحين : 1 / 331 .

" نفسه " قد كان " أشد تقريعاً لهُ وإيماءً بذمِّه ، وقلة إنصافه ، فإنه يحسب طاعته من عمله لنفسه ، ولا يسندها إلى التوفيق ويتبرأ من معاصيه ويسندها إلى الأقدار " [1] . فالمعاصي التي يترتب عليها العقاب ، وإن كانت بقدر الله ، فهي في الوقت نفسه ، بكسب العبد وما جنته يداه ، لتفريطه بالكسب القبيح [2] .

3 . التعريض :

التعريض ، خلاف التصريح . وقد فرّق البلاغيون بينه وبين الكناية ، بأن التعريض ، يُفهم من قصد المتكلم : " المعنى " وليس عن طريق اللفظ [3] ، كما هو شأن الكناية ، وقد ورد التعريض في حديث يرويه لنا أبو هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) ، أنه قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ((**ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، فاجتنِبُوهُ ، وما أمرتُكُمْ بِه ، فأتوا مِنْهُ ما استطعتُم ، فإنَّما أَهْلَكَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، كثرةُ مسائِلِهِم وأختِلافُهُم على أنبيائِهِمْ**)) [4] .

فالحديث يبدأ باستدراج المتلقي؛لشدِّ انتباهه وزيادة نشاطه ، بتقديم لافتة قصيرة ، تعجل بالحكم المراد توصيله إلى السامعين . حتى ينقلنا بنقلة فنية إلى غرض الحديث الذي عُدَّ من أجله ، مُبتدئاً بأداة القصر : " إنما " والتي وصفها عبد القاهر الجرجاني بقوله : " وأحسن ما يستعمل في " إنما " التعريض ، فإذا استقريت ، وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لإيراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه " [5] . فالرسول (ﷺ) لم يقصد ظاهر اللفظ المقصور بعد إنما ، فحسب ، وإنما قصد به أمراً آخر ، وهو التعريض بهلاكهم إذا فعلوا فعل من قبلهم. وهناك احتمالٌ أن يكون التعريض بذم أولئك الذين يكثرون الأسئلة : " لِما فيها غالباً من التعنت ، وخشية أن تقعَ الإجابةُ بأمر يستثقل ، فقد يؤدي لترك الامتثال ، فتقع المخالفة ... " [6] كالسؤال عمّا لا يكون له شاهد في عالم الحس ،

---

(1) فيض القدير : 4 / 628 .
(2) ينظر : دليل الفالحين : 1 / 331 .
(3) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، ص 381 . 388 .
(4) سبق تخريجه.
(5) دلائل الإعجاز ، ص 239 .
(6) فتح البارئ : 13 / 320 .

والسؤال عن قرب الساعة وعن الروح وغيرها مما لا يعرف به إلاّ بالنقل الصرف [1] . والتعبير بالمضي : " أهلك " يشمل في المعنى ما حضر وقت الخطاب وهو سبب ورود الحديث * وما سيستقبل من تحذير من الوقوع في تلك المزالق ، وتساوي ما سيكون بما قد كان . وقدّم المفعول " الذين " على الفاعل " كثرة " ؛ لتخصيص الهلاك للذين يكثرون المسائل ، لا سيما وأنَّ الإشارة باسم الموصول : الّذين ، قد استحضر لنا صورة ما مضى وما سيحصل من تجدد وحدوث الهلاك . بينما عطف قوله " اختلافُهُم " على قوله " كَثْرَةُ " ، ولم يعطف على قوله " مسائِلِهِم " ؛ لأن الفعل : " أهلك " ، يتعلق بمطلق الإختلاف لا بكثرته ، ولو عطف اختلاف على مسائل ؛ لكان المعنى مسائلهم وكثرة اختلافهم ، ولكون الهلاك مقترناً بكثرة الاختلاف [2] .

وذكر ابن حجر العسقلاني ، رأياً آخر عند تحليله للحديث الشريف ، فقال : وفي الحديث إشارة إلى الانشغال بالأهم المحتاج إليه عاجلاً عمّا لا يحتاج إليه في الحال ، فكأنه قال : عليكم بفعل الأوامر واجتناب النواهي ، فاجعلوا اشتغالكم بها عوضاً عن الإنشغال بالسؤال عمّا لم يقع [3] .

---

(1) ينظر : عمدة القاري : 25 / 49 .

* جاء في بعض الروايات ، أن سبب ورود هذا الحديث ، ما يرويه لنا ابن زياد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : خطبنا رسول الله (ﷺ) فقال : ((**يا أيها الناس ، قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله (ﷺ) : لو قلت : نعم ؛ لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتم**)) ، ثم ذكر الحديث السابق كاملاً . أخرجه أحمد في كتاب باقي مسند المكثرين: باب باقي المسند السابق، ح(10229).

(2) ينظر : حاشية حسن بن علي على كتاب الفتح المبين ، ص 173 .

(3) ينظر : فتح الباري : 13 / 324 .

جدول احصائي يبين لنا أساليب علمي المعاني والبيان الواردة في أحاديث الكتاب

جدول إحصائي يبين لنا أساليب علمي المعاني والبيان الواردة في أحاديث الكتاب

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
1	**الاخلاص** عن أمير المؤمنين أَبي حفص عمر بن الخطاب (ﷺ)، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : . إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئٍ ما نوى ـــ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله . ـــ ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه .	الخبر إنكاري + القصر بـ " إنما " + التعريف بألـ : إيجاز قِصَرٍ. الخبر إنكاري + القصر بـ " إنما ". التكرار تلذذاً . مجاز مرسل + التنكير للتحقير : دنيا . استعارة تصريحية .	+98+88 104
2	**قواعد الإسلام** عن عمر (ﷺ) قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى	استعارة مكنية	+62+60 +94+80 127+107 +146+ 164+161

توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة	الفن البلاغي	الحديث وموضع الشاهد	رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب
	تقديم المفعول على الفاعل . نداء + التعريف بالعلمية : محمد الأمر: أخبرني .	عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منّا أحدٌ ، حتى جلس إلى النبي (ﷺ) ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كَفيه على فخديه ، وقال : يا محمد ، أخبرني عن الإسلام .	
	القصر بالنفي والاستثناء : لا إله إلاّ الله .استعارة تصريحية أو مجاز مرسل . التنكير للعموم : سبيلاً . أمر . الخبر طلبي . التقديم لغرض الترتيب . الوصل: بدل اشتمال . الخبر طلبي . تشبيه مفرد : كأنك تراه + حذف جملة ، التقدير : فإن لم تكن تراه فاعبده فإنه يراك . أمر . الخبر إنكاري بما النافية والباء الزائدة لتوكيد النفي + كناية .	ـ قال : " الإسلام ، أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البين إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت . قلنا:فعجبنا لَهُ يَسْأله ويصدقه . قال فأخبرني عن الإيمان : . قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره " . قال : صدقت. قال: فاخبرني عن الإحسان : . قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك " . قال : فأخبرني عن الساعة . . قال: "ما المسؤول عنها، بأعلم من السائل " .	

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	قال : فأخبرني عن اماراتها . قال : " قال أن تلد الأمة ربتها " . " وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان " . ثم انطلق ، فلبث ملياً . ثم قال : يا عمر ، أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلمُ . قال : فإنه جبريل ، أتاكم يعلمكم دينكم .	أمر . الخبر طلبي+ كناية عن صفة . الخبر طلبي + التعريف بأل + كناية عن موصوف . النداء + التعريف بالعلمية + الاستفهام بالهمزة . الخبر طلبي + التعريف بالعلمية.	
3	**في دعائم الإسلام** عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان " .	الخبر ابتدائي + استعارة مكنية + حذف الموصوف ، التقدير : على خمس دعائم . الفصل ؛ لكونه جملة : " شهادة أن ... " وما يتبعها بدل اشتمال للأولى . القصر بالنفي والاستثناء + استعارة تصريحية: إقام الصلاة . أو مجاز مرسل .	**+121** **+146** **155**

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
4	**أحوال الإنسان** عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود (ﷺ) قال : حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق : " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك . . " ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويأمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي وسعيد " . . فو الله الذي لا إله غيره . - إن احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع ، فيسبق عليه الكتاب . . فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . - وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب . . فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .	الخبر طلبي + التعريف بالضمير + مجاز مرسل + التعريف باسم الإشارة والخبر يفيد التعظيم . التعريف بألـ : للعهد : الملك + حذف المبتدأ ، التقدير هو شقي أو هو سعيد . الخبر طلبي + التعريف باسم الموصول : الذي . الخبر إنكاري + التعريف بالضمير التعريف بألـ ، للعهد : الكتاب . الخبر طلبي . الخبر إنكاري + التعريف بالضمير + التعريف بألـ ، للعهد : الكتاب . الخبر طلبي .	77+21

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
5	**النهي عن البدع** عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ، قالت : قال رسول الله (ﷺ) : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ .	الخبر ابتدائي + التعريف باسم الإشارة + التلويح .	165
6	**ترك الشبهات** عن أبي عبد الله النعمان بن بشير (رضي الله عنهما)،قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " إنّ الحلال بيّن وإنَّ الحرام بيّن ، وبينهما أمورٌ مُشتبهات ، ـ لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعَرضه ومن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمُهُ ، ـ ألا وان في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت ، فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب .	الخبر طلبي + إيجاز قصر + تقديم الخبر على المبتدأ تشبيه تمثيلي . تقديم خبر ان على اسمها ، التنكير للعموم : ملك . الخبر إنكاري ، التنكير للتعظيم : مضغة + الاستعارة التصريحية : صلح + فسد.	150+133

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
7	**النصيحة** عن أبي رُقيَّة بن أوس الداري (ﷺ) ، أن النبي (ﷺ) ، قال : . " الدين النصيحة " قلنا : لِمن ؟ " لله ولكتابـــه ولرســـوله ولأئمـــة المســـلمين وعامتهم "	التعريف بأل : الدين النصيحة ، ويجوز التشبيه البليغ ، الاستفهام بـ " مَنْ " . إيجاز حذف ، التقدير : النصيحة لله + الترتيب . اطناب : عطف العام : " عامتهم " على الخاص : أئمة المسلمين .	97+23
8	**حرمة المسلم** عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال : " أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا الـه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة.فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم،إلاّ بحق الإسلام ، وحسابهم على الله " .	إيجاز حذف + الخبر طلبي ، القصر بالنفي والاستثناء . استعارة أو مجاز مرسل . التعريف باسم الإشارة . إيجاز حذف : التقدير وحسابهم كائن على الله .	146+72

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
9	**لا تكليف إلاّ بقدر الاستطاعة** عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر(رضي الله عنه)قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما أستطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم ، كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم " .	أمر . القصر بإنما + التعريض + التعريف باسم الموصول : الذين . تقديم المفعول : الذين على الفاعل : كثرة	168+33
10	**أكل الحلال** عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : . " ان الله تعالى طيب لا يقبل إلاّ طيباً .	الخبر انكاري . التنكير للتعظيم : طيب + كناية عن تنزهه عن الخبائث+ القصر بالنفي والاستثناء .	51+48
	. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ . . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ،	نداء + أمر للاباحة نداء + التعريف باسم الموصل + أمر للاباحة . التعريف بأل : الرجل السفر . كناية عن رثاثة الهيئة .	

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	يمد يديه إلى السماء ، يا رب ! يا رب ! ومطعمه حرامْ ، ومشربه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لَهُ .	نداء + اطناب + الوصل ؛ لاتفاق الجمل خبرياً . استفهام بأنى، خرج لغرض التعجب أو الاستبعاد.	
11	**الورع** عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله (ﷺ) وريحانته (رضي الله عنهما) قال : حفظت من رسول الله (ﷺ) : " دع ما يريبك إلى مالا يريبك " .	أمر للندب	34
12	**لا تتدخل فيما لا يعنيك** عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : " من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه " .	تقديم الخبر على المبتدأ تشويقاً	59
13	**المحبة** عن أبي حمزة أنس بن مالك (ﷺ) خادم رسول الله (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه " .	التعريف بالضمير	

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
14	**متى يهدر دم المسلم** عن ابن مسعود (ﷺ) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : " لا يحل دم امرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة " .	القصر بالنفي والاستثناء + كناية عن القتل . الوصل؛ لإتفاق الجمل خبراً .	
15	**آداب عالية** عن أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال : " مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم جاره.ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه " .	الإطناب : تكرار جملة مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر + الأمر ندباً : فليقل ، فليصمت ، فليكرم	87
16	**الغضب** عن أبي هريرة (ﷺ) أن رجلاً قال للنبي (ﷺ) : أوصني . قال : " لا تغضب " فردَّدَ مِراراً ، قال : " لا تغضب " .	نهي + إطناب + إيجاز قِصَر	41

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
17	**الإحسان** عن أبي يعلى شداد بن أوس (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) ، قال : إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته .	الخبر طلبي الأمر للوجوب : " فأحسنوا " الإطناب : عطف الخاص : " إذا ذبحتم " على العام : " إذا قتلتم " وأحكم الوصل بين الجملتين ؛ لاتفقاهما في الخبر والإنشاء . الأمر للوجوب : ليحد + ليرح + التعريف بالضمير + المجاز المرسل : شفرته واحكم الوصل بين الجملتين ؛ لاتفاقهما في الإنشاء .	30+29
18	**آداب إسلامية** عن أبي ذر جندب بن جُنادَةَ وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل (رضي الله عنهما) ، عن رسول الله (ﷺ)، قال : " اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها،وخالق الناس بخلقٍ حسن ".	الأمر وجوباً : أتقِ + اتبع + خالق . مجاز عقلي : تمحها . الوصل ؛ لأتفاق الجمل خبراً وانشاءً .	140+120

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
19	**عناية الله** عن أبي العباسي عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ، قال : كنت خلف النبي (ﷺ) يوماً فقال : " يا غلام إني أعلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فإسأل الله، وإذا إستعنت فاستعن بالله . واعلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلاّ بشيءٍ قد كتبه الله لك . وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك ، إلاّ بشيءٌ قد كتبه الله عليك .	نداء + الخبر طلبي . التنكير للتعظيم : كلمات + الفصل ؛ لكون جملة احفظ الله يحفظك ، عطف بيان أو بدل من كلمات . الأمر للوجوب : احفظ+الفصل ؛ لكون جملة احفظ الله تجدهُ تجاهك توكيد للجملة التي سبقتها ويحتمل أن تكون بدل ثاني من كلمات + مجاز مرسل : تجاهك. الفصل ، لكون جملة إذا سألت جواباً لسؤال مقدر : وكيف يحفظ الإنسان الله ؟ الأمر للوجوب : فأسأل + استعن . الأمر + الخبر انكاري + القصر بالنفي والاستثناء + الخبر إنكاري + تقديم المفعول على الفاعل . الخبر إنكاري + القصر بالنفي والاستثناء + تقديم المفعول على الفاعل .	**109+60 +117+ 145**

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	رُفِعَتْ الأَقلامُ وجفت الصحف . " احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك . وأعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً .	الفصل ؛ لكون جملة رفعت الأقلام توكيد للجملة التي سبقتها + كناية عن كتابة المقادير والفراغ منها . الأمر للوجوب : أحفظ + مجاز مرسل:أمامك + الفصل،لاختلاف الجملتين خبراً وانشاء . الخبر إنكاري + الوصل ؛ لاتفاق الجملتين خبراً . الخبر طلبي + الوصل لاتفاق الجمل خبراً + تقديم خبران على اسمها .	
20	**الحياء** عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري (ﷺ) ، قال : قال رسول الله : " إنَّ مِمَّا أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى إذا لَمْ تستح فاصنع ما شئت .	الخبر طلبي + تقديم خبر إنَّ عَلى اسمها . الأمر مجازي .	36
21	**الاستقامة** عن أبي عمرو . وقيل أبي عمرة . سفيان بن عبد الله الأنصاري (ﷺ) قال : قلت : يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرك . قال : " قل آمنت بالله ثم استقم .	نداء . ايجاز قصر + الأمر للوجوب .	53

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
22	**ما يدخل الجنة** عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنهما) أن رجلاً سأل رسول الله (ﷺ) ، فقال : أرأيت إذا صليت المكتوبات ، وصمت رمضان ، وأحللت الحلال ، وحرّمت الحرام ، ولم أزد على ذلك شيئاً ، أدخل الجنة ؟ قال : " نعم "	الاستفهام بالهمزة : + التعريف بأل : المكتوبات ، الحلال ، الحرام . الوصل ؛ لكون الجمل : صمت رمضان ، وأحللت الحلال ، وحرّمت الحرام ، قصد اشراكهم في الحكم الإعرابي للجملة : صليت المكتوبات. التعريف باسم الإشارة + التنكير للتحقير : شيئاً الاستفهام بالهمزة حذف الجملة ، التقدير : قال : نعم تدخل الجنة .	81
23	**الإسراع في الخيرات** عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : " الطهور شطر الإيمان " والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض . والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو ، فبائعٌ نفسهُ فمعتقها أو موبقها .	تشبيه بليغ + التعريف بأل . الوصل ، لاتفاق الجمل خبراً . أسلوب الأمر بالمصدر:سبحان الله. تشبيه بليغ + الوصل لاتفاق الجمل خبراً . الفصل ؛ لكون جملة " كل الناس يغدو " لم نقصد اشراكها مع سابقتها ؛ لأن التشريك يغير المعنى + التعريف بأل : الناس + حذف المبتدأ، التقدير : فهو بائع نفسه + مجاز عقلي.	+76+32 120+118 +130+ 143

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
24	**صفات الله** عن أبي ذَرٍّ الغفاري (ﷺ) عن النبي (ﷺ) فيما يرويه عن ربه ﷻ ، أنه قال : ـ يـا عبـادي إنـي حرمـت الظلـم علـى نفسـي وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا .	نـداء ، الخبـر طلبـي + التعريـف بالإضـافة + اسـتعارة تمثيليـة + التعريـف بالضـمير . النهـي : لا تظالموا .	54+65+ 66+71+ 136+151 167+
	ـ يـا عبـادي ، كلكـم ضـال إلاّ مـن هديتـه ، فاستهدوني أهدكم .	نداء ، الخبر طلبي + التعريف بالإضافة ، التنكير للعموم : كل، ضال + أمر + التعريف بالضمير .	
	ـ يـا عبـادي ، كلكـم جـائع إلاّ مـن أطعمتـه ، فاستطعموني أطعمكم .	نـداء ، الخبـر طلبـي + التعريـف بالإضـافة +أمـر+ التعريـف بالإضافة .	
	ـ يـا عبـادي ، كلكـم عـار إلاّ مـن كسـوته ، فاستكسوني أكسكم .	نـداء ، الخبـر طلبـي + التعريـف بالإضـافة + أمـر + التعريـف بالضمير .	
	ـ يـا عبـادي ، إنكم تخطئـون بالليـل والنهـار ، وأنـا اغفـر الـذنوب جميعـاً ، فاسـتغفروني أغفر لكم .	نـداء ، الخبـر طلبـي + التعريـف بالإضـافة+ التقـديم لغـرض التشريف . أو الايجاد .	
	ـ يـا عبـادي إنكـم لـن تبلغـوا ضُـري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.	نـداء ، الخبـر طلبـي + التعريـف بالإضافة + التعريف بالضمير + التعريف بالإضافة	

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	ـ يا عبادي ، لو أنَّ أوَّلكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم	نداء + التعريف بالإضافة + حذف الفعل ، التقدير : " لو حدث أن أولكم ... " + الخبر طلبي + التقديم لغرض الترتيب : أولكم وآخركم .	
	كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً .	التعريف بالضمير + التعريف باسم الإشارة + التنكير للتحقير : شيئاً .	
	ـ يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً .	نداء + التعريف بالإضافة + حذف الفعل + الخبر طلبي + التعريف بالضمير + التقديم لغرض الترتيب : أولكم وآخركم + الإطناب + التعريف بالضمير + التعريف باسم الإشارة + التنكير للتحقير : شيئاً .	
	ـ يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلاّ كما ينقص المِخيط إذا أدخل البحر .	نداء + التعريف بالإضافة + حذف الفعل + الخبر طلبي + التعريف بالضمير + اطناب . التعريف باسم الإشارة + التعريف بالإضافة + التشبيه التمثيلي .	

توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة	الفن البلاغي	الحديث وموضع الشاهد	رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب
	نداء + التعريف بالإضافة + الخبر انكاري + القصر بإنما يصاحبها التعريض + الأمر : " ليحمد " . كناية + التعريف باسم الإشارة + القصر بالنفي والإستثناء+ إيماء.	ـ يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ، ثم أوفيكم إيَّاها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومَنَّ إلاّ نفسه .	
101+45 116+	نداء + التعريف بالإضافة تشبيه استفهام بالهمزة الخبر إنكاري + الفصل ؛ لكون الجملة عطف بيان لسابقتها ويحتمل أن تكون بدلاً منها + تقديم خبران على اسمها . إيجاز حذف ، التقدير : وإن بكل تكبيرة صدقة + الوصل ، قصد إشراك الجملة مع سابقتها في الحكم الإعرابي ، وكذلك الشأن بالنسبة للجمل الآتية بعدها + تقديم خبر أن على اسمها .	**ذهب أهل الدثور بالأجور** عن أبي ذر (ﷺ) ، أن اناساً من أصحاب رسول الله (ﷺ) ، قالوا للنبي (ﷺ) ، يا رسول الله ، ذهب أهل الدُّثور بالأُجور ، يُصلونَ كما نُصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . قال : " أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقونَ ، إنَّ بكل تسبيحة صدقة . وكل تكبيرةٍ صدقة "	25

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	. وكلِّ تحميدةٍ صدقة	إيجاز حذف ، التقدير وإن بكل تحميدة صدقة + تقديم خبران على اسمها .	
	. وكل تهليلةٍ صدقة	إيجاز حذف ، التقدير : وإن بكل تهليلة صدقة + تقديم خبران على اسمها + الوصل،لإتفاق الجمل خبراً .	
	وأمرٍ بالمعروف صدقة	أيجاز حذف ، التقدير : وإن بكل أمر بالمعروف صدقة + التنكير : أمر + التعريف بأل : المعروف + تقديم خبر أن على اسمها .	
	ونهيٍ عن منكر صدقة	إيجاز حذف ، التقدير وإن بكل نهي عن منكر صدقة + التنكير للتحقير : منكر + تقديم خبر إن على اسمها .	
	. وفي بضُع أحدكم صدقة	إيجاز حذف ، التقدير : أن في بضع أحدكم صدقة + التعريف بالضمير + كناية عن الجماع .	
	. قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟	نداء + التعريف بالإضافة + الاستفهام بالهمزة + تقديم خبر يكون : " لَهُ " ، " فيها " على اسمها " أجر " .	

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	. قال : " أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزرٌ ؟ . فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ .	الاستفهام بالهمزة . + الاستفهام ، بالهمزة + تقديم خبر كان على اسمها . التعريف باسم الإشارة : ذلك + التعريف بأل : الحلال + تقديم خبر كان على اسمها .	
26	**شكر النعم** عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : " كل سُلامى من الناس عليه صدقة . . كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة. . والكلمة الطيبة صدقة . . وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة . . وتميط الأذى عن الطريق صدقة .	تقديم الخبر على المبتدأ . إيجاز حذف، التقدير : وتعدل بين اثنين. التعريف بأل : الكلمة + إيجاز قصر . الخبر طلبي + تقديم الخبر على المبتدأ . الخبر ابتدائي + التعريف بأل : الأذى .	58

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
27	**البر والاثم** عن النَّواس بن سمعان (ﷺ)،عن النبي(ﷺ) قال : " البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس " . وعن وابصة بن معبد (ﷺ) قال : أتيت رسول الله (ﷺ) ، فقال : " جئت تسأل عن البر ؟ قلت : نعم قال : " استفت قلبك ، البر ما أطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك .	التعريف بأل : البر ، الإثم + استعارة : حاك . استفهام محذوف الأداة ، التقدير : أجئت تسأل عن البر؟+ أمر استعارة تتميم	+46+24 90
28	**وصية** عن أبي نجيح العِرباض بن سارية السلمي (ﷺ) ، قال : وعظنا رسول الله (ﷺ) موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ،فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا .قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة ، وإن تأمَّر عليكم عَبدٌ ،	تشبيه + طلب اطناب : عطف الخاص : السمع والطاعة على العام : تقوى الله . التنكير للتحقير : عبدٌ + إيجاز حذف : حذف جملة الشرط المقدر :وإن تأمَّر عليكم عبدٌ أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة .	+31+25 +116+86 157

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	. فإنه مَنْ يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، . عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كُلَّ بدعَةٍ ضلالةٌ "	الخبر إنكاري + التعريف بضمير الشأن . الأمر باسم فعل الأمر:عليكم + الخبر طلبي+ التعريف بالإضافة التعريف بأل : الخلفاء ، الراشدبن ، المهديين . الفصل ؛ لكون الجملة عطف بيان لسابقتها + الأمر : عضوا + استعارة تمثيلية . إيجاز حذف:التقدير:احذروا إياكم واحذروا محدثات الأمور . الخبر طلبي خرج لغرض التحذير .	
29	**طريق الجنة** عن معاذ بن جبل (ﷺ) ، قال : قلت : يا رسول الله ، اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال : " لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على مَنْ يَسره الله تعالى عليه " .	نداء + الإضافة للتشريف طلب + مجاز عقلي + التعريف بأل : الجنة ، النار الخبر إنكاري + التنكير للتعظيم : عظيم + التعريف بضمير الشأن .	+85+77 +110+95 135+131 +142+ 196+153

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	. تعبد الله لا تشرك به شيئاً ـ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت " . . ثم قال : " ألا أَدُلُّك على أبواب الخير ؟ ـ " الصوم جنة ، والصدقة تطفي الخطيئة ، كما يطفيء الماء النار " . ـ وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم تلا ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ** ﴾ حتى بلغ ﴿ **يَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة السجدة ، الآيتان : 16 . 17] ـ ثم قال : " ألا أُخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : " رأس الأمر الإسلام ،وعموده الصلاة ،وذروة سنامه الجهاد "	الخبر ابتدائي . ويحتمل أن تكون " لا " ناهية . التنكير للتحقير : شيئاً ، استعارة تصريحية: تقيم أو مجاز مرسل + عطف الخاص : تقيم الصلاة على العام : تعبد الله . الاستفهام بالهمزة + استعارة تمثيلية . تشبيه بليغ، استعارة : تطفي + تشبيه تمثيلي : كما يطفي الماء النار . التعريف بالإضافة + إيجاز حذف ، التقدير : وصلاة الرجل في جوف الليل ، كذلك تطفي الخطيئة + كناية : ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ** ﴾ نداء + التعريف بالإضافة استعارات مكنية ثلاث + إيجاز حذف ، التقدير : رأس الأمر : هو الإسلام وعمودهُ هو الصلاة وذروة سنامه هو الجهاد .	

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
30	ثم قال : " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قُلتُ : بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال : "كُفْ عليكَ هذا " . قلت : يا نبي الله ، وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : " ثكلتك أمك ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم ، أو قال : على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم **حقوق الله** عن أبي ثعلبة الخُشنيِّ بن ناشر (رضي الله عنه) ، عن رسول الله (ﷺ) ، قال : ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها " .	الإستفهام بالهمزة + التعريف باسم الإشارة + نداء + التعريف بالإضافة . أمر + التعريف باسم الإشارة . نداء + التعريف بالإضافة . الخبر إنكاري القصربالاستفهام والإستثناء + أيجاز قصر + استعارة مكنية ، ويحتمل أن تكون تصريحية : " حصائد " . الخبر طلبي + النهي : لاتضيعوها ، لاتعتدوها ، لاتنتهكوها + التنكير للعموم . فرائض ، حدوداً ، أشياء + الوصل ؛ لإتفاق الجمل خبراً وإنشاء+اطناب + عطف الخاص : " حد " على العام " فرض " تعريض بذم السؤال لغير فائدة + النهي : لاتبحثوا .	40

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
31	**الزهد** عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي (ﷺ) قال : جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال : يا رسول الله ، دُلّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس . فقال : " أزهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناسُ " .	نداء + التعريف بالإضافة + طاب + تقديم المفعول به على الفاعل . الأمر مجازي + التعريف بأل : الدنيا + تقديم المفعول به على الفاعل+ الوصل ؛ لإتفاق الجملتين خبراً وإنشاءً .	35
32	**لا ضرر ولا ضرار** عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخُدْري (ﷺ) ، أن رسول الله (ﷺ) ، قال : لا ضرر ولا ضرار .	إيجاز قصر + التنكير للعموم : ضرر ، ضرار + إيجاز حذف ، التقدير : لا ضرر جائز ولا ضرار جائِر .	68
33	**البنية** عن أبي عباس (رضي الله عنهما) ، أن رسول الله (ﷺ) ، قال : " لو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى رجالٌ أموالَ قوم ودماءَهُمْ لكن البينة على المدعي واليمين على مَنْ أنكر " .	التعريف بأل : الناس + التنكير للتحقير : رجالٌ + الخبر طلبي التنكير للعموم : قوم + القصر بحرف العطف : " لكن " + الوصل ؛ قصد اشراك جملة : "اليمين على مَنْ أنكر" في الحكم الإعرابي للجملة السابقة .	112

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
34	**النهي عن المنكر** عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) ، قال : سمعت رسول الله (ﷺ) ، يقول : " مَنْ رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " .	التعريف بالضمير + الأمر للوجوب + التعريف باسم الإشارة.	
35	**آداب اجتماعية** عن أبي هريرة (ﷺ) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : " لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً . . المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ، ولا يحقرهُ . ـ " التقوى هنا هنا " . ويشير إلى صدره ثلاث مرّات " بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم ، ـ كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه " .	النهي أمر + إيجاز حذف ، التقدير : كونوا يا عباد الله أخواناً أو كونوا عباد الله يا أخواناً . الخبر ابتدائي + الفصل ، لكون جملة : لا يظلمهُ جاءت جواباً عن سؤال مقدر : وكيف يكون المسلم أخو المسلم ؟ + خروج الخبر المنفي لغرض النهي : لايظلمه ، ولا يخذله ... " . الخبر ابتدائي + التعريف باسم الإشارة "هنا " + إيجاز حذف ، التقدير : وبحسب امرئ من الشر . الفصل ؛ لعدم توهم خلاف المقصود + التلويح	**+39+25 70**

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
36	**جوامع الخير** عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) ، قال : " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. . ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة ، . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده . ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه "	مجاز مرسل + التنكير للتعظيم : كربة . مجاز مرسل + التنكير للتعظيم : كربة . التنكير للعموم : معسر . التنكير للعموم : مسلماً . الاطناب ، التذييل في قوله : والله في عون العبد ... " + التعريف بأل : العبد . التنكير للعموم : طريقاً + الاستعارة يلتمس. القصر بالنفي والإستثناء : التنكير للعموم: قومٌ + التعريف بالإضافة : بيوت الله ، كتاب الله تقديم المفعول على الفاعل . الإطناب ، التذييل في قوله : " ومن بَطَّأ به عمله ... "	1002+91 +101+ 148+106
37	**كرم الله** عن ابن عباس (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) ، فيما يرويه عن رَبِّهِ تبارك وتعالى ، قال : " ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك ، فمن هّمَّ بحسنة فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنةً كاملة .	الخبر طلبي + التعريف باسم الإشارة + اطناب : الإيضاح بعد الإجمال + التنكير للعموم : حسنة + اطناب .	92

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
	وإن هم بها فعملها ،كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها ، كتبها الله سيئة واحدة .	التنكير للعموم : سيئة ، حسنة	
38	**غضب الله ورضاه** عن أبي هريرة (ﷺ) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : " إن الله تعالى قال : مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُهُ عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببتهُ كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجلهُ التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينَّهُ ،ولئن استعاذني لأعيذنَّهُ0"	الخبر طلبي + تقديم الجار والمجرور على المفعول + مجاز مرسل + التعريف بالإضافة : عبدي أيجاز حذف ، التقدير كنت حافظ سمعه وحافظ بصره وحافظ يده وحافظ رجله ، ويحتمل أن يكون تشبيه حذفت أداتَهُ ، التقدير : كنت كسمعه ... " + كناية عن النصرة + التعريف باسم الموصول: الذي . الخبر إنكاري + ايجاز حذف ، التقدير : ولئن سألني شيئاً لأعطينَّهُ +التعريف بالإضافة .	+73+62 +96+74 149
39	**مالا اثم فيه** عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ، أن رسول الله (ﷺ) ، قال : " إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والسنيان وما استكرهوا عليه".	الخبر طلبي + التعريف بالإضافة . التعريف بأل : الخطأ والنسيان	20

رقم الحديث حسب تسلسله في أحاديث الكتاب	الحديث وموضع الشاهد	الفن البلاغي	توزيع الأحاديث المشروحة في الرسالة المكررة وغير المكررة
40	**قصر الأمل** عن ابن عمر (رضي الله عنهما) ، قال : " أخذ رسول الله (ﷺ) ، بمنكبي فقال:" كن في الدنيا ، كأنك غريب أو عابر سبيل " . وكان ابن عمر (رضي الله عنه) ، يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .	أمر + تشبيه جمع + اطناب نهي +أمر + إيجاز حذف ، التقدير وخذ من حياتك لموتك .	128+42
41	**هوى المؤمن** عن أبي محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) ، قال : قال رسول الله (ﷺ) : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لِما جئت به "	التعريف بالضمير .	19
42	**عفو الله** عن أنسٍ (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : قال الله تعالى : " يا بنَ آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا بن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني . غفرت لك . يا بن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثمَّ لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة	نداء + التعريف بالعلمية . الخبر طلبي + تقديم الدعاء على الرجاء . استعارة تمثيلية + الفصل ؛ لكون جملة : يا بن آدم ، واقعة موقع التأكيد اللفظي للجملة الأولى . إشارة : لو بلغت عنان السماء + لو أتيتني بقراب الأرض خطايا. الخبر إنكاري .	159+114

الخاتمة

الحمدُ لله الذي يَسَّرَ لنا إنجاز هذا البحث ، وبخاتمتهِ المُتواضعة ، لِتكوُنَ خُلاصةً لأهم النتائج المرجو إيصالها إلى القارئ ، ويمكن إجمالها بما يأتي :

أولاً : الملاحظات العامـة :

1 . لقد وردت أحاديث الكتاب ، مُتسلسلة ، حسب ما تقتضيه حاجة المسلم ، لأُمور دينه ، إذ تصدر الكتاب ، أحاديث عقائديَّة ، يجب على المسلم الإيمان بها ، ثم يتسلسل بنا الكتاب إلى أحاديث فقهية ، تضمنت أحكاماً شرعية تُحسن صلة المسلم مع ربه ومع عباد الله تعالى ؛ ليكتمل بعد ذلك إيمانه .

2 . إنَّ النووي ، كان غالباً ما يختار ، أصح رواية للحديث في الباب الواحد، وذلك ليقرنها بسبب وروده ، وقد ساعَدهُ في ذلك ، الفن البلاغي الذي يبدأ به الحديث، فحديث: إنما الأعمال بالنيَّات، نجد أن هناك رواية للحديث وقد حُذف منها أداة القصر : " انما " ، فروي بـ : " الأعمال بالنيات " ، فمن الملاحظ ، أن النووي ، قدْ أحسن ، عندما اختار الرواية الأولى للحديث ، والقارئ البلاغي ، يعرف سبب ذلك الاختيار ، فلما كانت : " انما " ، من أحسن مواقعها ، عند البلاغيين ، هو التعريض بذم أو مدحٍ ، فإن ذلك ، ما يتناسب مع سبب ورود الحديث . قصة مهاجر أم قيس . الذي هاجر لطلب المرأةِ بصورة الهجرة إلى الله ورسوله ، فاستخدم الرسول (ﷺ) : " إنما " للتعريض بذم ذلك الرجل ، ولا شك أن حذفها ما يُضعف رواية الحديث .

ثانياً : المعلومات الخاصة (البلاغية) :

لقد تضمنت أحاديث الكتاب ، إشارات بلاغية ، يمكن أن نُلَخِّصها بما يأتي :

1 . لقد أظهرت الدراسة الإحصائية ، كثرة فنون علم المعاني على فنون علم البيان ، ويمكن توضيح ذلك ، بالنسبة المئويَّة الآتية :

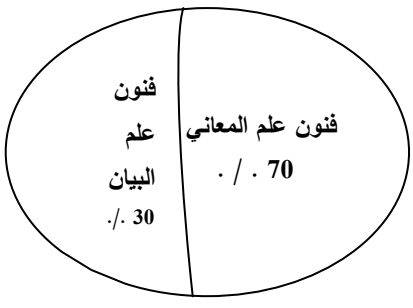

2 . أكثر أضرب الخبر ورواداً في الكتاب ،هو الخبر الطلبي يتبعه الخبر الإنكاري ، فالخطاب بالأُمور الغيبية،بحاجة إلى مؤكد أو أكثر؛ليبعد الشك أو الانكار عن المخاطب ، وخير ما يُعبر عن ذلك ، هو صيغة الخبر الطلبي والإنكاري .

3 . نالت أساليب الطلب الإنشائية ، مساحة واسعة من أحاديث الكتاب ، متمركزة على أساليب : الأمر والنهي والاستفهام والنداء ، مع خلو التمني منها . ي حين انحسرت أساليب الطلب غير الإنشائية ، بأسلوبين فقط ، هما : القسم ، وصيغ العقود .

4 . لقد إحتل التقديم والتأخير ، مساحة ، لا بأس بها في أحاديث الكتاب ، فلقد كان إحدى وسائل الرسول (ﷺ) في التعبير عن المعاني ،وصياغتهما في قالب يُخالف فيها القواعد النحوية ؛ لأغراض بلاغية ، يُبرزها لنا طبيعة السياق . هذا وإن هناك مواقف ، يستدعيها مقتضى الحال ، لذلك التقديم ، كسؤال جبريل (عليه السلام) لرسول الله (ﷺ) عن الإيمان ، فإن الإجابة تتطلب منه ، أن يقدم الأهم فالأهم ؛ ليتوافق مع مبادئ العقيدة الإسلامية .

5 . لقد تنوع القصر في أحاديث الكتاب ، تبعاً لصيغة الخطاب ، فبينما جاء القصر بـ " إنما " ؛ ليخاطب المخاطب الذي يعرف حقيقة الخبر ولا يجهله ، والغرض منها تذكير المخاطب لقضية حريّ به أن ينتبه لها ، كالخطاب الإلهي لعباده بقوله : ((**يا عبادي إنما هي أعمالكم ، أُحصيها لكم**)) ، جاء القصر بالنفي والاستثناء ، ليخاطب الذي لا يعرف الحقيقة ويجهلها كقوله (ﷺ) : ((**وما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ،إلاّ نزلت عليهم السكينة،وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ...**)) . بينما لم يرد القصر بحروف العطف إلاّ بحرف واحد وهو القصر بحرف العطف " لكن " .

6 . لقد كشف البحث ، أن تعريف المبتدأ أو الخبر بأل ، طريقة من طرق القصر التي يمكن إضافتها إلى طرق القصر عند البلاغيين ، كقوله (ﷺ) : ((**الدين النصيحة**)) .

7 . لقد كشف البحث أيضاً ، أن هناك حذفاً للجملة قد ورد في أحاديث الكتاب ، على الرغم مِنْ تحديد بعض الباحثين ، ذلك الحذف ، في القرآن الكريم فقط .

8 . لقد جاء الإطنابُ ، مُلبياً لاحتياجات الرسول(ﷺ) في تقرير مبادئ الشريعة الإسلامية ، كعطف الخاص بعد العام ، لتقرير الحكم الذي ينتجه موقع الخاص نظراً لأهميته والإيضاح بعد الإجمال،تشويقاً للسامع وعطف العام بعد الخاص والتكرار تلذذاً والتذييل والتتميم .

هذه الإشارات البلاغية ، خلاصة ما تضمنه الفصل الأول . علم المعاني . أما أبرز الاشارات البلاغية التي وردت في الفصل الثاني . علم البيان . فيمكن اجمالها بما يأتي :

1 . لقد برز التشبيه في أحاديث الكتاب ، بأنواعه الرئيسة : المفرد والجمع والبليغ والتمثيلي ، لا سيما أنّ عقد صلات تجمع بين أحكام شرعية كالصلاة والصبر ..... وبين أمور معنوية كالنور والضياء... وتوظيفها في سلك التشبيه ، ما يقرر لنا مبادئ الشريعة الإسلامية ويُرَسِّخُها في نفوسنا .

2 . لقد كثرت عدد مواضع الاستعارة المكنية في أحاديث الكتاب ، على مواضع الاستعارة التصريحية ، وقد أكَّدنا أن الاستعارة في قوله (ﷺ) : ((**بني الإسلام على خمس ...**)) هي استعارة مكنية وليست تمثيلية وإن نصَّ بعض شرّاح الحديث على ذلك .

3 . لم تبرز علاقات المجاز العقلي في أحاديث الكتاب ، إلاّ بعلاقة واحدة وهي السببية .

4 . أمَّا فيما يخص المجاز المرسل فلقد انحسرت علاقاته بـ : " الجزئية والكلية والسببية والملزومية " .

5 . لقد كشف البحث : مصطلح الكناية الزَّبدية ، عند تحليل ، الكناية في قوله (ﷺ) : ((**أن تلدَ الأَمَةُ رَبَّتَها وأن ترى الحُفاةَ العُرَاةَ العَالَة رَعِاءِ الشَّاة يتطاولون في النبيان**)) إذ يمكن أن نطلق هذا المصطلح ، على كُلِ عبارة نُريد أن نأخذ الزُّبدَةُ منها ، وهذا ما أَكَّدَهُ الطيبي.

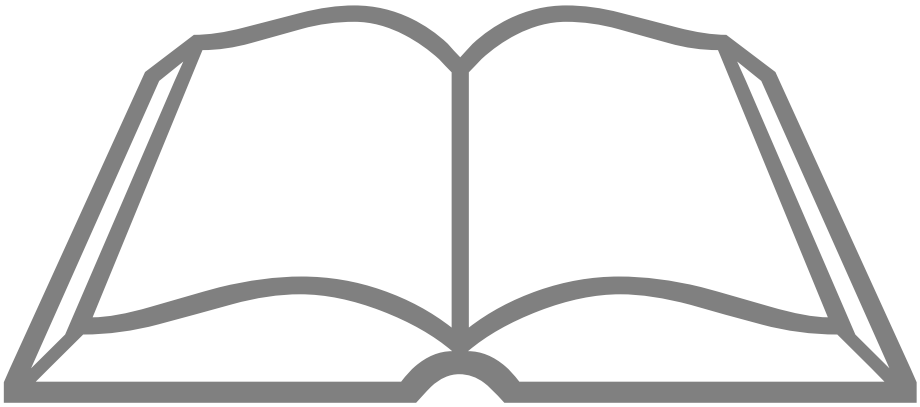

قائمـة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً . الكتب المطبوعة :

. **القرآن الكريم**

1 . **ابن القيم اللغوي (ت 751 هـ)** ، د . أحمد ماهر البقري ، الناشر : منشأة المعارف بالأسكندرية .

2 . **ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن** ، عبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربي ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1402 هـ . 1982 م .

3 . **الإتقان في علوم القرآن** ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،(ت911هـ) ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، 1973 م .

4 . **أدب الحديث النبوي** ، بكري شيخ أمين ، القاهرة ، (د . ت) .

5 . **الأربعون الصغرى المخرجة في أحوال عباد الله وأخلاقهم** ، أبو بكر أحمد البيهقي (ت 458 هـ) ، تحقيق : محمد نور بن محمد المراغي ، طبع على نفقة إدارة أحياء التراث الإسلامي ، 1403 هـ . 1983 م .

6 . **ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري** ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد العسقلاني (ت 923 هـ) ، ضبطه وصححهُ : محمد عبد العزيز الخالدي ، الطبعة الأولى ، 1406 هـ . 1996 م .

7 . **أساس البلاغة** ، جار الله القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب ، 1972 ، جمهورية مصر العربية ، مركز تحقيق التراث .

8 . **أساليب بلاغية . الفصاحة . البلاغة . المعاني** ، أحمد مطلوب ، بيروت ، 1980 م .

9 . **أساليب التعبير الأدبي** ، د . ابراهيم السعافين و د . أحمد الهواري و د .أنور أبو سويلم و د . عبد الفتاح عثمان و د . محمد الأمين الخضري و د . خالد سليمان و د . الرشيد بوشعير وعيسى العاكوب وحسن عبد الرحمن ولطيفة النجار ، الطبعة الأولى ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الإصدار الأول ، 1977.

10 . **أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين** ،قيس اساعيل الأَوسي، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، 1989 م .

11 . **أسرار البلاغة** ، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ، تحقيق : السيد محمد رشيد رضا ، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع .

12 . **الأُسس النفسية لأساليب البلاغة العربية** ، مجيد عبد الحميد ناجي ، الطبعة الأولى ، 1404 هـ . 1984 م .

13 . **الأشباه والنظائر في النحو** ، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، 1975 م .

14 . **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني(ت 852 هـ)، الطبعة المغربية المصورة عن النسخة الميمنية، الطبعة الأولى.

15 . **الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين** ، خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت .

16 . **الأمالي النحوية** " **أمالي القرآن الكريم** " ، ابن الحاجب ، تحقيق : هادي حسن حمودي ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة العربية ، 1405 هـ . 1985 م .

17 . **الإيضاح في علوم البلاغة . المعاني والبيان والبديع . مختصر المفتاح** ، الخطيب القزويني (ت 739 هـ) ، دار إحياء العلوم ، (د . ت) .

18 . **إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية** ، محمد تاتاي ، الطبعة الحادية عشر ، دار الوفاء ، 2005 هـ .

19 . **البحث النحوي عند الأصوليين** ، د . مصطفى جمال الدين ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، (د . ت) .

20 . **البحر المحيط** ، أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت 745 هـ) ، مطابع النصر الحديثة ، المملكة العربية السعودية . الرياض ، (د ، ت) .

21 . **البرهان في علوم القرآن** ، بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) ، خرّج حديثه وقدم له وعلّق عليه : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1408 هـ . 1988 م .

22 . **البرهان في وجوه البيان** ، أبو إسحاق بن ابراهيم بن سلمان بن وهب الكاتب ، تحقيق : د . أحمد مطلوب ، الطبعة الأولى ، ساعدت على نشره : جامعة بغداد ، 1387 هـ . 1967 م .

23 . **البلاغة الاصطلاحية** ، عبده عبد العزيز قلقيله ، دار الفكر العربي، 1407 هـ . 1987 م .

24 . **البلاغة التطبيقية ، دراسة تحليلية لعلم البيان** ، د . محمد رمضان الجربي ، الطبعة الأولى ، منشورات جامعة قطر ، 1997 .

25 . **البلاغة العربية قراءة أُخرى** ، د . محمد عبد المطلب ، الطبعة الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، 1997 م .

26 . **البلاغة فنونها وأفنانها** ، د . فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، 1985 م .

27 . **البلاغة القرآنية المختارة من الإتقان ومعترك الأقران للإمام السيوطي**،تحقيق: السيد الجميلي ، دار المعرفة ، 1993 م .

28 . **بلاغة الكلمة والجملة والجمل** ، د . منير سلطان ، الناشر : منشأة المعارف . الأسكندرية ، 1988 م .

29 . **البلاغة والتطبيق** ، د. أحمد مطلوب ود . كامل حسن البصير، الطبعة الثانية ، 1999 م .

30 . **بناء الجملة في الحديث النبوي في الصحيحين** ، خليل أبو عودة ، دار البشير .

31 . **البيان العربي . دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية** ، د . بدوي طبانة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ، 1377هـ . 1958 م .

32 . **البيان في شرح الأربعين النووية** ، خالد البيطار ، مكتبة المنار ، 1987 م .

33 . **البيان والتبيين** ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، الناشر : مؤسسة الخانجي . القاهرة ، (د . ت) .

34 . **تاج العروس من جواهر القاموس** ،محمد مرتضى الزبيدي (ت1205هـ) ، تحقيق : علي هلالي ، مراجعة : عبد الله العلايلي وعبد الستار فراج ، دار الجيل ، التراث العربي ، مطبعة حكومة الكويت ، 1386 هـ . 1966 م .

35 . **تأويل مشكل القرآن** ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـ) ، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر ، الأمين العام المساعد لمجمع البحوث بالأزهر ، الطبعة الثانية ، دار التراث ، القاهرة ، 1393 هـ . 1973 م .

36 . **التبيان في البيان** ، شرف الدين بن محمد بن عبد الله الطيبي (ت 743هـ) ، تحقيق : توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله ، الطبعة الأولى ، ذات السلاسل للطباعة والنشر . الكويت ، 1986 .

37 . **تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي** ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت 1353 هـ) ، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه : عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

38 . **تذكرة الحفاظ** ، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، (د . ت) .

39 . **التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني** ، عبد الفتاح لاشين ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) .

40 . **التصوير البياني ، دراسة تحليلية لمسائل البيان** ، محمد أبو موسى ، الطبعة الثانية ، دار التضامن للطباعة ، 1400 هـ . 1980 م .

41 . **التصوير الفني في الحديث الشريف** ، محمد لطفي الصباغ ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي ، 1983 م .

42 . **التعيين في شرح الأربعين** ، نجم الدين الطوفي (ت 716 هـ) ، تحقيق : أحمد حاج محمد عثمان ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الريان المكية ، 1419 هـ . 1998 م .

43 . **التعريفات** ، علي بن محمد الجرجاني (ت 816 هـ) ، تحقيق : ابراهيم الأبياري ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1423 هـ . 2002 م .

44 . **تفسير التحرير والتنوير** ، محمد الطاهر بن عاشور (ت 1972 م) ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

45 . **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)** ، فخر الدين الرازي (ت 606 هـ) ، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1421 هـ . 2000 م .

46 . **التلخيص في علوم البلاغة** ، جلال الدين محمد القزويني (ت 739 هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

47 . **التمثيل والمحاضرة** ،أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت 429هـ)، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

48 . **توكيد مضمون الجمل بتتبيع الترادف في القرآن الكريم** ، حسن طه حسن السنجاري ، الطبعة الأولى ، مطبعة الانتصار ، الموصل ، 2005 .

49 . **تهذيب اللغة** ، أبو منصور محمد الأزهري (ت 370هـ) ، تحقيق : عبد الله درويش ، مراجعة : محمد علي النجار، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،1377هـ . 1958 م .

50 . **جامع الدروس العربية** ، الشيخ مصطفى غلاييني ، موسوعة في ثلاثة أجزاء ، راجعه ونقحه : د . عبد المنعم خفاجة ، الطبعة الحادية والعشرون ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1408 هـ . 1987 م .

51 . **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** ، ابن رجب الحنبلي (ت 795هـ) ، تحقيق : عماد زكي ، المكتبة التوفيقية ، 2000 م .

52 . **الجامع الكبير**، للترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد وكمال يوسف، دار الكتب العلمية، الطبعة الخامسة، 1985.

53 . **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق : د. مصطفى جواد ود . جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1375 هـ . 1956 م .

54 . **الجنى الداني في حروف المعاني** ، حسن بن قاسم المرادي (ت 749 هـ) ، تحقيق : طه محسن ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، 1396 هـ . 1976 م .

55 . **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** ، أحمد الهاشمي ، الطبعة الثانية عشرة ، دار الفكر ، بيروت ، 1398 هـ . 1978 م .

56 . **جواهر الكنز" تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة** " ، نجم الدين أحمد ابن اسماعيل بن الأثير الحلبي (ت 737 هـ) ، تحقيق : د . محمد زغلول سلام ، الناشر : منشأة المعارف بالأسكندرية .

57 . **حاشية حسن بن علي المدابغي على كتاب الفتح المبين** ، طبع بمطبعة العامرة الشرفية بشارع الحرنفش بمصر ، 1320 هـ .

58 . **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية** ، د . كمال عز الدين ، الطبعة الأولى ، دار اقرأ ، بيروت ، الرملة البيضاء ، 1404 هـ . 1984 م .

59 . **الحديث النبوي وعلم النفس** ، د . محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الرابعة ، دار الشروق ، القاهرة ، 1421 هـ . 2000 م .

60 . **حروف المعاني** ، أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي (ت 340 هـ) ، حققه وقدّم له : د . علي توفيق الحَمَد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، دار الأمل ، 1404 هـ . 1984 م .

61 . **الخصائص** ، أبو الفتح بن جني (ت 392 هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، 1371 هـ . 1952 م .

62 . **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني** ، محمد أبو موسى ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1400 هـ .

63 . **دقائق العربية** ، الأمير أمين آل ناصر الدين ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1968 م .

64 . **دلائل الإعجاز** ، عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، صححه وشرحه وعلّق عليه : أحمد مصطفى المراغي ، الطبعة الثانية ، المكتبة المحمودية التجارية ، مصر ، (د . ت) .

65 . **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين** ، محمد بن علان الشافعي الأزهري (ت 1057هـ) ، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث ، القاهرة ، 1407 هـ . 1987 م .

66 . **دور الرتبة في الظاهرة النحوية " المنزلة والموقع "** ، عزام محمد ذيب ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، 2004 .

67 . **ديوان الشافعي** ، جمعه وحققه وعلّق عليه : زهدي يكنْ ، دار الثقافة، بيروت.

68 . **ذيل مرآة الزمان** ، قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (ت 726 هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1954 م .

69 . **رصف المباني في شرح حروف المعاني** ، أحمد بن عبد النور المالقي (ت 702 هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1395 هـ . 1975 م .

70 . **الرمزية والأدب العربي الحديث** ، أنطوان غطاس محرم ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1949 .

71 . **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، أبو الفضل محمود الآلوسي (ت 1270هـ) ، الطبعة الأولى ، المطبعة الكبرى الميرية ببولاق، مصر ، 1301 هـ .

72 . **روضة الطالبين** ، الإمام أبي زكريا النووي (ت 676 هـ) ، ومعهُ **المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي** ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1421 هـ . 2000 م .

73 . سنن أبي داؤد، تحقيق: محي الدِّين عبد الحميد، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2001م.

74 . **الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها** ، محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، 1981 م .

75 . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ) ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ، لبنان ، (د . ت) .

76 . **شرح ابن عقيل (ت 769 هـ) على ألفية ابن مالك (ت 672 هـ)** ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة العشرون، نشر وتوزيع : دار التراث ، 1400 هـ . 1980 م .

77 . **شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الأشبيلي (ت 669 هـ)** ، تحقيق : صاحب أبو جناح ، الجمهورية العراقي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، إحياء التراث الإسلامي ، ، 1982 م . 1402 هـ .

78 . **شرح الرضي على الكافية** ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، 1978 .

79 . **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى " الكاشف عن حقائق السنن "** ، شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي (ت 743 هـ) ، اعتنى به وعلّق عليه : أبو عبد الله محمد علي سمك ، الطبعة الأولى ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

80 . **شرح النصيح** ، ابن هشام اللخمي (ت 577 هـ) ، دراسة وتحقيق : مهدي عبد جاسم ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1988 .

81 . **شرح الكرماني ، المسمى بـ (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)**، الكرماني (ت 786 هـ) ، الطبعة الأولى ، المطبعة المصرية ، 1354 هـ . 1935 م .

82 . **شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النووية** ، يحيى ابن شرف النووي (ت 676 هـ) ، الطبعة الأولى ، 1968 م .

83 . **شرح المفصل للزمخشري** ، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت 643 هـ) ، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه : د . إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى،منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1422 هـ . 2001 م .

84 . **شرح الوافية نظم الكافية** ،أبو عمر عثمان بن الحاجب النحوي (ت646هـ)، دراسة وتحقيق : موسى بناي علوان العليلي ، مطبعهة الآداب في النجف الأشرف ، 1400 هـ . 1980 م .

85 . **شعب الإيمان** ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458 هـ) ، تحقيق : محمد السعيد زغلول ، الطبعة الأولى ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1421 هـ . 2000 م .

86 . **شروح التلخيص** ، ويتضمن :

- **مختصر سعد الدين التفتازاني .**
- **مواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي .**
- **عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي .**
- **الإيضاح للخطيب القزويني .**
- **حاشية الدسوقي على شرح السعد** ، طبع بمطبعة عيسى البابي وشركاؤه ، القاهرة ، مصر ، 1937 م .

87 . **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** ، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395 هـ) ، تحقيق : مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1383 هـ . 1963 م .

88 . **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، اسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، 1404 هـ . 1984 م .

89 . **صحيح الأحاديث القدسية " ما حكاه النبي عن رَبِّ البَرية "** ، تحقيق : العلامة محمد ناصر الدين الألباني،الناشر : مركز تحقيق النصوص ، الطبعة الأولى ، دار العنان للتجارة والنشر والتوزيع ، 1424 هـ . 2004 م .

90 . **صحيح البخاري** ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، طبعة جديدة منقحة موافقة لترقيم وتبويب : الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، اعتنى به : أبو عبد الله محمود بن الجميل ، الطبعة الأولى ، مكتبة الصفا ، 1423 هـ . 2003 م .

91 . **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي (ت 676 هـ) ، المسمى : " المنهاج شرح الجامع الصحيح "** ، تحقيق وتعليق : د . مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثانية ، دار العلوم الإنسانية ، دمشق ، حلبوني ، 1424 هـ . 2003 م .

92 . **صفاء الكلمة** ، عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر ، (د . ت) .

93 . **الصورة البيانية في الحديث النبوي** ، فالح حمد أحمد الحمداني،الطبعة الأولى ، مؤسسة الوراق ، 2001 م .

94 . **طبقات الشافعية الكبرى** ، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت 771 هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناص ، الطبعة الأولى ، 1385 هـ . 1966 م .

95 . **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز** ، يحيى بن حمزة العلوي (ت 747 هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1402 هـ . 1982 م .

96 . **عقود الجمان في المعاني والبيان** ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، بشرح العلامة : عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ، 1374 هـ . 1955 م .

97 . **العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج** ، عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثانية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، 1403 هـ . 1983 م .

98 . **علم أساليب البيان** ، د . غازي يَموت ، الطبعة الأولى ، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1403 هـ . 1983 م .

99 . **علم الدلالة** ، أحمد مختار عمر ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، 1402 هـ . 1982 م .

100 . **علوم البلاغة " البيان والمعاني والبديع "** ، أحمد مصطفى المراغي ، دار القلم، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .

101 . **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، أبو الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463 هـ) ، تصحيح : محمد بدر الدين الحلبي ، الطبعة الأولى ، طبع بمطبعة السعادة ، مصر ، 1325 هـ . 1907 م .

102 . **عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري** ، بدر الدين أبي محمد محمود العيني (ت 855 هـ) ، ضبطه وصححه : عبد الله محمود محمد عمر ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1421 هـ . 2001 / .

103 . **فتح البارئ شرح صحيح البخاري** ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، الطبعة الثالثة ، دار السلام ، الرياض ، ودار الفيحاء ، دمشق ، 1421 هـ . 2000 م .

104 . **فتح القدير " الجامع بين فني الرواية والدّراية من علم التفسير "** ، محمد بن علي الشوكاني (ت 1250 هـ) ، تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، 1418 هـ . 1997 م .

105 . **فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث** ، د . لطفي عبد البديع ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السنّة المحمدية ، 1976 .

106 . **فن التشبيه " بلاغة ، أدب ، نقد "** ، علي الجندي ، الطبعة الأولى ، مكتبة نهضة مصر ، 1952 م .

107 . **فنون بلاغية " البيان . البديع "** ، أحمد مطلوب ، الطبعة الأولى ، دار البحوث العلمية ، 1395 هـ . 1975 م .

108 . **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان** ، محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

109 . **فوات الوفيات** ، محمد بن شاكر الكتبي (ت 764هـ) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1974 م .

110 . **في التحليل اللغوي ، منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على : التوكيد اللغوي ، والنفي اللغوي ، وأسلوب الاستفهام** ، خليل أحمد عمايرة وسلمان حسن البياتي ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء .

111 . **فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي** ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى محمد ، 1356هـ . 1938م .

112 . **في ظلال القرآن** ، سيد قطب ، دار الشروق ، (د . ت) .

113 . **في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث** ، د . مهدي المخزومي ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1386 هـ . 1966 م .

114 . **قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم** ، د . سناء حميد البياتي ، الطبعة الأولى ، دار وائل للنشر ، 2003 .

115 . **الكتاب** ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت 180 هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977 .

116 . **كتاب الأربعين النووية** ، تصنيف : الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) ، قرأه وصححهُ :حسن السماحي سويدان ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ . 1999 م .

117 . **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر** ، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، (ت 395 هـ) ، تحقيق :علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، 1371 هـ . 1952 م .

118 . **كتاب العين** ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) ، تحقيق : د . مهدي المخزومي ود . ابراهيم السامرائي ، 1981 م .

119 . **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت 538 هـ) ، ومعه حاشية المحقق : علي ابن محمد بن علي السيد زين الدين الجرجاني (ت 816 هـ) ، وبالهامش الكتاب الجليل المسمى بـ " **الانتصاف** " للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد الأسكندري (ت 683 هـ) ، الطبعة الثانية ، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، مصر ، 1318 هـ .

120 . **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت 1068 هـ) ، تصحيح وتعليق : محمد شرف الدين ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د . ت) .

121 . **الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، طبعه ووضع فهارسه ، عدنان درويش ومحمد المصري ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، 1998 م .

122 . **لسان العرب** ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت711 هـ) ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1375 هـ . 1956 م .

123 . **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل** ، فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الأولى ، 1999 م .

124 . **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: محي الدِّين عبد الحميد، طبعة بيت الأذكار الدولية، الطبعة الأولى، 2001م،

125 . **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ)، قدمه وحققه : د . أحمد الحوفي و د . بدوي طبانة ، الطبعة الأولى ، مكتبة نهضة مصر ، 1380 هـ . 1960 م .

126 . **المجازات النبوية** ، الشريف الرضي (ت 406 هـ) ، تحقيق : طه محمد الزيتي ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1967 م .

127 . **مجاز القرآن** ، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد سركين ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، القاهرة ،1390هـ . 1970م .

128 . **مجمع الأمثال** ، أبو الفضل أحمد بن النيسابوري الميداني (ت 518 هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر، بيروت، 1393 هـ . 1972 م .

129 . **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآن والإيضاح عنها** ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف ود . عبد الحليم النجار وآخرون ، القاهرة ، 1966 م .

130 . **مختار الصحاح** ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 666هـ) ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1401 هـ . 1981 م .

131 . **المطول على التلخيص** ، خطيب الدمشقي ، شرح : العلامة التفتازاني (ت 791 هـ) ، مطبعة أحمد كامل ، 1330 هـ .

132 . **معاني النحو** ، فاضل صالح السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، مطبعة التعليم العالي في الموصل ، 1986 . 1987 م .

133 . **معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، (د . ت) .

134 . **معجم الأدوات النحوية**،محمد التونجي ، الطبعة الخامسة ، منشورات قورينا ، بنغازي ، 1974 م .

135 . **معجم البلاغة العربية** ، د . بدوي طبانة ، الطبعة الأولى ، منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية ، 1395 هـ . 1975 م .

136 . **معجم متن اللغة** ، محمد رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1380 هـ . 1960 م .

137 . **معجم مقاييس اللغة** ، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1399 هـ . 1979 م .

138 . **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** ، د . أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1407 هـ . 1987 م .

139 . **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وفق نزول الكلمة بحاشية المصحف الشريف** ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ضبطه ورتبهُ : محمد سعيد اللّحام ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1423 هـ . 2002 م .

140 . **المعجم الوسيط** ، أحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، 1972 م .

141 . **معنى لا إله إلاّ الله** ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ) ، تحقيق وتعليق : علي محي الدين القره داغي ، الطبعة الثالثة ، دار الاعتصام ، بيروت ، لبنان ، 1985 م .

142 . **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، 1407 هـ . 1987 م .

143 . **مفتاح العلوم** ، أبو يعقوب علي السكاكي (ت 626 هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، 1402هـ . 1982 م .

144 . **مفـردات ألفـاظ القـرآن** ، أبـو القاسـم الحسـين بـن محمـد المعـروف بالراغـب الأصـفهاني (ت 425 هـ) ، تحقيـق : صـفوان عـدنان داودي ، الطبعـة الثانية ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، 1423 هـ 2003م .

145 . **المفصل فـي علـم العربيـة** ، أبـو القاسـم محمـود الزمخشـري (ت 538 هـ) ، وبذيلـه **كتـاب المفصـل فـي شـرح أبيـات المفصـل** ، السـيد محمـد بـدر الـدين الحلبي ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .

146 . **المقتضـب** ، أبـو العبـاس محمـد بـن يزيـد المبـرد (ت 285 هـ) ، تحقيـق : محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، (د . ت) .

147 . **من أساليب البيان في القرآن الكريم** ، محمد علي أبو حمدة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، 1983 م .

148 . **مـن بلاغـة الـنظم العربـي دراسـة تحليليـة لمسـائل علـم المعـاني** ، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، عالم الكتب ، بيروت ، (د . ت) .

149 . **مـن كنـوز السـنة دراسـات أدبيـة ولغويـة فـي الحـديث الشـريف** ، محمد علـي الصابوني ، مكتبة الغزالي ، 1981 م .

150 . **منهـاج البلغـاء وسـراج الأدبـاء** ، أبـو الحسـن حـازم القرطـاجني(ت684هـ) ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ،1966م .

151 . **نحـو القـرآن** ، أحمد عبد السـتار الجـواري ، المجمـع العلمـي العراقـي ، بغداد ، 1974 م .

152 . **النقد الأدبـي الحـديث** ، د. محمد غنيمـي هـلال ،دار العودة ، بيروت . لبنـان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1973 م .

153 . **همـع الهوامـع فـي شـرح جمـع الجوامـع** ،جـلال الـدين السـيوطي(ت911هـ) ، تحقيـق وشـرح : د . عبـد العـال سـالم مكـرم ، دار البحـوث العلميـة ، جامعـة الكويت ، 1397 هـ . 1977 م .

154 . **الـوافي فـي شـرح الأربعـين النوويـة** ، د .مصـطفى البُغـا ومحـي الـدين مسـتو ، الطبعـة الثالثـة عشـر ، دار ابـن كثيـر ، دمشـق ، بيـروت ، 1424 هـ . 2003 م .

ثانياً . الرسائل الجامعية :

1 . **الأساليب الإنشائية غير الطلبية في أحاديث رياض الصالحين للنووي (ت 676هـ)** ، أحمد محمد أمين ، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، بأشراف د . أحمد فتحي رمضان ، 2002 م .

2 . **أساليب الطلب في الحديث الشريف . دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري** ، هناء محمود شهاب ، أطروحة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، بإشراف : د . مناهل فخر الدين فليح ، 1995 م .

3 . **الاستعارة في القرآن الكريم** ، أحمد فتحي رمضان ، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، بإشراف : د . جليل رشيد فالح ، 1988 م .

4 . **الاطناب في القرآن الكريم أنماطه ودلالاته** ، وفاء فيصل اسكندر ، أطروحة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ،بإشراف : د . أحمد فتحي رمضان ، 2003 م .

5 . **ألفاظ العبادات في القرآن الكريم . دراسة دلالية** ، أكرم أحمد داود ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، بإشراف : د . كاصد ياسر الزيدي ، 1990 .

6 . **البحر في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري** ، صالح محمود محمد ، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية التربية . جامعة الموصل ،بإشراف : د . نزهة جعفر حسن ، 2001 م .

7 . **التشبيه في الحديث الشريف ـ دراسة في متن صحيح البخاري** ، سعد عبد الرحيم ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، بإشراف : د . هناء محمود شهاب ، 1998 م .

8 . **التعجب في القرآن الكريم . دراسة نحوية أسلوبية** ، علي فاضل عبود ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، بإشراف د . محيي الدين توفيق ابراهيم ، 1998 م .

9 . **المجاز المرسل في القرآن الكريم . علاقاته ودلالاته** ، ياسر محمد أمين ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، بإشراف : د . أحمد فتحي رمضان ، 2001 م .

10 . **المصطلح النقدي في كتاب " العمدة " لابن رشيق القيرواني** ، ابراهيم محمد الحمداني ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية التربية . جامعة الموصل ، بإشراف : د . عمر محمد الطالب ، 1996 م .

11 . **المضاف إلى لفظ الجلالة " اللَّهُ " في القرآن الكريم . دراسة دلالية** ، لقاء حازم أحمد ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية التربية . جامعة الموصل ، بإشراف : د . خزعل فتحي زيدان ، 1999 م .

ثالثاً . البحوث المنشورة في الدوريات :

1 . **الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية** ، سمير شريف ،مجلة المورد، مج 18 ، ع 1 . 2 ، 1989 .

2 . **التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية**، مُوسى ربابعة ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مج 5 ، ع 1 ، 1991 م .

3 . **القصر في سورة البقرة** ، الشاذلي الهيشري، مجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، السنة الثانية ، ع 2 ، 1394 هـ . 1974 م .

4 . **معاني المضارع في القرآن الكريم** ، حامد عبد القادر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ، ج 13 ، 1961 م .

5 . **نداء المخاطبين في القرآن أسراره وبلاغته** ، د . علي عبد الواحد وافي ، مجلة كلية اللغة العربية ، ع 8 ، 1398 هـ . 1978 م .

رابعاً . مواقع الأنترنيت :

1 . **الإيجاز في العربية** ، آمال الزين ، تنسيق : عبد السلام ، بحث منشور في شبكة الأنترنيت على موقع موجات : WWW . mogat . Com .

2 . **الحذف والإضمار في العربية** ، آمال الزين ، تنسيق : عبد السلام ، بحث منشور في شبكة الأنترنيت على موقع موجات : WWW . mogat . Com

3 . المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، دون مؤلف، بحث منشور في شبكة الأنترنيت على موقع : WWW . Islamic Start . Org